الحكومة الليبية المؤقتة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية

إدارة الدراسات العليا

كلية اللغة العربية :

قسم البلاغة والنقد

(البلاَغة القُرآنية في حِوار الأنبياء أقْوامهم)

بحث مقدم استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الإجازة العالية الماجستير

إعداد الطالبة : ربيعة امحمد أحمد التكماك

إشراف الأستاذ الدكتور : المهدي إبراهيم الغويل

العام الجامعي : 2012 م – 2013 م

بسم الله الرحمن الرحيم

چۇ ۋ ۋ ۇ ۇ ې ې ې ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو

چ[التوبة : 105] .

صدق الله العظيم

إهْدَاء

إلى كلّ من حَمَلَ القَلَم سِلاحًا ضد الجهل .

واتّخذ العِلْـــــــم وشــاحًـــــــا يزهو به .

وصَنعَ مِن الفشلِ نَجَاحًـــــا .

ورأى في الإخْلاَصِ صَلاَحًـــا .

شكر وتقدير

بســـــــــــــــم الله الرحمن الرحيـــــــــم

چ ى ى ي ي □ □ □ □ چ[الإنسان : 22]

الحمد لله وحده، والصّلاة والسّلام على من لا نبي بعده، وبعد :

فالشّكْر لله – تعالى – أوّلاً وآخـــــــــــرًا :

إن أجمل ما يقوم به المرء الاعتراف لذوي الفضل والإحسان، وحريّ بي أن أقدّم إلى كلّ من له الفضْل عليّ كلّ الشكر والتقدير .

ولعلّ ما تجود به قريحتي هو التعبير بكل معاني العرفان والوفاء إلى أستاذي الجليل الدكتور (المهدي الغويل) تقديرًا واعترافًا بفضْل تلمذة رسّختْ في البحث خطاي، فضْلٌ لا أنساه ما دام الوفاء سبيل التلاميذ، فكان نعم المرشد والموجّه نحو الجديد والمفيد .

كما أخصّ بالشكر الجزيل كل من أسْهم في إعداد هذه الأوراق من إدارة الدراسات العليا بالجامعة الأسمرية، والعاملين بمكتباتها، على ما بذلوه من جهد في سبيل توفير الإمكانات اللازمة داخل المكتبات من تنسيقٍ للكتب وترتيبٍ، ومحافظة عليها .

إلى كلّ أولئك أقف احْترامًا وشكْرًا ...

مقدمة :

الحمد لله الذي أنْزل على عبده الكتاب المبين، ولمْ يجْعلْ له عِوجًا إلى يوْم الدين، والصلاة والسلام على سيد الأوّلين والآخرين محمد- ρ - وعلى آله وصحبه الطيبين الطّاهرين . وبعد :

فإنّ القرآن الكريم، كتاب الله ودستور المسلمين، كثرتْ حوله البحوث والدراسات وما انتهتْ ... فهو الذخيرة الباقية الخالدة التي بها تحدى محمد- ρ - الأجْيال جميعًا، إنّه حجة الله على الخلق ... وحُجّة الرسول في رسالته ... فالقرآن هو النبع الإلهي الذي ينْهل منه المسلمون في كلّ وقْت .

وتعد بلاغتنا العربية من أعْظم علوم اللغة العربية التي تخْدم القرآن الكريم، وهي الأداة المهمة لفهْم معانيه، وإبْرازها في صورة موحية ناظرة للعيان تعطي الكثير بالجزل من اللفظ الموحى به من المولى – سبحانه وتعالى – وما في كلام العليّ من نكت بلاغية أخّاذة هادفة لبيان المعنى الدقيق المُفْحم ببلاغته وإعْجازه .

ولمّا كانتْ فيه البلاغة القرآنية على ذلك المستوى من الأهميّة آترث فيه البحْث على غيره من المواضيع الأخْرى فجاء عنوان الرسالة :

♥ البلاغة القرآنية في حِوار الأنبياء أقْوامهم ♦

فحِوار الأنبياء – عليهم السلام – أقوامهم منبثق عن معانٍ من الهدي في بيان الوحي العليّ الموحى به من المولى– عزّ وجلّ – إلى الأنبياء–عليهم السّلام.

هدفت هذه الدراسة إلى بيان بلاغة القرآن في كلام كلّ نبي حاورَ قوْمه، واقْتصرْتُ على الأنبياء المُحاورين أقْوامهم في بيان الحجّة والبرهان، وهم على ترتيب إرسالهم : نوح، هود، صالح، لوط، إبراهيم، شعيب، يعقوب، يوسف، موسى، سليمان، عيسى، إلياس، محمد - ρ - فمنهم منْ خاطبَ العوام، ومنهم منْ خاطبَ الملوك، غير أنّ سيّد الخلْق جاءَ حِواره عامًّا للعوام والملوك من البشريّة جمْعاء .

ومن الأسباب التي آلتْ بي إلى اختيار (البلاغة القرآنية في حوار الأنبياء أقوامهم) ميْدانًا للدراسة ما يلي :

1 – أنّ القرآن الكريم لا تنتهي عجائبه، ولا تنقضي حِكمه وأسْراره مهما اغترفَ منه الدارسون وأفاضوا بالشرح والتحليل .

2 – دوْر البلاغة القرآنية ومدى تأثيرها في استجابة الأقْوام لأنبيائهم .

3 – أنّ خصائص الدعوة وملامحها تحْمل طابعًا يختلف من حِوار نبي إلى حِوار نبي آخر على نوعية المدعويين (ملوك – بشر) ومراعاة أحوالهم .

4 – الكشْف عن الاتجاه البلاغي في حِوار كلّ نبي، ومدى تحقيقه أهدافه التي أمره الله بها .

5– أنّ دراسة البلاغة في حِوارهم– عليهم السّلام – وُجِدتْ في كُتُبٍ متفرّقة فقُمْتُ بجمْعها دُفْعة واحدة مُسْتقِلّة خِدْمة للنّص .

وقسّمْتُ البحث إلى خمسة فصولٍ :

خصّصْتُ الفصل الأوّل لدراسة (الحوار القرآني، مفهومه وأنواعه)، وتناولْت فيه : الحوار والجدل، وأنواع الحوار، وأهميته ... ثمّ تناولْت فيه الاستدراج ومجاراة الخصْم

وخصّصْت الفصل الثاني لدراسة أسلوبية تحليليّة للحِوار والسياق، فتناولْتُ أوّلاً الاستفهام والسياق الحِواري، ثمّ العطْف وتركه داخل السياق الحِواري ... ثمّ السياق والبعد البلاغي لدلالتي الأمْر والنهي .

وخصّصْت الفصل الثالث لدراسة العدول والسياق الحِواري، تناولْتُ فيه العُدول والإيجاز والإطْناب، والتقديم والتأخير، ثمّ الحذْف والذّكْر .

وجاء الفصْل الرابع لدراسة التصوير البياني في حِوار الأنبياء، متمثّلاً في التصوير الحسّي والتجسيم، ورسْم المشاهد في صورة حيّة متحرّكة، ثمّ التّشْخيص والتلْويح مع الإيحاء .

وخصّصْت الفصل الخامس لدراسة البديع المعنوي وذاتيّة حُسْنه في تقرير المعنى، وتحقيق الغرض متمثّلاً في : البنية التقابلية، وبنيتي الجمْع والتقسيم، وبنية اللف والنشر، وأسلوب الحكيم .

ولمْ تقتصر أكْثر حِوارات الأنبياء على ظاهرة بلاغية واحدة، ولكن الحِوار القائم بين الأنبياء وأقوامهم أحْيانًا يجْمع بينَ عدّة ظواهر بلاغية، منها ما يدْخل في بلاغة التراكيب، ومنها ما يدْخل في الظواهر البيانية، ومنها ما يدْخل في الظواهر البديعية، ولهذَا فإن تصنيف الظواهر في الفصول إنما هو تصنيف نسبي مُراعاة لغلبة ظاهرة على أختها، وفي الحِوار الواحد راعيْتُ رصْد الظواهر البلاغية الأسلوبية في الحوار معظمها، ولمْ أقْصر التعليق على الظاهرة المذكـــــــــــــــورة في

موقعهـــــــــا فقــط ؛ تجنّبًا للتكرار على الحوار الواحد، مع إغفال ظواهر متعددة تنص عليه وتوحي به .

أمّا مصادر البحث ومراجعه فهي متنوعة بين القديم والحديث، فاستفدْت من الدراسات البلاغية والأدبية والنقدية، والأسلوبية، وأخصّ بالذكر منها كتابي عبد القاهر الجرجاني (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة)، وقدْ كانَ لكتب القرآن وعلومه نصيبٌ وافرٌ في مادّة البحث، وأخصّ منها كتاب (البرهان في علوم القرآن) لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، كما استعنْت بكتب الدراسات الأسلوبية، وأخصّ منها كتاب (البلاغة والأسلوبية) لمحمد عبد المطلب، كما رجعْت إلى كتب التفسير وبخاصّة تلك التي تعني بالمادة البلاغية، وأخصّ منها تفسير (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) للزمخشري، وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، وتفسير (في ضلال القرآن) للسيد قطب .

واتبعْت المنهج الوصفي الاستقرائي القائم على جمْع حِوار الأنبياء – عليهم السلام – وتحليل حِوارهم تحْليلاً كاشفًا عن المعنى البلاغي، وقد اكتفيت ببعض الشواهد الحوارية الموجودة في الذكر الحكيم، ولم أتناولها مجْملة؛ بل اكتفيْت بالقليل.

وبعد: فانيّ لا أدّعي الكمال فيما كتبْتُ ... وإنما يبقى الكمـــــــــال لله – وحده – لا شريك له - وهو المستعان على كلّ شيء .

وختامًا: أسال الله – سبحانه – أنْ يكون عملي خالصًا لوجهه الكريم، وأن يرزقني السداد في القوْل والإخْلاص في العمل، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا ورسولنا محمد وعلى آله وصحبه أجْمعين .

تمهيد:

نزل القرآن الكريم وحْيًا على نبي الله محمد - ρ - ليخاطب العرب أوّلاً، وبعدها يخاطب الإنسان في كلّ مكانٍ وزمانٍ .

فالخطاب القرآني واضحٌ سهْل المسْلك لا يجد العقْل والوجدان صعوبة في تلقيه وفهْمه، فهو خطاب وجداني وعقْلي في آنٍ واحد؛ لمخاطبته النفس البشرية بتحريك نوازع الخير في غلبته على نوازع الشر، ويخاطب عقْل الإنسان للإقْناع بقضايا فكْرية تحتاج إلى البرهان، وقوّة الدليل للإيمان بها وقُبُولها ...

ومما لاشكّ فيه أنّ الخِطاب القرآني هو خطاب رباني صادر من الله - جلّ وعلا – خالق كلّ شيء، وهو القائل جلّتْ عظمتهڇ ڇ ڇ چ چ ڇ ڇ ڇ * چ ڇ ڇ
ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڇ[الزمر: 1- 2].

وقدْ بيّن عبد القاهر الجرجاني[1] السّر الذي تميّزَ به الخِطاب القرآني عن غيره من النصوص الأدبية بقوله :- " وذاكَ أنّا إذَا كنّا نعلمُ أنّ الجهةَ التي منها قامتِ الحُجّةُ بالقرآنِ وظهرتْ، وبانتْ وبهرتْ، هيَ أنْ كانَ على حدٍّ من الفصاحة تقْصُرُ عنه قُوى البشرِ، ومنْتهيًا إلى غاية لا يطْمحُ إليها بالفِكَر ... "[2] . فلهذا جاء الخِطاب القرآني فريدًا متميّزًا في نسْجه، فجعل المتلقّين وقْت نزوله وخاصّة الكافرين من قريش وضواحيها يعتقدونه سحْرًا، وقد حكى القرآن ذلك بقوله :-ڇ ٻ ٻ ٻ ٺ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ * ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڌ ڌ ڎ ڇ[الأحقاف : 7– 8] . وما يدْعوهم إلى قوْل هذا هو قوّة تأثيره في القلوب إلى الحدّ الذي جعلَ تأثيره يشبه السحر، بعكْس خِطاب البشر؛ لأنه مهمَا كانَ أثره وقوّة مشاعر البشر وأحاسيسهم لا يرْقى إلى جزْء مما يحدثه القرآن الكريم في قلوب البشر.

أوّلاً : بناء الخطاب القرآني [3]

---

1 - أبو بكر عبد القاهــــــــــر بن عبد الرحمن، ابن محمد الجرجاني، من أئمة اللغة في جرجان، له من التصانيف (أسرار البلاغة، دلائل الإعجاز ...) توفي سنة (471 ه وقيل سنة 474 ه) . ينظر : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، 2 / 106، د.ط ، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1419 ه / 1998 م . رقم الترجمة (1558) .

2 - دلائل الإعْجاز، أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي ، تح : محمود محمد شاكر، ص 8، 9 ، ط 3، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، 1413 ه / 1992 م .

3 - ينظر : الخطاب النفسي في القرآن الكريم، (دراسة دلالية أسلوبية)، كريم حسين ناصح الخالدي، ص 21 ط 1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 1428 ه / 2007 م .

إن المتلقي لآيات الذكر الحكيم، يحتاج إلي معرفة أسرار هذا الخطاب المعجز لسبب بسيط هو كونه خطابا ليس بشريا، بل هو خطاب رباني تضمن أشياء مازال الناس إلي يومنا هذا عاجزين عن فهم أسرارها وإدراك غاياتها .

لايختلف النص القرآني في بنيته ومكوناته عن بنية النص الأدبي العربي منْ ناحية ألْفاظه، ونظام بناء جمله ... فالألْفاظ عربية ومتداولة في الشعر العربي، ومثلها بناء الجمل موجود ومعْروف في النص الشعري ... ولكن الذي ميّز الخطاب القرآني عن النص الشعري هو نظْم مفرداته وارتباط بعضها مع بعض في أسلوب جذاب مفْعم بالحركة والأحاسيس ... فمثلاً المفردة القرآنية : اهتم العلماء بها من حيث صياغتها، وتنوع بنائها، وتعدّدتْ الدلالات على حسب ورودها داخل السياق القرآني، فذكروا أنّ للألفاظ والمفردات في القرآن الكريم مواضع تلائم معانيها . فالخطاب القرآني يختار الألْفاظ ويضعها في موضعها المناسب، والوصف للألفاظ القرآنية يُبرِز المعاني النفسية وغير النفسية التي عبّر عنها القرآن الكريم؛ لأن اللفظ في أغلب حالاته يكون معبّرًا عن المعنى دالاً على الحدث منْ غير بحْث عنْ معناه.

وبالمثْل الجمْلة القرآنية، فإنّ مصطلحات تراكيبها ونظْمها تُعْطي دلالات متقاربة مع ضمّ الألفاظ مع بعضها في بناء متكامل، معناه يُلْجم المُخاطب بما يُحْسن السكوت عليه . وعلى هذَا الأساس جعلَ عبدالقاهر نظريته المسماه(بالنظم) عاملاً بارزًا منْ عوامل إعْجاز القرآن الكريم، وفي هذا قال: " أعْجزَتْهمُ مزايَا ظهرتْ لهم في نظمه، وخصائصُ صادفوها في سياقِ لفظه وبدائعُ راعتهم من مبادئَ آيهِ ومقاطِعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضْربِ كلَّ مثل، ومساقِ كلَّ خبرٍ، وصورةِ كلَّ عظةٍ وتنبيهٍ،وإعْلامٍ وتذْكيرٍ، وترْغيبٍ وترْهيبٍ، ومع كلَّ حُجّةٍ وبُرهانٍ وصفةٍ وتبْيانٍ ... " [1] . وعلى هذا فالجملة القرآنية تتميز بـــــــ: كوْن ألفاظها اكْتسبتْ دلالات إسلامية ضمْن تراكيب قرآنية عدّة، كالصَّلاة، والصوْم، والزكاة ... وغيرها من الألفاظ التي اكْتسبتْ دلالات شرعيّة أوْ عرفيّة جديدة بحسب ورُودها في النسيج القرآني بعلاقات خاصة بعضها مألوف، والبعض الآخر غير مألوف .

وبطبيعة الحَال لنْ نكون شاخصين إزاء تراكيب الألفاظ القرآنية ومعانيها فقط، ولكن البحث يقتضينا النظر فيما أحاطتْ به هذه التراكيب من ظواهر بلاغية أخرى تنْدرج فيما عُرف في البلاغة العربية بعلْم البيان من تشبيه ومجاز وكناية، وما عُرف في علْم البديع من طباق ومقابلة ... وغيرها .

1 - دلائل الإعجاز ص 39 .

الطوائف التي حاورَهَا الخِطاب القرآني [1] :

يؤكد الخطاب القرآن وحدانية الله- تعالىٰ-وأنه لاشريك له، وقد عبر الله – سبحانه وتعالي– عن ذلك بقوله: چ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ى ى ئا ئا ئه چ [الأنبياء:22] لذا جاء الخطاب القرآني مؤكدا التوحيد الإلهي في آيات كثيرة، وخاطب طوائف عدة تنادي بوجوب وحدانيته جلّت قدرته .

جاءَ الخِطاب القرآني مؤثّرًا في النفس البشرية بالتوغل في أعماقها ليزْرع فيها جذور الإيمان، والتقوى والعمل الصالح . وما يترتّب على تفرّده – سبحانه وتعالى – بالألوهيّة أنّه جاء خِطابه متنوعاً، فخاطبَ طوائف عدّة ممن انحرفوا عن التوحيد فخاطبَ-مثلا: المشركين الذين عبدوا الأصْنام والأوْثان كقولـــــــــــــه تعالىٰ: چٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ [النساء : 48] . وخاطب النصارى واليهود الذين أقرّوا بوجود ثاني اثْنيْن، أو ثالث ثلاثة، مُخالفين تعاليم الدين الإسْلامي، كقولهچ ڑ ڑ ک ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ چ[المائدة : 73] . وخاطب المُلحدين: وهم المنكرون وجُود الله - تعالى – أصْلاً – فعبدوا الشمس، والشيطان ظانين أنها تجْلب لهم الخيْر والفلاح، كقوم عاد، وثمود، الذين عصوا أمْر أنبيائهم، وكانتْ نهايتهم الويْل والهلاك .

ثانيًا : الأنبياء والرّسل – عليهم السلام - [2] .

اصطفاهم الله - تعالى – من البشر، وكرّمهم على سائر الخلْق بأنْ كلّفهم مهمّة التبليغ إلى أقْوامهم، فأرْسلهم إلى الأمم بحسب تعاقب الزمن، والهدف منْ إرْسالهم هو التبشير والترغيب في مبادئ الدين الإسْلامي قال تعالىچ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ چ[الأنعام : 48] .

والرسل بشرٌ كسائر الناس يعيشون ويأكلون مثْلهم، وليْس الاختلاف إلاّ في كوْنهم يحملون رسالات الله، ويبشرون بما يُوحى إليهم منْ ربهم ... وقابلَ الأقْوام

1 - ينظر : الخطاب النفسي في القرآن الكريم ص 41 .
2 - ينظر : الخطاب النفسي في القرآن الكريم ، ص 63 وما بعدها ...

رسالات أنبيائهم بالرّفْض والصّد ... لأنّ ما يقولونه ويعْملون به هو موروث خلفًا عنْ سلف، وهو سنة آبائهم ومعتقداتهم التي كانتْ سائدة معهم .

وبعون الله – تعالى – وهداه أتمّ نبي الله محمد - ρ - إبلاغ رسالة ربه بأمانة ليكون أكْمل دين للبشرية . قال تعالى : چ چ چ چ چ چ چ ڍ ڍ ڌ ڌ چ [المائدة : 3]. وقد دعا الخطاب القرآني الناس جميعًا أن يتبعوا هذا الدين، ويؤمنوا بما جاء به قال الله – تعالى- چ ڃ ڃ ڃ چ چ چ [آل عمران : 19] .

وعلى العموم فإنّ الرسل – عليهم الصلاة والسلام – يحملون فوق الأعباء التي يحملها البشر أعباء أخرى، تتمثل في إبلاغهم رسالات ربهم إلى الناس لما يقتضيه ذلك من قدرة على تحمل الأذى، وبذْل الجهد لإقناع الناس، لذلك كان الأنبياء مصطفين يتمتعون بخصالٍ حميدة تميزهم عن غيرهم من البشر قال – تعالى – عن رسول الخلق أجمعين- ρ - چ ڳ ڳ ڳ ں چ[القلم :4] وقال عن الأنبياء– عليهم السَّلام – جميعًا مخبراً عنهم القرآن چ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ژ ڑ ک ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ چ[مريم : 58] .

وما يهمنا في هذا البحث هو حِوارهم – عليهم الصلاة والسلام – ممْزوجًا بالبلاغة القرآنية المستقاة منه ... ذلك أنّ المخاطبين يختلفون ذوْقًا وثقافةً، ويختلفون زمناً وبيئةً، ومن اللائق أنْ تُصاغ دعْوة كلّ طائفة في أدبٍ يليق بأذْواقها وثقافاتها .

الفصل الأول: الحوار القرآني مفهومه، أنواعه

المبحث الأول: مفهوم الحِوار والجَدَل

أولاً: تعريف الحِوار:

للحِوار في اللغة معانٍ شتى، وهو مأخوذ من قولهم: (حَارَ – يحُورُ حَوْرًا وحَؤُورًا) . بمعنى رَجَعَ .

" الحوْرُ: الرجوع عن الشيء، وإلى الشيء، حارَ إلى الشيء، وعنه حوْرًا، ومَحَارًا،ومَحَارَةً، وحُؤُورًا: رجعَ عنْه وإليه " [1]. وقِيلَ " حَارَ بعْد ما كان، والمُحَاوَرة والحَوار: المُرادَّة في الكلام، ومنه التّحاو: قال تعالىچ ٻ ٻ ٻ ٻ ٱ ٱ ٻ چ[المجادلة : 1] [2] ، والمُحاورة : المُجاوَبة ومراجعة النّطق والكلام في المُخاطبة، وقد حَاوَرَه وتحَاورُوا: تراجعوا الكلام بينهم وهُمْ يتحاورون [3] .

فالمعنى اللغوي العام للحِوار هو مُراجعة الكلام والحديث بين طرفين أو أكثر، فإذا أضيف إلى أقوام الأنبياء أصْبحَ معناه ما يدورُ من الكلام والحديث، والجِدال، والمناقشة بينَ الأنبياء وأقوامهم .

وبناء على ما تقدم فإنّ الحِوار في معناه العام هُو: الكلام المُسْترْسل من شخْص إلى شخْص آخر، أوْ منْ شخْص إلى مجموعة وهكذا، والردّ على الطرف الآخر في الموضوع والهدف نفسه . ومن هنا يلتقيان في الرجوع عن الكلام، أو في تلقي الكلام من الطّرف المُحاور والرّجُوع عنه .

فالهدف من حِوار الأنبياء أقْوامهم، تغيير ما همْ فيه من الشرك بالله، ونبذ العادات التي كانوا يمارسونها، والنهي عن عبادة الأصنام والأوثان، والانضمام تحت شريعة الدين الإسلامي، وعبادة الله – تعالى – الواحد الأحد . [4]

---

1 - لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط 1، 1374ه/ 1955 م، 1412ه/ 1992م،217/4، مادة (ح. و. ر) .

2 - معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تح : إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418 ه / 1997 م، ص: 151 .

3 - ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، 11 / 108 مادة (ح . و . ر)، المكتبة الشاملة ، الإصدار (28 . 3) .

4 - ينظر: الحوار لغة القرآن الكريم والسنة النبوية، إبراهيم أحمد الوقفي، دار الفكر العربي، ط1 ، 1414 ه / 1993 م ، ص:9

فإذا كان الحِوار " يمثل مظْهر الحياة في معناها الحركي، فإنّ اللاحوار يمثل معنى الموت في جُموده وسكونه " [1]، وبهذا فإن الواقع ينقسم قسْميْن : حركة وجمود، حياة وموْت، فالأوّل يعيش الجوّ الروحي، والآخر يعيش الجمود الفكْري .

ثانياً : القرآن كتاب الحِوار :

القرآن الكريم كلام الله المُعْجز وهو" كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل منْ بين يديْه، ولا منْ خلْفه، وهو الحقيقة الفاصلة الحاسمة التي لا يرْقى إليها الشك " [2]، وهذا واضحٌ في قوْله تعالى چ ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ چ [البقرة:2]

فالقرآن الكريم مثّل في حياة الإسْلام والمسلمين المدرسة التي انطلق منها النبي محمد - ρ - وأصحابه في اعتماد أساليب عدة للحوار، والإطار العام للخط الإسلامي الذي يوصل المحـاور إلى مبْتغاه الطبيعي من الانضمام تحت لواء الإسلام والمسلمين [3] .

وإذا ما تتبعنا آيات المصحف الشريف، لرأينا الأساليب التي أراد الله – تعالى – لنبيه محمـــد - ρ - أن يتبعْها وينْطق بها في مجال الدعوة الإسلامية ولغيره من الأنبياء، حيث تناول القرآن الكريم أساليبهم العملية في صِراعهم مع أقْوامهم، منْ أجْل نشْر رسالاتهم وتبليغها أقْوامهم، وهذا في أكْثر منْ سورة .

ثالثًا : كلمة الحِوار في القرآن :

مع أنّ كثيرًا من آيات القرآن تحدثت عن الحِوار الذي جرى بين الأنبياء – عليهم السلام – وأقْوامهم، إلاّ أنّ كلمة الحوار استعملها في آيات ثلاث وهي :

الأولى : في سورة الكهف في قوله تعالى :چ ي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ [الكهف : 34] .

الثانية : في سورة الكهف في قوله تعالى چ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ [الكهف : 37] .

الثالثة : في سورة المجادلة في قوله تعالى چ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ چ [المجادلة : 1] .

---

1 - الحوار في القرآن، محمد حسين فضل الله، ، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع، ط 6، 1421 ه / 2001 م ، ص:28 .
2 - السابق .
3 - ينظر : السابق .

يقول الله – تعالى – في سورة الكهف [في الآية 34] " بعْد ذكْره المشركين المُستكبرين عنْ مُجالسة الضّعفاء والمسَاكين من المسلمين، فضَرب لهم مثلاً برجلين جَعَلَ لأحدهما جنّتيْن فيها النخيل والأنهار المتفجرة... [1]، وأوْقع افتخاره عليه بأنه أكثر منه أولادًا وخدمًا، أي أنّه مخْدوم وليسَ خادمًا .

وأما الآية الأولى من سورة المجادلة، فموْطن الشاهد فيها في قوله : [والله يسمع تحاوركما]، والتحاور هنا معناه: التجاوب، أي يتراجعان في الكلام .

نفهم من ذلك أنّ كلمة الحِوار التي مرّتْ في الآيات [الآيتان 34، 37] من سورة الكهْف جاءتْ في معْرض الحديث عنْ قصّة صاحب الجنتين، وحِواره مع صاحبه الذي لا يملك الكثير من المال ... وأما الآية الأولى من سورة المجادلة فوقع الحِوار بين المرأة وزوْجها التي جاءتْ النبي تشكو منْ ظهار زوْجها، وأنّ الله سمِع الحِوار الذي دارَ بين المرأة والنبي محمد - ρ - .

نخْلص منْ ذلك أنّ الكلمات الثلاث للحِوار وقعتْ في محلّ التّخاطب والحديث بين الطّرفيْن وهي على الترتيب: (صاحب الجنتين وحِواره مع صاحبـــــه)، (والمرأة والنبي محمد - ρ - وهذا يوجِب تأكيد المعنى اللغوي الذي ذكرته لِكلمة الحِوار، وهو الكلام والحديث المتبادل بين الطرفين .

رابعًا : بين الحِوار والجِدال :

1 - مختصر تفسير ابن كثير، تح : محمد علي الصابوني ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 2، 1419 ه / 1999 م، 2 / 415 .

لعلّه من الضروري أن نفرّق بين الحِوار والجِدال تفريقًا يُميّز أحدهما عن الآخر، وذلك بعد الوقوف على تعريف الثاني .

فالجدال في اللغة يرْجع إلى مادّة (جَدَلَ) .

قال ابن فارس[1]: الجيم والدّال واللام أصْلٌ واحدٌ، وهو منْ باب اسْتحْكام الشيء في استرسالٍ يكون فيه، وامتدادِ الخصومةِ، ومراجعةِ الكلام . [2]

و الجدال في اللغة على قول ابن منظور[3]: يعني: اللّدَدُ في الخُصومة، والقدْرةُ عليها، وجَادَلَه أي:خاصمه مُجادلةً، وجِدالاً، والاسم:الجَدلُ، وهوشدّة الخصومـــــــــــــــة، والجَدَلُ: مُقابلة الحُجّة بالحُجّة، والمُجادلة: المُخاصمة، والمُناظـــــــــرة [4] .

وبهذا فالمعنى اللغوي للجدل يدُور حوْل الخُصومة، والمُغالبة، واللّدد، والمُنازعة ومُراجعة الكلام [5].

أما تعريف الجَدَل في الاصطلاح فهو" المفاوضة على سبيل المنازعة والمُغالبة" [6]، ويقول الجرجاني[7] : الجدل دفْع المرْء خصْمه عنْ إفْساد قوله بحُجّة أوْ شبهة، أوْ يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة

كما إن الحِوار والجدال يلتقيان في كونهما حديثًا، أو مُراجعة بين طرفين، لكنهما يختلفان بعد ذلك، فالحِوار سبق تعريفه ومفْهومه، أما الجدل فيكون – في

---

1 - أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين : من أئمة اللغة والأدب ، أقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها. من تصانيفه : (مقاييس اللغة)، توفي سنة (395 ه) . ينظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان 1 / 118، لابن خلكان، (د ،ط)، دار صادر، بيروت، 1397 ه / 1977 م، رقم الترجمـــــــــة (49) .

2 - ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ، 1420ه/ 1999م، 1 / 222 .

3 - عثمان بن محمد بن يحيى بن محمد بن منظور القيسي المالقي، أبو عمرو الأستاذ القاضي يعرف بابن منظور، وهو من معمور بالنباهة، برز في الفقه والعربية إلى أصول وقراءات وطب ومنطق، من مصنفاته: لسان العرب، توفي سنة (735 ه) ينظر: بغية الوعاة ، 2 / 136 . رقم الترجمة (1735) .

4 - ينظر: لسان العرب، 11 / 105، مادة (جَدَلَ) .

5 - ينظر: فن الحوار (أصوله – آدابه – صفات المحاور)، لأبي عبد الله فيصل بن عبدة قائد الحاشدي، تقديم: محمد بن اسماعيل العمراني، مقبل بن هادي الوادعي، ص 14، 15، 16، (د ، ط)، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، (د، ت)، ص 14،15، 16 .

6 - معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص: 101، مادة (جَدَلَ) .

7 - علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني، ولد سنة (740 ه)، فيلسوف من كبار العلماء بالعربية، أقام في شيراز، ودرس فيها، وبقي فيها إلى وفاته سنة (816 ه)، له خمسين مصنفا منها التعريفات، ينظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخـــــــاوي، م 3 . ج 5 / 328، (د ، ط)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة،، (د ، ت)، رقم الترجمة (1087) .

الغالب – اللّدد في الخصومة والمنازعة، وما جرى مجراها من العِناد والشدة، والتّمسّك بالرأي، تعصّبًا له، ومحاولة لإسْقاط الخصْم وهزيمته .

فالتعبير القرآني كما هو واضح في الآيتين الكريمتين، في قول الله– عز وجـــــــــــــل- چ ے ۓ ۓ ڭ ڭ چ [النحل : 125]، وقوله – عز وجل - چ ب ب ب ب پ پ پ پ چ [العنكبوت: 46] والآمرتان بالجِدال جاءتا على صيغة أفْعل التّفضيل في قوله [أحْسَنُ]، وهذا دلالة على وجوب اتّصاف المُجَادل بأفْضل الصفات، في إلقائه لأجْمل الكلمات والخطابات حتى يؤدي الجِدالُ النتائج المرجوة من ورائه ....(1) وهذا تأكيد على أن الجدل هو منبع الشّدة والخصومة والمنازعة بين الأطراف .

وقد وردَ لفظ الجدل في القرآن الكريم تسْعًا وعشرين مرّة كلّها في معْرض الذّم، إلا في ثلاثة مواضع وهي التي مرّ ذكْرها في آية النّحْل، وآية العنكبوت، وأوّل آية من سورة المجادلة وهي قوله: چ ٱ ب ب ب پ پ پ پ چ [المجادلـــة : 1][2]غير أن هناك الكثير من الباحثين يرون أنّ الجِدال المذكور في قول الله - تعالى – عن قوم نـــــــــــوح - ں - چ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ چ [هود : 32]، وقوله تعالى چ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ [هود : 74] داخلٌ في الجِدال المحمود؛ لأنّ جِدال رُسل الله – عزّ وجلّ – جِدالٌ محمودٌ، وليْس فيه لِجاجٌ ولا خصومة، وهذا هو المنهج الربّاني الذي ارتضاه المولى– عز وجل- لصفْوة خلْقه من البشر، وهؤلاء الأنبياء المرسلون – عليهم الصلاة والسّلام - ، وما حصلَ بينهم وأقْوامهم من مناظرات عِدّة، التزم فيها المرسلون الأدب والخلق الحسن؛ لتبْليغ دعوة ربهم – جلّ وعلا – غير أنّ الأقوام على الغالب قابلوا أسلوب الأنبياء المُسالم واللطيف بالفضاضة والقسوة، والتكذيب والاستكبار (3) . غير أن الحِوار يَرد في القرآن الكريم في مواضع كثيرة جدّا، حتى وإنْ لمْ تسْتعْمل مادة الحِوار نفسها، وإنما تستعمل كلمة (قالَ) التي وردتْ في القرآن الكريم خمسمائة وتسع وعشرين مرّة (4)، وأصْل القوْل هو الحِوار .

ومن هنا يتبيّن أنّ الجِدال مذْمومٌ في معظم حالاته، لقيامه على المِراء والخصُومة والمُنازعة ...

---

1 - ينظر: وسائل الدعوة، عبد الرحيم بن محمد المغزوي، دار اشبيليا للنشر والتوزيع، ط 1420،1 ه / 2000 م ، ص: 90 .

2 - ينظر: الجدل في القرآن، حسن الشرقاوي (د ، ط)، منشأة المعارف بالإسكندرية،(د ، ت)، ص: 8 .

3 - ينظر: أدب الحِوار في الإسلام، محمد سيد طنطاوي، (د ، ط)، نهضـــــــــــة مصر للطباعة والنشر، 1997 م، 1999م، ص:143 .

4 - ينظر: السابق ص174 .

أما الحِوار والمُحاورة فهو مراجعة الكلام بين طرفين، بحيث يَسْتَرْسل من الأوّل إلى الثاني، ثمّ يعود الكلام إلى الأوّل ... وهكذا دون أنْ يكون الغرض الأصْلي منه المنازعة والغلبة . فالحِوار بهذا المعنى ضرْبٌ من ضروب الأدب الرفيع يغْلب على أجوائه – في الغالب– الهُدوء والليونة، وبرودة الأعْصاب، والبُعْد عن التعصّب [1]

خامسًا : ألفاظ مرادفة للحوار :

هناك ألفاظٌ منتشرة مُقاربة للحِوار في المفْهوم العام، وإنْ كان هناك فروقٌ تميّزها عنْ مفهوم الحِوار . ومن تلك الألفاظ ما يلي :

الجِدَال، والمُناظرة، والمُناقشة، ونحوها؛ فهذه الألْفاظ في مآلاتها – تَرْجع إلى طريقة البيان والتبيين التي أوْدعها الله في البشر؛ فهي – بهذا النمط – مترادفة [2] ، ويكون المعنى متبايناً علاوة على الفروق التي تميّز بعضها عن بعض مثلاً :

الجَدَل – كما سبق – يُراد منه إلْزام الخصْم وإظْهار الغلبة عليه .

و ناظره من المُنَاظَرة، والنّظير: المِثْلُ، وقِيلَ المِثْلُ في كلّ شيء، وفُلانٌ نظِيرُك أيْ مثْلك... ونَظِير الشيء مثْلُهُ... [3] .

وبهذا فإنّ المُناظرة: تردّد الكلام بين الشّخْصيْن، والنظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين؛ إظْهارًا للصواب [4]، وإبْطال قوْل صاحبه مع رغبة كلّ منهما في ظهور الحقّ . وهذا لا يتسنّى لجاهِلٍ مقابل عالمٍ، بلْ بشـــــــــــرط التكافـــــــــــؤ، في حين أن الجِدال والحِوار يمكن أنْ يقعا بين نظيريْن أوْ غير نظيرين، ومن هنا تميّزتْ المناظرة عنِ الجِدال والحِوار[5].

والفرق بين المُخاصمـــــــــــة والمُجادلة والمُناظرة هي نظائر، وإنْ كانَ بينهما فرْقٌ[6]، فإن المُجادلة هي المُخاصمة فيما وقعَ فيه خِلافٌ بين اثْنيْن والمخاصمة منازعة المخالفة بين اثنين على وجه الغِلظة، والمُناظرة ما يقع بين النظيرين.

---

1 - ينظر: فن الحِوار، ص 17، وفنون الحِوار والإقْناع، محمد ديماس، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1420 ه / 1999 م، ص: 11 .
2 - ينظر: فن الحوار، ص 17، وما بعدها .
3 - ينظر: لسان العرب (نَظرَ) 5 / 215 .
4 - ينظر: التعريفات للجرجاني ص 298 .
5 - ينظر: فن الحوار ص 17 وما بعدها .
6 - معجم الفروق اللغوية لكتاب أبو هلال العسكري من كتاب السيد نور الدين الجزائري، ط1، 1412 ه، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي، 1 / 488 .(المكتبة الشاملة، الإصدار، 28. 3) .

والمناقشة أحْيانًا تكون من طرف على طرفٍ بحيْث يُورد أحدهما على الآخر ما يورد من التوصيات والتعقيبات ... وغيرها، فيقوم الآخر بتبيين وجهة نظره في هذا الشأن، ويغْلب على المناقشة أنْ تكون من العالم لمنْ هو دونه، وأقلّ منه .

أما الحِوار فيتميز بأنه المُراجعة في الكلام بينَ طرفين من غير أنْ يكون بينهما ما يوجب الخُصُومة، أو التعقيب في الكلام .

وخلاصة لما تقدّم أن الفرْق بيْن الحِوار وما يقاربه من معانٍ أخرى يكونُ في الموْقف الحِواري، وغاية المتحاورين، أوْ أسلوب الحِوار، وآدابه، وأنواعه...[1] وعلى أية حال فهذه ألْفاظ متقاربة من بعض، وأحيانا يدلّ بعضها على الآخر .

سادسًا : عناصر الحِوار وشروطه :

لابد للحوار من مُناخٍ يعيش فيه، كيْ يتحوّل إلى عملية مُنْتجة فعّالة بدلاً من أنْ يكون عملاً ضيّقًا عميقًا لا يهْدف إلى وُجود هدف مشترك بين طرفين " وقدْ أرادَ الله – تعالى – للرسول في القرآن الكريم أنْ يوجد القاعدة الأساس لهذا المناخ بالتخطيط العملي لتوفير الخصائص الضرورية لذلك، منها: شخصية المُحاوَرْ والمُحاورْ، والحالة النفسية بينهما، ومعرفة كلّ طرفٍ لموضوع الحِوار، والأسلوب الذي يوجهانه لمُراجعة الكلام بينهما "[2] . ومن خلال تتبّع ذلك تُلَخّص شروطه في نقاط هي:

1 – شخصية المُحاوِرْ: وهو الذي يدير عملية الحِوار؛ أيْ عليه أنْ يملك شخصيّة واضحة وليْستْ غامضة، وأنْ يملك حريّة الحركة الفكْريّة، وليس الجمُود الفكري أمام الاقتراحات الموضوعة لموضوع الحِوار " فقد عمل الرسول - ρ - من خلال تعاليم الله في القرآن على توفير الجو المناسب لمنْ يحاورهم، ويؤكد لهم طبيعتة البشريّة، فهو بشرٌ مثْلهم، لا يمْلك أيّة قوّة غير عاديّة في تكْوينه الذاتي"[3] وهو رسول يوحى إليه بوحي من ربه، ويأمره بتبليغه للناس كافة. قال تعالى چ □ چ[الكهف : 110] .

2 – شخصية المُحَاوَر:

1 - ينظر : السابق ص 13 وما بعدها .
2 - الحوار في القرآن ص: 67 .
3 - السابق ص: 68 .

إذْ كان المُحاوِرْ يمْلك حرّيّة الحركة الفكريّة، فإنّ المُحَاوَرْ" لابدّ منْ إعْداد جوّه الدّاخلي للاقتناع بالنتائج الحاسمة التي يقوده إليها الطرف الأوّل، وإلاّ انْقلب الموقف إلى جدلٍ عقيم " [1]،وقد جادلَ الرسول - ρ- اليهود بالتي هي أحسن. قال تعالى چ ب ب ب ب پ پ پ پ چ [العنكبوت :46]، إقْناعًا لهم، وتوصيلاً لهم إلى الهدف المطلوب .

3 – الهُدوء للتفكير بين الطرفين :

" لعلّ من أشدّ الأمور ضرورة لوصول الحِوار إلى هدفه وجُود الأجْواء الهادئة للتفكير الذاتي الذي يمثل فيه الإنسان نفسه وفكْره، والابتعاد عن الانْفعال الذي يعيق الهدف والغاية " [2]، وأنْ يكون الحِوار بريئًا من التعصب خالصًا لطلب الحق، خاليًا من العنف والانفعال، بعيدًا عن المشاحنات الأنانية والمغالطات البيانية [3] وذلك هو الأصْل لموضوع الحِوار؛ لأنه يقوم بين الطرفين، ولوْ كانَا غير مهيّأيْن للهدوء، فلنْ يَصِلاَ إلى نتيجة حاسمة، فالهدوء هو السّبيل لجعْل الحِوار أكْثر مُتْعة واسْتجابة. ومن لوازم الهدوء : حُسْن الاستماع والإصغاء للآخرين، وإعطائهم الفرصة للتعبير، والابتعاد عن التهكم والسخرية .

4 – المعرفة لموضوع الحِوار :

إذا كان معرفة شخصيّة الطرفين المتحاوريْن ضروريّا، وفي جوّ هادئ بعيدًا عن الانفعال، فإنّ المعرفة لأصْل الحِوار ضرورية جدًّا، " لأنّ الجهْل بالفكْرة وبتفاصيلها يُحوّل الحِوار إلى أسْلوب من أساليب الشتائم، التي يغطي بها كلّ منهما ضعْفه وعجْزه عن الوقوف أمام الفكْرة " [4] . فيجب على المُحَاوِر ألاّ يناقش في موضوع لا يعرفه، ولا يدافع عن فكْرة لم يقْتنِعْ بها، فإنه بذلك يسيء إلى الفكرة والقضية التي يدافع عنها، ويعرّض نفسه للإحراج، وعدم التقدير والاحترام [5] .

وقدْ أعْطانا القرآن الكريم بعض النماذج البشرية التي وقفتْ ضدّ الرسالة والرسول محمد - ρ - منْ دون أنْ يكون لها معْرفة وإحاطة بالموضوع [6]، كما في قوله - تعالى- في سورة آل عمران چ گ گ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ

---

1 - السابق .
2 - الحوار في القرآن ص 75.
3 - ينظر : أصول الحوار وآدابه في الإسلام 1 / 9 ، المكتبة الشاملة، الإصدار (3. 28) .
4 - السابق ص 80 .
5 - ينظر:آداب الحوار وقواعد الاختلاف، عمر بن عبد الله كامل، 1 /17، المكتبة الشاملة، الإصدار (3. 28
6 - ينظر : الحوار في القرآن ص 80 .

ﭐﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭑ[آل عمران : 66] تشير هذه الآية إلى " إن الذين يخاصمون النبوات إنّهم يدْخلون معْركة الحِوار دون سِلاح؛ لأنهم لا يملكون علمًا أوْ حجّة، مما جعلَ من جِدالهم قضيّة مِزاج وعقدة نفسية تتحكّم بهم [1]، وما يؤكد أهمية هذا الشرط أن المعْرفة تجعل كلاّ من الطرفين واعيًا لهدفه، ويجْعلْه يعْرف كيف يبدأ الحِوار، وكيف يخوض فيه، وكيف ينتهي منه في وضوح الرؤية، وهُدُوء الفكْر والعقْل .

المبحث الثاني : أنواع الحِوار وأهمّيّته

أوّلاً : أنواع الحِوار :

تنوّع الحِوار في القرآن الكريم إلى عدّة أنْواعٍ تبعًا للموضوع المقْصود :

أوّلاً : حِوار الله – جلّ وعلا – فقد تحاور مع :

1 – الأنبياء 2 - الملائكة 3 – إبليس

ثانيًا : حِوار الأنبياء – عليهم السلام – أقْوامهم

ثالثًا : حِوار الإنسان مع:

1 – بني جنسه (الإنسان) .

2 – مع الحيوان .

---

1 - الحوار في القرآن ص 82 .

أوّلاً : حِوار الله – عز وجل – مع الأنبياء :

1- حاورَ الله – عزّ وجلّ – أنبياءه، وجاء حِواره لهم في أكثر من سورة، فمثلاً حاور الله – عزّ وجلّ – النبي نوح - υ - عندما سأله عن مصير ابنه الذي خالف وعصى أمره، مصوّرًا القرآن هذه الوقائع في قول الله – تعالـــــــى- چ ى ې ې ۉ ۉ ې ې ۅ ۅ ۋ ۋ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خح خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى چ [هود: 45 48] .

وقع التحاور بين الاثنين بالفعل (قالَ وقِيلَ) الذي يدل على مرادّة الكلام بينهما، فنوح -υ - يسأل ربه بنجاة ابنه من الهلاك الذي سيحل به، لكنّ المولى – عزّ وجل – أخْبره بأنّ هذا ليس من معرفته، فلا يسأل عن الهالكين، وأمره بالهبوط إلى الأرض، والبقاء فيها هو ومن نجى معه في السفينة، والملاحظ أنه جاء الكلام حاكيًا بقوله (قِيل يا نوح اهبطْ) ولمْ يقل (قالَ يا نوح اهْبط) وعدل إلى البناء للمجهول؟ ليجيء الكلام المحكي على وثيرة حكاية أجْزاء القصّة المتقدمـــــــــــــــة (وقِيل يا أرض ابلعي ... وقِيل بعدًا للقوم الظالمين) .

وحاور الله – سبحانه وتعالى – نبيه موسى - υ - حينما بعثه إلى هداية فرعون، وأمره بعبادة الله. حاكيًا القرآن ذلك : چ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى چ [الشعراء : 8 – 16] .

فالله – عز وجل – حاورَ نبيه موسى، وأمره بالذهاب إلى قوم فرْعون" لأنّ النداء في معنى القوْل [أن ائت القوم] أي الذين فيهم قوّة وأيّ قوّة، أيْ بوضْع قوتهم على النظر الصحيح المؤدي للإيمان في غير موضعها..." [1]؛ ولأن الغرض من إرسال موسى- υ- إليهم تخويفهم من الله وجلال عظمته " استأنف قوله معلمًا بذلك في سياق الإنكار عليهم، والإيذان بشديد الغضب منهم بقوله[ألاَ تتّقون][2] فوقع الأمْر للاثنين بالذهاب إلى فرعون، ويقولان له بأنهم رسولان من ربهم إليه، ويبلغاه

1 - نظم الدرر في تناسب الآيات والسو، البقاعي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1424،2 ه/ 2002م،5 / 348 .

2 - ينظر : نظم الدرر 5 / 348 .

ما أرسلا به من دعوته إلى عبادة الله – تعالى – وحده لا شريك له. وأن يفك أساري (بني إسرائيل) من قبضته وقهره، ويتركهم يعبدون ما شاءوا، ويتفرغون لتوحيده وعبادته .

ولقد تحاور الله – تعالى – مع آدم - υ - هو وزوجته بقوله: چ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح طم ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم مج مح مخ مم نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لا لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ يج يح يخ يم يه ئم ئه بم به تم ته ثم ثه سم سه شم شه كل كم لم نم نه يم يه ـّ ـٌ ـٍ ـً ـُ ـِ ـَ ّٰ   ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~  [الأعراف : 18 – 23] . وهذا خِطاب لآدم وحواء وإبليس، أمرهم بالهبوط من الجنة في حال كونهم متعادين متحاربين .

2- حوار الله – تعالى – للملائكة :

أخبر الله – تعالى – أنه حاور الملائكة، وأخبرهم بأنه يخلق من آدم وذريته خليفة له، وهذا تنويه بخلق آدم وذريته، فقالت الملائكة على وجه الاستكشاف ! أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، لكن الله – عز وجل – أخبرهم بأنه أعلم منهم في خلق ما يريد، أي سيكون من الأنبياء والمرسلين لحكمة يعلمها وحده. حاكيًا القرآن ذلك:   ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~  [البقرة : 30] .

3- حوار الله – جل وعلا - وإبليس في قوله – تعالى -:

حاورَ الله إبليس عندما أمرَ الملائكة بالسجود لآدم سجدوا إلا إبليس لمْ يسْجد فقال تعالى   ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~  [الأعراف : 10 – 14] .

ثانيًا: حوار الإنسان:

1 – حِوار الإنسان للإنسان:

وقع بين رجلين – المؤمن الصالح والعبد الكافر – جعل الله لأحد منهما جنتين، وفجّر خلالها الأنهار والأشجار. حاكيًا القرآن وقائع الحِوار بين الاثنين: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ □ □ □ □ □ □ □ □ □ . ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ [الكهف : 32 – 38] .

2– حِوار الإنسان مع الحيوان :

تمثّل هذا الحِوار في حِوار نبي الله سليمان - ﻭ - مع الهدهد الذي كان سببًا في إيمان ملكة سبأ (بلقيس)[1] قوله تعالـــــى ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ □ . ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ [النمل : 20 – 28] .

ثالثًا : حِوار الأنبياء – عليهم السَّلام – أقوامهم :

حاورَ الأنبياء أقوامهم ونصحوهم بعبادة الله، وحده – لا شريك لهـ– هذا ما سنعرض له في متْن البحث، وما في حِوارهم من حِكمة إلهية .

ثانيًا: أهمية الحِوار (فائدته) :

1 - في نسبها اختلاف، بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل، من بني يعفر بن سكسك، من حمير، ملكة سبأ، يمانية من أهل يثرب، أشير إليها في القرآن الكريم ولمْ يسمها، هزمت جيوشها على رجال (ذي الأذعار) فاستسلمت، وظهر سليمان - ﻭ - ودخل مدينة(سبأ) فاستقبلته بلقيس بحاشية كبيرة وتزوجها، وأقامت معه سبع سنين، وتوفيت فدفنها بتدمر، ووجدتْ كتابة على قبرها تدلّ على أنها ماتتْ لإحدى وعشرين سنة خلتْ من ملك سليمان - ﻭ - . ينظر : تاريخ مدينة دمشق، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت : 571 ه) تح : محب الدين أبي سعيد عمر بن غلامة العمروي، 69 / 67، 68، (د ، ط)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1415 ه / 1995 م، رقـــــــــــــم الترجمـــــــــة (9316) .

اعتمد القرآن الكريم في عملية الإقناع على أسلوبي الجدل والحِوا. وليس على الإكراه والجبْر، فهو دين التسامح واللّطْف واللّين، وليْس دين الشّدّة والقسْوة،وفي التنزيل الحكيـــــــــــــــم قولـــــــــــــــــــــه چ ي □ چ [البقرة : 256] .

والحوار في القرآن الكريم يتوجه في الحقيقة إلى العقل البشري، الأمر الذي نعْرف منه إلى أيّ مدًى كان القرآن الكريم يرتكز على العقْل البشري في تكْوين الإيمان، وما في هذا من تزكية للنفس بالعلم بالله – الواحد الأحد - .

يكتسب الحوار أهمية كبيرة في إطار الدعوة الإسلامية، فهو أسلوب أصيلٌ من أساليب الدعوة ومعلّمٌ بارزٌ في منهجها الرشيد؛ إبْرازًا للدليل الناصع والبرهان الساطع، والمنطق السليم الذي يلقّم المكابد أو المعاند حجرًا، ويجْعله لا يستطيع أنْ يمْضي في جداله [1] .

وفي القرآن الكريم نماذج كثيرة متنوعة من الحِوار تبين أهمّيته وقدمه، وشدّة الحاجة إليه .

فللحِوار المتّبع آثاره الجميلة، وغاياته الباهرة، فهو مُفيدٌ في إيصال الفائدة للآخرين، وفيه ارتقاء للمحاور نفسه، وفيه تعليم لضبط النفْس واللّسان أثناء الحِوار، ويقوي لديه مَلكة المُحاكمة والتّفْكير المُتّزن، مما يجعله مقْبولاً من الآخرين وهو الطريق الأمثل للإقْناع [2]، وبالحِوار تُجْلب المصالح، وتبْطل المفاسد، ويصل المُحاور إلى غاياته، ويتحقّقْ مطلوبه ... ومن غاياته [3] :

1 – إقامة الحجة، ودفْع الشبهة والفاسد من القوْل والرأي، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق .

2 – الحِوار الهادئ مفتاحٌ للقلوب وطريقٌ إلى النفوس، قال تعال چه ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ چ [النحل: 125] .

3- تضييق هوّة الخِلاف، وتقريب وجهات النظر، وإيجاد حلّ وسط يرضي الأطْراف

4 – كشْف الشبهات والرّد على الأباطيل؛ لإظهار الحق وإزهاق الباطل، كما قال تعالى - چ چ چ ڈ ڈ ژ ژ چ[الأنعام : 55]

ثالثًا: أساليب الحِوار:

1 - ينظر: أدب الحوار في الإسلام ص 25 .
2 - ينظر: فن الحوار ص 21 .
3 - ينظر : آداب الحوار وقواعد الاختلاف، 1 / 1 .

كما أن لكل موضوع أسلوبه وغاياته، فإن للحوار أيضًا أسلوبه، حيث لاحظ الإسلام – في ما يحدثنا به القرآن الكريم – أنّ هناك طريقتين للحوار الفكْري .

الأولى: طريقة العنف ، الثانية : طريقة اللين (الطريقة السلْميّة) .

فالأولى: تعتمد على مواجهة الخصْم بأشد الكلمات والأساليب، حيثُ لا يراعى الطرف الأول – وهو الذي يدير عملية الحِوار – مشاعر الطرف الآخر، وكلّ ما يهمّه هو التحدي لمشاعر الطرف الآخر .

والثانية: هي التي تكون المحبة أساسًا للصراع فيها، ويعْمل الطرف الذي يدير عملية الحِوار على الحفاظ على مشاعر الطرف الآخر" انْطلاقًا من القاعدة الإسلاميّة التي تعدّ موْضوع الصراع بمختلف مستوياته ومجالاته وسيلة من وسائل الحركة المُنْفتحة للوصول إلى الهدف " (1)، " وقد ركّز الإسلام على هذه الطريقة في كلّ أساليب الحِوار والجِدال من أجْل الوصول إلى المعرفة من جِهة، وإلى الموْقف من جِهة أخرى " (2)؛ لأن هذه الطريقة هي التي تولّد المحبّة بين الطّرفين، ويكون الحِوار بين الطرفين المُتحاورين هادفًا .

وهذا يعني أنّ الحِوار والجدال بالتي هي أحْسن يتمثّل في اتباع أفْضل الأساليب في إقْناع الطّرف الآخر بالفكرة التي يدور حوْلها الحِوار. فاتبع الأنبياء – عليهم السلام – الكلمة الحسنة في حِوارهم أقوامهم؛ لأنهم يحدثونهم بما أوْحاه الله – تعالى – إليهم، ومكلفون بتبليغ الدعوة الإسلامية عن الله – جلّ وعلا – فجميع الأنبياء – عليهم السّلام – بعثوا إلى أقْوام معينة، إلاّ سيد الخلْق أجمعين فهو مبعوثٌ للبشريّة جمْعاء؛ ليكونوا النموذج الأمْثل للإنسان المُنْفتح على الحِوار حوْل كلّ ما يطْرحونه، وما يفكّر به الناس، وقدْ كانت المشكلة أنّ مجتمعاتهم لا تؤمن بالحِـــــــــــوار " لأنّ ردود فعْلها على الرسل لمْ تنْطلق من الجِدال الفكْري؛ بلْ انطلقتْ منْ ترديد المقولات التي تمثّل المسلّمات عندهم كحقيقة تقليدية جامدة لا يقبلون التنازع عنهـــــــــــا " (3)، بحجّة أنّ الطّرف المُحاور له فكْرٌ يختلف عنْ فكرهم، ومنْهجٌ يخْتلف عنْ منْهجهم ... ولِحوارهم صورٌ كثيرة، فأحْيانًا تخاطب العوام من البشر، وأحْيانًا تخاطب الملوك، كلّ على حسب بعثة الله – تعالى – له، ومنه الحِوار العام وهو خِطاب سيد الخلْق أجْمعين- ρ- فلْنلج في حِوارهم أقْوامهم من الناحية البلاغيّة؛ للوقوف على أسْرار الحِوار وسماته الأخاذة التي أدّتْ الدّوْر الكبير

1 - الحوار في القرآن ص 83 .
2 - السابق ص 29 .
3 - الحوار في القرآن ص 29 .

في اسْتجابة الأقْوام لأنبيائهم – عليهم السلام – ونعرّج على بعْض الفنون البلاغية التي تخصّ حِوارهم ....

المبحث الثالث : الاستدْراج ومُجاراة الخصْم :

الاستدراج أصله من: درجَ الغلام يدْرج إذا مشى أوّل ما يمْشي، " وقال أبو الهيثم [1]: امتنع فلان من كذَا ،وكذَا، حتى جاء فلان فاستدرجه، أي: خَدَعه حتى حَمَله على أنْ دَرَج في ذلك كما يَدْرُج الصبيّ إذا دبّ، واستدْرجتِ الريحُ الحَصَا إذا هبّتْ بها حتى صيّرتْها تدْرج على وجْه الأرْض منْ غير أنْ ترْفعه..." [2] .

والاستدراج : باب واسعٌ وهو أنْ يقدّم المخاطب ما يعْلم أنّه يؤثر في نفْس المخاطب من ترْغيبٍ، وترْهيبٍ، وإطْماعٍ، وتزْهيدٍ، وهو استمالة المُخاطب بما يؤثر ويأنس إليه، أوْ ما يخوفه ويرغبه، قبْل أنْ يفاجئه المُخاطب بما يطْلب منه . [3]

وقال ابن الأثير [4]: " هذا الباب أنا استخرجته منْ كتاب الله - تعالى – وهو مخادعات الأقْوام التي تقوم مقام مُخادعات الأفْعال " [1] .

---

1 - أبو هيثم الرازي، اشتهر بكنيته، كان نحويًّا إمامًا علامة، قدم هراة وأقام فيها، وعلق على كتب شمر بن حمدوية)، توفي سنة (306 ه) . من اشهر كتبه، (الشامل في اللغة)، ينظر : إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم 4 / 188، ، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1406 ه / 1986 م، رقم الترجمة (964) .

2 - الزاهر في غريب ألفاظ الإمام الشافعي، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهر (ت : 370 ه)، تح : سميح أبو مغلي، دار الفكر للطباعـــــــــة والنشر والتوزيع، عمـــــــان، الأردن، ط1، 1419 ه / 1999 م،ص:171 .

3 - ينظر : البديع في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لا شين، ص 124، (د ، ط)، دار الفكر العربي، 1464 ه / 2004 م، ص:124 .

4 - أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الجزري، ولد سنة (558 ه) الملقب ضياء الدين العلامة الكاتب البليغ صاحب المثل السائر، اشتغل في الموصل، وحصل بها

ومجاراة الخصْم على قول البلاغيين للتبكيت [2]، والإلْزام والإفْحام [3]، وأنّ مُجاراة الخصْم على وجهين: الأوّل :" اعتراف المجاري بمقدمة فاسدة ليرتب عليها ما يُخالف مقْصود الخصْم، وثانيهما: اعترافه بمقدمة صحيحة، ليبين أنها لا تسْتلزم مقصود الخصْم " [4] .

وبهذا فإن الاستدراج ما يكون موْضوعًا لتقريب المُخاطب والتلطّف معه بأسلوب جذّاب مُفْعم لهُ وقْعه في القلوب، تقرّبًا إلى قبول المراد والعمل به، ومجاراة له وتبكيته وقد وقع الاستدراج في حِوار الأنبياء أقْوامهم، وكان له وقْعٌ في ثلاثة محاور:

الأول: بألطف العبارات وأرْشقها وُصولاً إلى الإذْعان والتسْليم .

الثاني : إقامة الدليل والحجة على الخصْم .

الثالث : القدْرة العظيمة للمُحاجَجَة والإقْناع .

المحْور الأول : الرفْق في الخِطاب :

سلك الأنبياء– عليهم السلام – مسْلك الترفّق في الخِطاب بقصْد إذْعان أقْوامهم لما همْ مُقرّون له، وحُسْن الأدب النابع من حِوارهم، وابْتعادهم عن أيّة لفظة موحشة بعيدة عن الحياء المتلون بالصبغة الإسلامية، بلْ إن حوارهم ينبع من قلوب مؤمنة حاملاً معنى الرأفة والشفقة، حتى في موافق الإنذار والتخويف، لأنّ من آداب وسيلة التبْليغ بالقوْل [5] اختيار لين الكلام ورقيقه، وطيبه، فقد أوصى الله – تعالى – نبيه موسى وهارون – عليهما السلام – في دعوتهما لفرعون بلين الكلام ورقيقه مصْداقًا لقوله تعالى چ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ چ [طه : 43 – 44] .

العلوم، وحفظ كتاب الله، من تصانيفه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)، توفي سنـــــــــــــــــــــة (637 ه) . ينظر : وفيات الأعيان 5 / 389 . رقم الترجمة (763)

1 - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، تح : محمد محي الدين عبد الحميد، (د ، ط) المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 1411 ه / 1990 م، 2/ 64 .

2 - التبكيت : التقريع والتوبيخ . ينظر : لسان العرب 2 / 11، (بَكَتَ) .

3 - ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، تح : محمد عبد المنعم خفاجي، ، المكتبة الأزهرية للتراث، ط 3، 1413 ه / 1993 م، 36/3 .

4 - بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي ، (د ، ط) ، مكتبة الآداب، 1417 ه / 1997 م، 3/ 36 .

5 - ينظر: منهج الدعوة في القصة القرآنية، أبي عبادة عمر صالح البطايحة، (د ، ط)، دار الكتاب الثقافي، الأردن، أربد، (د ، ت)، ص،42 ، 43 .

وقوله تعالى حكاية لما جرى بين نوح وقومهچ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ چ[هود: 28]

فالله – سبحانه وتعالى – أمر رسله – عليهم السلام – بالرفق في دعاء الخلق، وحضهم على التلطف بهم، وبالصبر على آذاهم؛ لأن هذا من سمات الداعية الناجح، كما قال ذلك لنبيه محمد - ρ - چ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ چ [النحل : 125] ([1]) .

وهذا يعني أن التلطّف مع المدعويين والرفق بهم هو هُدى الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – وعلى هذا جرى دعاء الرسل أممهم وأقْوامهم في إخبار الله – تعالى – عنهم .

فهنا وقع الحوار بين شخصيْن إبراهيم – عليه السلام – وأبيه (آزر)[2] وسلك إبراهيم - υ - في حواره حسن الملاطفة حاكِيًا القرآن وقائع هذا الحِوار: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڈ ڈ ډ ډ ډ ډ ڍ ڍ ڎ ڎ ڏ ڏ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ چ [مريم : 41 – 45] .

فالحِوار السابق يتضمن (أربع) عبارات حِوارية، مُصدّرة بعِبارة قوله تعـــــــــالى (يا أبت) . قاصدًا هِداية أبيه إلى الخيْر، وإنقاذه مما هو فيه من الكُفْر وفساد التفكير، فاستعْمل أسلوب المُجاملة واللّطْف واللّين بأدبٍ وخلقٍ حسنٍ .

بدأ بطلب السّبب الباعث له على عِبادة الأوْثان والأصْنام بغرض إقْحام أبيه في الحِوار، ومعْرفة وجْهة نظره في ذلك " وابتدأ بالحجة الراجعة إلى الحسّ "[3]؛ لأن منْ لا يسْمع ولا يُبْصر مُجرّد عن الإحْساس، وما لا يحسّ لا ينْفع أصْلاً، فكيف بمنْ جعلَ المعبود جمادًا لا يسْمع ولا يبْصر يعني به الصنم . ثمّ ثنّى ذلك بدعوته إلى الحقّ مُترفّقًا به، فلمْ يَسِمْ أباه بالجهْل المُطْلق، ولا نفْسه بالعِلْم الفائق، ولكنه قال إنّ

---

1 - ينظر: بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم، عبد الله محمد النقراط، ، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1423 ه / 2002 من 902/2 ، 903 .

2 - اختلف المؤرخون في هذا الاسم فمنهم من يقول أنّ آزر صنم وليس بأبيه، ولكن قيلَ أنّ الصحيح هو إبراهيم بن آزر وكذلك هو في القرآن، وفي التوراة إبراهيم بن تارخ، وعن أبي هريرة عن النبي - ρ - قال : يلقي إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قتْرة وغبرة فيقول له إبراهيم : ألَمْ أقلْ لك : لا تعصني ؟ فيقول أبوه : فاليوم لا أعصيَنّك ... ينظر : تاريخ مدينة دمشق، 6 / 164، 165، 166 ، رقم الترجمة (351) .

3 - التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الطبعة التونسية، (د ، ط)، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، (د ، ت)، م. 8 ، ج16 / 114 .

معي لطائفة من العِلْم وشيئًا منه[1]، وقدْ أرْدف ندائه باسْتفْهامه عن عبادة الأصْنام، وكأنّه بيّن له الحجّة القويّة في وُجوب ترْكها، لأنها لا تسْمع ولا تُبْصر .

أمّا الثانية وهي قوله چ چ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ چ .

فإبراهيم - υ - دعا أبوه إلى الحق ملْتمسًا من جهة التّنبيه والرّفْق في الخِطاب، وإقْحام من جانب التواضع، فلمْ يُحاور أباه بالجهْل الذي هو فيه، بلْ بيّن له حقيقة مفادها أنه قدْ جاءه من العِلْم وبعض الدلائل ما ليْس لك به علْم، فاتبع طريقي و لا تنْحرف عنه، قاصدًا " دفْع ما يُخالج عقْل أبيه من النّـــــــفُور عنْ تلقي الإرْشاد من ابنه "[2]، ولمْ يقُلْ " أُنْجيك منْ ورْطة الكفْر، وأنقذك منْ عماءِ الحيرة "[3]، تأدّبًا معه وتجنّبًا عنْ غيْض كُفْره، وتسامُحًا مَعَهُ باعْتبار أبيه .

أما في الثالثة فقال چ ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ چ والمرَاد بعبادة الشيطان عبادة الأصْنام عبّر عنها بِعبادة الشّيْطان إفْصاحًا عنْ فَسادِها وضلالها[4]، وأكّد أنّ الشيطان كانَ للربّ عاصيًا وعدوًّا للإنسان، هو الذي أوْقعك في هذا الضلال، وذلك تواصيًا معه في النصيحة، وتحذيرًا له عن ذلك الضلال، وكرّرَ اسم الشيطان مرّة أخرى، وفي ذلك قال ابن عاشور[5] "وإظْهار اسم الشيطان في مقام الإضْمار إذْ لمْ يقُلْ: إنه كان للرحمان عصيًّا؛ لإيضاح إسْناد الخبر إلى المسند إليه، ولزيادة التنفير من الشيطان، لأنّ في ذكْر صريح اسمه تنْبيهًا إلى النفرة منه، ولتكون الجملة موعظة قائمة بنفْسها "[6] . حيثُ اقتصرَ على عِبادة الشيطان في حين تضمّنَ معناه الكثير؛ لأنّ عصيان الله ومعاداته يترتّب عليها فعْل شيء، وجاء التّعْبير بذلك مُراعاة لحال أبيه الذي يتطلّب الإيجاز، مُراعاة لمقْتضى حاله حتى يعِي ويقرّ بما هو الصّواب .

فذكرَ المسند إليه لعدم تعويله على فهْم أبيه؛ لاسْتدْراجه بعيدًا عنْ عبادته، حتى يقْلع عمّا هو بِصَدَدِه منْ عبادة الأصْنام والأوْثان بعكْس ما لوْ قال: (لا تعبد الشيطان إنه

---

1 - ينظر : المثل السائر 2 / 65، 66 .
2 - التحرير والتنوير. م 8، ج 16 / 114
3 - الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي ، (د ، ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1400 ه / 1980 م، 2/ 286 .
4 - ينظر : التحرير والتنوير . م 8 . ج16 / 116
5 - محمد الطاهر بن عاشور : رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة، وفروعه بتونس، مولده ووفاته ودراسته فيها، انتخب عضوًا بمجمع اللغة العربية بمصر، 1950 م، وبمجمع العربي بدمشق 1955 م . من مصنفاته : التحرير والتنوير . ينظر : الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت : 1396 ه) 6 / 174 ، ط 10 ، 1992 م .
6 - ينظر : التحرير والتنوير م 8 . ج16 / 117 .

كان للرحمن عصيّا)، فأفاد الذكر بالاسم الصريح دون الضمير، والظاهر يرجّحه قُبْح عمل الشّيْطان، ووقعَ صريحًا وإن كانَ رمْزه للأصْنام والأوْثان، وفي ذلك بيان شدّة عِقاب منْ يعْبدْها .

أما في الرابعة فقال: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ .

هنا نرى حُسْن الأدب في حِواره لأبيه، إذْ لمْ يُصرّح بأنّ العِقاب لا حِقٌ بأبيه لا محالة، وذكرَ – الخوْف – تأدّبًا ورِفْقة لحرْمة الأُبوّة، وما في هذا التحاشي عن وُقوع العذاب المُحتّم، فحذّره منْ عاقبة أنْ يكون من أولياء الشيطان، فيندمج معهم عنْ ضلال بما يحلّ عليهم، ولكنه - υ - ساقَ هذا اللّوْن معه من التّحْذير بأسلوبٍ مؤدبٍ، وتلطّفًا به لأنّه أبوه .

فلوْ نظرْنا إلى الحِوارات الأرْبع نجد أنّ : كلّ نصيحة من الأربع تصدّرَ بـــ قوله(يا أبت) توسّلاً بحُنوّ الأبوّة، والاسْتعْطاف الصّارخ الموصِل إلى الانْقياد، والمُنْفر للجُحُود والعِناد .

وهذَا بِخلاف ما أجابه به أبوه – آزر – فنادى ابنه باسمه، ولمْ يقُلْ له (يا بني) كما قال إبراهيم على غِرار ما قاله لـــــــــــه (يا أبت) ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ [مريم : 45] . إعْراضًا عنْ ما أخْبر به ابنه، وإضْرارًا على ما هو واقعٌ فيه وما فيه من فظاظة الأب وقسْوته مُناديًا ابنه - υ - بغلظ العِناد . فانتبه إلى تقْديم الخبر على المبتدأ في[أراغب أنْت] " لأنه كان أهمّ عنده وهو به أغْنى"[1] وما فيه من الإنْكار القويّ والتمادي بما هوَ سائرٌ فيه .

فالفرق واضحٌ ومتفاوت في حِوار سيدنا إبراهيم- υ - فقدْ سلكَ في دعْوة أبيه بِحُسْن أدب، واسْتدْراجٍ امْتزجَ بالرفْق بالدعوة التي تفيض بحنان الابْن في مُواجهة أبيه، بالرّغْم منْ إساءته لابنه بالتهديد والوعيد الشديد، فجمعَ - υ - بين الرّفْق والاستعْطاف بعكس عِبارات أبيه، فحملتْ معنى الجفْوة والفضاضة في قوله ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﭼ [مريم : 46] . فتركَ أبيه داعيًـــــــــــــا له بقوله : ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ . ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ . ﭼ [مريم : 47 – 48] .

فلْنلْتمس الأدب من قوْله [سلام عليك] بأنْ تركه مجْبرًا كما أمره والِده، ولمْ يمْنع فضاضة أبيه من أبيه من أن يستغفروا له ربه عما هو فاعلٌ له لمكانته عند ربه –

1 - التحرير والتنوير . م 8 . ج 16 / 119 .

سبحانه وتعالى- [1] بقوله [إنه كان بي حفيّا]. وعبّر عنْ ذلك بقوْله [سأسْتغْفرُ] بصيغة المُضارع الدال على التجدّد والاسْتمْرار .

المحور الثاني : إقامة الدليل، والحجّة على الخصْم :

جرى الاسْتِدْراج ومجاراة الخصْم في مقام مناضرة الخليل – وأقام الدليل والحجّة على قوْمه، حينما عبّر بأفول الكواكب والنجوم قاصدًا إعْلامهم بربهم – وحده لاشريك له – صورته سورة الأنعام قوله – تعالى - ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ . ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ .ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ . ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ . ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ

1 - ينظر : المعجزة الكبرى ص 155 .

ھھ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې
ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ی
ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم [الأنعام : 75 – 81] .

بين - υ - أنّ الأجرام المشاهدة من الكواكب النيّرة لا يصْلح للعبادة ولا تضاهي عبادة المولى– عزّ وجلّ - لأنّها تدخل تحت صنْع الله- فهو الخالق والصانع لكل شيء، تطْلع تارةً وتغيبُ تارةً أخْرى، والرّب – تعالى – لا يغيب عنه شيء، ولا تتخْفي عليه خافية [1] .

فبدأ بالكوكب لأنه أصْغر ما يشاهد في السماء، ثمّ القمر لشدّة إضاءته، وختم بالشمس، ومعروفٌ أنها أكْبر الأجْرام في السماء، وبيّن أنّ هذه الثلاثة قدْ أفلتْ واخْتفتْ جميعها، وأنّ الله – لا يخفى على عباده، وأنّ الذي لا يبْقى على حاله لا يُصْلح للعبادة . وهذا يعني أنّ إبراهيم - υ - قد جارَ قومه في اعتقادهم بألوهية الأصنام والكواكب، فقال ما قال على سبيل الفرض، ثمّ كرّ على هذه الفروض يبْطلُها واحدًا واحدًا [2] .

فتجلّى هنا الأسلوب العلْمي الذي تبنّى تكرّر التجربة، فالإيمان بالنجم وأفوله، بعْد ذلك بالقمر وأفوله، ثمّ بالشمس وأفولها، كلّ ذلك يسْمع بالتأكيد على بُطْلان العقائد التي تؤمن بهذه الكائنات التي تتّسم بالأفول، لأنّ الأفول صفة لا تناسب صفات الرّب – سبحانه – فأسْلوبه - υ - علْمي يُخاطب العقل لا الحواس، وفي كلّ مرّة يردّد معهم زعْمهم ويقول [هذا ربي] في مسايرة قومه، ويستمر مجارّ في المُناظرة معهم إلى أنْ يُعْلن لهم بأنّه بريء ممّا يفْعلون. وحين يصل - υ -بالمنطق السليم إلى هذه الحقيقة يُعْلن أمامهم أمْريْن:

الأوّل : مجاهرته لهم بالتبرؤ، ومما يوقنون به من عقيدة الشرك .

الثاني : إعْلان إيمانه بالله – تعالى – الذي فطر السماوات والأرض إيمانًا خالصًا لله، بريئًا منْ أدْران الشرك، وفي هذا تبْكيتٌ لإسْكات قوْمه مُجْبرْهم على الاعتراف بفساد ما هُمْ فيه من الضلال والشّرك .

1 - ينظر: قصص الأنبياء، ابن كثير، تح : محمد أحمد عبد العزيز، دار الحديث بالقاهرة ، ط 8 ،1419 ه / 1998 م، ص : 117 .
2 - ينظر: منهج الدعوة ص 63 .

فبيّن لهم- υ - عدم صلاحية الكوكب للألوهية، ثمّ ترقّى إلى القمر الذي هو بطبيعته أضْوأ منه، وأبهى حُسْنًا، ثمّ ترقّى إلى الشمس التي هي بطبيعتها أشدّ الأجرام المشاهدة ضياءًا أوْ بَهاءًا . فبيّنَ أنّ جميع تلك الموجودات مُسخّرة مربوبة للمولى – عزّ وجلّ – ولهذا قال - υ - فلما رأى الشمس بازغة ... بمعنى كونها طالعة چ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ چ[الأنعام : 78] .

وينبغي أنْ يعتمد على اعتبار قوله - υ - في قوله [هذَا ربي] إنما قصدَ قطْع حُجّة منْ عبد شيئًا من ذلك إذا كان دين قومه، فبسطَ لهم الاعتبار والدلالة، وأخذَ يعرض ما قدْ تنزّهَ قدره عن الميْل إليه، فهو كما يقول المناظر لِمنْ يناضره : هبْ أنّ هذَا على ما تقول [1] ، وفي هذَا من التناسب بينَ حال الناظر والمنْظور فيه جزْيًا على الفطْرة العلّيّة .

وهذا منه - υ - على سبيل الفرْض وإرْخاء العنان مُجاراة مع أبيه وقومه، الذين كانوا يعبدون الأصنام والكواكب [2]. وهذَا هو ما يسمى في الجدل بـــــ (مُجاراة الخصْم)؛ ليسْتميلَ آذانهم ويأخذ قلوبهم معه؛ وليعلمْهم بأنه غير متحامل عليهم منْ أوّل الأمْر، فيسْتدْرجْهم بأخْذ أيْديهم معه، كما قِيلَ هو على معنى الاسْتفْهام والتوبيخ مُنْكرًا لفعْلهم، والمعنى : أهذَا ربي، أيْ ليْسَ هذا ربي، أوْ مثْل هذَا يكون ربًّا؛ فحذف الهمْزة وهو كثيرٌ في كلام العرب [3] .

وقوله [هذَا ربي] هو قوْل منْ ينْصف خصْمه مع العلْم بأنّه مُبْطلٌ؛ لأنّه أدْعى إلى الحقّ، والأقْرب إلى رُجُوع الخصْم بإقامـــــــــــــــة الحُجّة عليهم بقوله چ چ چ چ چ، أي لا أحب عبادة المتغيرين؛ لأنّ التغيّر دليلٌ على الحدوث، والحدوث ليسَ من صفة الإله – تعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا .

ولا نظن أنْ يظن به - υ - أنه قال ما قاله أوّلاً عنْ اعتقاد ربوبية الكواكب؛ لأنّ الله – تعالى – قدْ دلّ على بُطْلان هذا التّوهّم بالإخْبار بأنّه أراه ملكُوت الخافقين، وجعَلهُ مُوقنًا، فاسْند الأمْر إلى نفْسه؛ تنبيهًا لهم؛ لجهْلهم وضلالهم [4].

---

1 - ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعـــــــــــــــــــــي 2 / 578 .
2 - ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 4 ،1405 ه / 1985م، 198/7 .
3 - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1408 ه/ 1988 م، 20/7،19،18، روح المعاني 7 / 199 .
4 - ينظر : نظم الدرر 2 / 659 .

فإبراهيم- υ - ابتدأ بنفْي عبادة الأصْنام على أساس أنّ البديهة تدعوا إلى ذلك وأنّ ضلال العقْل هو الذي يؤدي إلى عبادتها، فبيّنَ أنّ طريق اليقين يبتدئ بالشّك في صدْق ما تصل فيه الأفْهام فأخذَ يعْرض على عقْله ما يتصوّر أنْ يكون فيه نفْع، فاتجهَ إلى الكوْكب الساري، ثمّ القمر المنير، ثمّ إلى الشمس السراج، فوجدَ أنّ كلّ ذلك يأْفل ويجْري عليه تغيّر فاتجه إلى خالق ذلك كله (1)، مع المُلاطفة وإبْعاد الخصْم عمّا يوجب عناده .

وإذا كان - υ - قدْ ذكرَ في حِواره مع قوْمه تتبّع الكواكب والقمر والشمس الحُكْم على أبيه وقومه بالضلال، فذَكَرَه مُجْملاً منْ بداية الحِوار، أمّا فيما ساقتْه سورة الأنبياء حاكيًا القرآن ذلك ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ . ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ . ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ . ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ . ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ . ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ . ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ . ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ . ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ . ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ . ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ . ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ . ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ . ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ . ﮠ ﮡ . ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ . ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ . ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ . ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ[الأنبياء: 51 - 70]

فجرتْ المناقشة بينه وبيْنهم، ثمّ ذكرَ تدبيره في تحْطيم الأصْنام، وإثبات عجْزها بالدليل القاطع، ثمّ نجاته من النار، فكانَ بهذَا مُثْبتًا بالعمل أنّهم لا ينْفعون ولا يضرون، ولما سألوه عمّا فعلَ بالأصْنام قال متهكّمًاﭽ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ، فأنطقهُمْ بضلالهم إذْ نكّسوا ثمّ قالواﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ .

فشرطَ - υ - النّطْق في الفعْل ... ليثبتوا عجْزهم بقولهم إنهم لا ينطقون ولا يفْعلون فيقول لهم : فلِمَ تعْبدون ؟ فتقوم الحُجّة عليهم منهم كما قــــــــال لقومه [هذَا ربي] على معنى الحُجّة، حتى إذَا أفلَ منهم تبيّنَ حدوثه ، واستحالة كونه إلهًا (2).

1 - ينظر : المعجزة الكبرى ص 153 .
2 - ينظر : أحكام القرآن، ابن العربي، راجع أصوله وخرّجَ أحاديثه وعلّقَ عليه محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، (د، ت)، 263/3 .

فأراد - υ - إظْهار الحجّة وإقامة الدليل على بُطْلان عبادة الأصْنام، فأرادَ بقوله چ چ چ چ چ إظْهار الحُجّة وإقامة الدليل على بُطْلان عبادة الأصْنام، فأرادَ أنْ يُنْطقْهم هُمْ بما يُريدُ أنْ يقوله ؛ ليقررهم بأنها أصْنامٌ لا تضرّ ولا تنْفع ولا تتحرّك ... ، ويُريد - υ - أنْ يُلْفتْهم إلى فساد هذه العقيدة المتمسّكينَ بها، فاسْتخْدمَ المنْطق الذي يحقّق نيّته في إنْكار الربوبية استئْناسًا لآذان منْ يسْمَعه.

ويستمر- υ - في استدراج قوْمه ومحاورتهم في وحدانيّة الله – سبحانه وتعالى – [وحاجّه قوْمه، قال أتحاجوني في الله وقدْ هدان ...] بالرّد الإنْكاري عليهم فيما همْ ضانين، " لكنّ الحِوار القرآني سلكَ مسْلك التقرّب والتلطّف فألقى عليهم سؤالاً إنْكاريًّا أتحاجوني في الله " [1] على محاجته له، والظاهر" أن إبراهيم نزّلهم في خِطابه منزلة من يعْلم أنّ الله هداه كناية كناية على ظهور دلائل الهدايـــــة " [2]، ونفى خوفه مما هم مشركون في أي وقت إلا في وقت مشيئته – تعالى – وفي هذا إظْهار منه لانقياده لحكمة – سبحانه وتعالى– واستسلامه لأمْره واعتراف بكوْنه تحت ملكوته وربوبيته [وسع ربي كل شيء علمًا] .

ومازال - υ - يستدرجهم ويُسايرهم في قوله : (أفلا تتذكرون)، فأسند إليه صفة التذكر دون أنْ يخاطبهم بصفة التفكير، لأنّ أسلوب المناظرة واقع على منْهج علْمي عقْلي يُخاطب العُقول لأنها موْطن ومنْبع التذكّر، ويستمر - υ - في استدراج القوْم بقوله : چ ئۆ ئۆ ئۇ ئۇ ئې ئې ئې ئى ئى ئد ى ى ي ي □□ چ . فقصَدَ " التعجّب والإنْكار، كأنه تعجّب من فساد عُقُولهم حيثُ خوّفه خشبًا وحِجارة ... و لا يخافون شرْكهم بالله " [3]. فجاء الاستفهام التعجّبي منْ كوْنهم خوّفوا نبيهم منْ حجارة لا تسْمع ولا تعي شيئًا، وليْس بيدها الضر والنّفْع، وأنهم لا يخافون الذي خلقهم وصوّرهم بشرًا، وهو المالك لكلّ شيء، وفي هذا إنْكار الخوْف عليهم، ونفيه عنه - υ - في محل الأمْن أوْلى وأحْرى ... [4]، ثم جاء قوله : چ ئد ى ى ي ي □ چ تهكما بهم وسخرية عليهم بأنهم همْ وما يعْبدون لا يضاهي قدْرة ما هو عابدٌ ومُسْتدرجهم إليه .

---

1 - من أساليب التعبير القرآني (دراسة لغوية وأسلوبية في ضوء النص القرآني)، طالب اسماعيل الزوبعي، (د ، ط) ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، (د ، ت) ، ص: 236 .
2 - التحرير والتنوير. م 4 . ج 7 / 327 .

3 - البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، مراجعة: صدقي محمد جميل، (د ، ط)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1412 ه / 1992 م،570/4 .
4 - ينظر: من أساليب التعبير القرآني ص 237 .

وتوالى استدراجه - υ - لقوْمه بتوجيه السؤال لـــــــــــهم أهو على الحـــــــــــــــقّ أمْ أنهم على الحق بقولـــــــــــه : چ □ □ □ □ □ چ قصد ابن عاشـــــــــــــــور أنّ " الاستفهام بـ أي للتقرير بأنّ هو وحْده أحقّ بالأمْن ... " [1]؛ إيقانًا وتقْريرًا لهم بأنهم على باطلٍ وأنه على الحق ومنْ تبعه، وفي هذا من الاستدراج ليوقع عليهم الدلائل بصحة ما هو فاعلٌ .

المحور الثالث : المحاججة وقوّة الإقْناع :

إن الأسلوب القرآني يتضمّن القدْرة على محاججة الخصْم وُصُولاً إلى درجة إقْناعه، والتمكّن من التقرّب من المخاطب والتلطّف به، وإقْحامه لمعْرفة عجْزه عن الردّ القويّ بالدليل القاطع .

تأمّل قول إبراهيم- υ - ومحاورته للملك الجبّار المتمرّد(النمـرود) [2] الذي ادّعى لنفسه الربوبية فأبطل الخليل عليه دليله، وألجمه الحُجّة، وبيّن له طريق المحجّة [3]، ولما دعاه إبراهيم - υ - إلى عبادة الله – وحده لا شريك له – ذهب به الجهْل وقلّة العقْل على إنْكار الخالِق، فأدّعى لنفسه الربوبية، وانه القادر على الإحياء والإماتة في قوله تعالى چ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ چ [البقرة : 258] .

1 - التحرير والتنوير . م 4 . ج 7 / 331 .
2 - نمروذ بن كوش بن كنعان، بن حامٍ، بن نوح، عدو الله، وعدو إبراهيم، الذي كذّب بما جاء به من عند الله، وردّ عليه النصيحة التي نصحها له جهْلاً منه، وقيلَ إنّه أوّل جبّار كانَ في الأرض نمروذ . ينظر : تاريخ الطبري 1 / 287 .
3 - ينظر: قصص الأنبياء ص: 125 .

فإن الملك الذي جادله إبراهيم - υ - فهِم من الإحْياء والإماتة قدْرته على إبْقاء منْ يستحق القتْل، وحُكْمه على الحي بالموت (1)، وأنه هو الفاعل للشيء ردًّا على قوْله ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀﭼ وهذا " ليس بعارضة للخليل بلْ هو كلام خارجٌ عنْ مقام المناظرة ليْس بمنْع و لا بمعارضته بلْ هو تشْغيبٌ محض " (2) . فالخليـــــــــل - υ - استدلّ على وجود الخالق الذي يُخْلق الحيوانات ويُميتُها، وأنّ فاعل الأشياء هذه لا بدّ بالفعْل أنْ يكون موجودًا وفاعلاً للخلْق، وتسيير ما في الكون من مشاهد الطبيعة ولهذا بيّن إبراهيم - υ - أنّ فعْل الإماتة والإحْياء بيد الله - سبحانه وتعالى – في قوله ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﭼ لكنه - υ - لمّا أحسّ بأنّ جُحود وعناد هذا الملِك قدْ تخْفى على الكثير من الناس مما همْ يسْمعونه، ساقَ له دليلاً آخر في غاية القوّة والعجْز له قوله ﭼ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸﭼ .

فأبْطل دعْواهم وأيّد قوله بالبرهان وأيّد قوله بحجّة دافعة مُطابقًا فيها للنمروذ، عندما رأى جُحُوده وتشبته بمبادئه الضالة، بين (المشرق والمغرب)، فالشمس تشرُق كما هو معْروف بالبديهة كلّ يوْم من المشْرق، وتغْرب ناحية المغْرب، فجادله - υ - " إنْ كنت كما تزْعم فافْعل هذا، بلْ أنْت أعْجز وأقلّ منْ أن تخْلق بعوضة أوْ تنْتصر منها (3) .

أي أنّ الذي يُحْي ويُميت هو القادر على فعْل أي شيء، ولا يعْجزْه أي شيء، فإنْ كنْت كما تزْعم ائْت بالشمس من المغرب، فإنْ لمْ تفْعل هذا فأنْت لسْت كما تزْعم.

وبهذا ألْزم الطباق النمرود الحجّة وأيّده - υ - بالصدق في حِواره ودعْوته، وأظْهرَ له عجْزًا وضعْفًا أمام قدْرة الله – سبحانه وتعالى – القادرة على القهْر، وجلْجل لـــــــــــه – υ - الحُجّة الساطعة في ضلال جهْله وإدّعائه الربوبية الفاشية، وكشف ضلال الملك وجهْله والافتراء الذي يزْعمه، فلمْ يتْرك له الخليل مجالاً للكلام بل سكتَ وانْقطع كلامه، فبُهِتَ الذي كفرَ والله لا يهْدي القوم الظالمين) فكأنّ القول الكريم يرْسم نهاية الانْتصار الحقّ على الباطل، وهو كلام سيدنا إبراهيم - υ - وكلام الملك القائم على الجهالة والضلالة .

---

1 - ينظر: من أساليب التعبير القرآني ص :241 .
2 - قصص الأنبياء ص: 125 .
3 - السابق ، ص: 125 .

الفصْل الثاني : الحِوار والسياق :

الحِوار فعْلٌ ناشئ بين متكلّم ومتلقّ، وأنّه يتردّد في موْقف سياقي وفضاء ثقافي واجتماعي[1]، وجاء الحِوار في كتاب الله لبيان الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه.

والسياق [2] له عدة مفهومات، وإنْ كادتْ كلها تخضع للمعنى الذي يعني الإطار العام الذي تنتظم فيه عناصر النص ومكوناته، ومقياس تتجمّع بواسطته الجُمل مع بعْضها، وهو أيْضًا البيئة اللغوية التي تزْعى مجموعة العناصر الموجودة في النص التي يقدمها النّصّ للقارئ [3] .

وما يهمنا هو السياق القرآني، وما يتخلله من بلاغات قرآنية، وله أنْواع كثيرة [4] تخدم الغرض المقصود كلّ بحسب وُرُود الآيات ونزولها داخل السياقات القرآنية .

وقدْ لاحظ البلاغيون قديمًا ظاهرة السياق من خلال مقولتهم القائلة إنّ: لكلّ مقامٍ مقال، ولكلّ كلمة مع صاحبتها مقام ... فأنطلقوا في أبْحاثهم حول الفكرة السياقية وربْطها بالصياغة [5]. وصار مقياس كلامهم داخلٌ في باب الحُسْن قبُولاً على حسب مُناسبة الكلام اللائق به، الذي هو مقتضى حاله، فقد يرد تقْديمًا وتأخيرًا، وأحيانًا يكون حذْفًا وذكْرًا .

---

1 - ينظر : كتاب الأمـــــــــــــة (منهج السياق في فهْم النص)، عبد الرحمن بودرع، العدد 11، ط1، 2006 م، ص: 51 .

2 - السّيَاق : نزْع الروح ، يُساقُ سوْقًا، وإنّ نفسهُ لَتُسَاق، والساق: نزْع الروحُ . ينظر: لسان العرب 10 / 166 (سَوَقَ) .

3 - ينظر: السابق ص: 27 .

4 - ينظر: السابق ص: 29 .

5 - ينظر: البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، ص 305، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، 1994 م، ص:305 .

ولْنلج في سياقات الحِوارات النبوية في كلامهم مع أقْوامهم، وجاءتْ دراسة الاستفهام والعطف دون غيرها من الأساليب ؛ نظرًا لأنّ حظّ الاستفهام كان كثيرًا فقدْ حفلتْ به معظم الحِوارات، وكان وُرُود هذا الفيض الكثير من الاستفهام في كلام المولى – عزّ وجلّ قد يعود أساسًا إلى ما تميّز به الأسلوب الحواري من خصائص بلاغية، فالاستفهام دعامة الحِوار، لأن معظم الحِوار ينصّ جوّه الداخلي على السؤال والجواب بين النبي وقومه المرسل إليهم مُثيرًا اهتمام السامع، ومُخاطبًا لقواه العقْليّة والوجدانية ... وبالمثل فدراسة العطف اقْتضتْ بيان العطْف والقطْع في السياقات الحوارية.

المبحث الأول : الاستفهام والسياق الحواري :

يُعدّ الأسلوب الاستفهامي وأغْراضه في القصّة القرآنية، أو في حكايات الأمم السابقة من مقوّمات التراكيب اللغوية، ولعلّ الحِوار الدّائر بين المرسلين وأقْوامهم يتطلّب وجود الصيغ الاسْتفهاميّة التي وردتْ منْ جانب الأنبياء – عليهم السلام - وسيلة لإقامة الحجّة والإقْناع، ممزوجة بالنصائح والإرشادات في كثير من سياقاتها، على عكْس ما تلقّوْه من أقْوامهم .

وعرفته المعاجم اللغوية بقولها " والفهْم معْرفتك الشيء بالقلْب، فَهِمَهُ فهْمًا، وفَهَمًا، وفَهامةً: عَلِمهُ ... واسْتفْهمه سأله أنْ يُفَهّمَهُ ... " [1] .

وفي الاصطلاح "هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن فإن كانت وقوع نسبة بين أمرين، أو لا وقوعها فحصولها هو التصديق " [2] . وقيل " هو طلب الفهْم ومعْرفة المجْهول " [3] ويكون بأدوات مخصوصة هي: الهمْزة، وهلْ، ومنْ، وما، وأيْن، وأيّان، ومتى، وأنى، وأيّ ... [4] .

وساق لنا القرآن الكريم آيات كثيرة تبيّن أساليب الحِوار على ألْسنة بعض الأنبياء أثْناء محاورتهم لأقْوامهم، وإدْراجهم لأسئلة عدّة في حِوارهم مبينة طرق الهدى وسبل الرّشاد .

---

1 - لسان العرب (ف . ه . م) 12 / 459 .

2 - مـــــــــــواهب الفتاح (ضمن شروح التلخيص) المغربي، تح: خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية،ط1، 2003 م، 2/ 246، 247 .

3 - من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، (د ، ط) ، نهضة مصر للطباعة والنشر، 2005 م، ص:126 .

4 - ينظر : الإيضاح 3 / 55، المطول (شرح تلخيص مفتاح العلوم) التفتازاني، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422 ه / 2001 م، ص: 409 .

وقد اقتصرت على دراسة أدوات الاستفهام التي وردت في السياقات الحوارية، والتي اخْتَرْتُ منها نماذج لبيان قوة الأدوات في بيان المعنى، وتحقيق الغرض .

وتنوعتْ أسئلة الأنبياء – عليهم السلام – إلى قسْمين :

الأول: صرْف الأقْوام إلى الحقيقة .

الثاني: ما لا يتضمّن الرّد والتّعْقيب . [1]

أوّلاً: صرْف الأقْوام إلى الحقيقة :

ساق القرآن الكريم آيات كثيرة تعالج بالدرجة الأولى قضية التوحيد الإلهي – العقيدة الإسلامية – بأسلوب الحِوار على لسان بعض الأنبياء حِرْصًا على تنبيه الأقوام إلى انْحرافهم عن الطريق الصحيح، وتوجيههم إلى الحقيقة المطلقة، وأنّ مساءلتهم عن باطل فعْلهم وخطئه يفْتح أعين الأقْوام على حقيقة مفادها أنّ الله هو خالق كلّ شيء، ولا يضاهيه أحدٌ في المخلوقات، وفي هذا بيان لضلال تصوّرهم القائل بعبادتهم غير الله، وأخذًا بأيديهم إلى طريق الحق والصّواب .

فانظر إلى قول الخليل- υ - في حِواره مع أبيه وقومه، مبيّنًا وقائع ما يعبدون في قوله تعالى : چ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ . ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ . ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ . ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ. ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ . ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ . ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ چ [الشعراء: 70 – 77] .

السياق القرآني الحِواري يحْمل ثلاثة تساؤلات يسْتفْهم بها الخليل- υ- عنْ معبودات أبيه وقومه، وهذا إنكارٌ منه لما همْ فاعِلون .

يُنكر إبراهيم- υ - في الاستفهامات الواردة ذكْرها سابقًا على قوْمه عِبادة الأصنام مع الله – عزّ وجلّ – وكانّ أصْل كلامه : ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفين ؟ ليرى مدى تمسّكهم بالباطل. وفي هذا قال الفخر الرازي[2]: كان من عظيم المِحْنة على إبراهيم - υ - أن يرى أباه وقوْمه في النار، وهو لا يتمكن منْ إنقادهم إلاّ بقدر الدّعاء والتنبيه فقال لهم: ما تعبدون ؟ وهو يعْرف أنّهم عبدة لأصْنامهم ولكنّ سؤاله هذا ليريهم أنّ ما يعبدون ليْس ممّنْ يستحقّ العِبادة في شيء،

1 - ينظر: كتاب (الأمة) ص 45 .

2 - أبو عبد الله محمد بن عمر البكري الطبرستاني الأصل، المفسر، الفقيه الشافعي، له : التفسير الكبير، مات سنة (606 ه) . ينظر : طبقات المفسرين للداوودي 2 / 215 .

فأجابوه بقولهم حاكيًا عنهم القرآن: نعبُد أصْنامًا فنظل لها عاكفين [1]، والعكوف هو" الإقامة على الشيء" [2]، وأقاموا الوصْف فرحًا وافتخارًا بما كانوا يصْنعون، فوجّه لهم - υ - سؤالاً اسْتخْدم فيه الحُجّة العقلية في إبْطال مزاعمهم، وإهْلاك كفْرهم بقولـــــــــــــــــهچٹٹۀ ہ.ہھھچ فوقعَ الاسْتفْهـــــــــــام بـــ(هلْ) حملاً لقوْمه على الإجابة عن الاسْتفْهام بالإقْرار بنفْي النّفْع والضّر للأصْنام، مع مقصوده بأنها لا تقْدر على شيء مما ذُكر، فجاء إلْقاء الاسْتفهام عليهم تقريرًا "عن حال هذه الأصنام. هلْ تسْمع دعاء الدّاعي ؟ وهلْ تنْفع أوْ تضرّ ؟ تنبيهًا على دليل انْتفاء الإلهيّة عنها " [3] وأنّهم لاشك سيظطّرون إلى أن يقروا بذلك، فقد وردَ على لسانهم ما يؤكد ذلك في قولهـــــــــــم چ ک گ گ گ گ چ [الأنبياء : 65] . حيث وقع ذلك تقريرًا بأنها لا تسْمع ولا تتكلّم، فعلّلوا فعْلهم والمواظبة عليه غرار ما كان يفْعل آبائهم، اقْتداء بهم، ومن على شاكلتهم، وفي هذا من التستّر لفعْلهم الشنيع .

وحاور هود- υ - قومه عن طريق أسلوب الاستفهام قاصدًا صرفهم إلى الحق وبيان الحجة، وإقامة الدليل مُنْكرًا عليهم فعْلهم چ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ککگ گ گ گ گ گ گ گ گ ں چ [الأعراف : 71] . ردًّا على قولهم چ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ چ [الأعراف : 70] . وفي جوابهم لهود - υ - إعلدة تكذيب له عن طريق الاستفهام الإنكاري على دعوته للتوحيد، ولكنّه أقلّ غِلظة من الجواب الأوّل الذي قالوا فيه چ ئۆ ئۆ ئۇ ئۇ ئې ئې ئى ئى چ [الأعراف: 66]. وجـــــــــــــــاء معنى قولـــــــــــــــه - υ- " أتخاصمونني في مسميات وضعتم لها أسماء لا تليق بها فسميتموها آلهة من غير أن يكون فيها من مصداق الإلهية شيء ما، لأن المستحق للعبودية ليس إلاّ من أوجدَ الكل... "[4]. فهو " ينْكر مجادلتهم إياه في الأصْنام ويُزْجرْهم على وقوعها، ويوبخهم على شناعة دعْواهم، وينْسب إليهم الجهْل الذي غيّبَ عنهم الرؤى الصحيحة لحقائق الأمور"[5]، فأنْكر عليهم مُسْتقْبحًا أفْعالهم المُوحية بالجهالة والضلالة، وهي التمسّك بعبادة الأصْنام التي لا نفْع لها ولا ضرّ .

---

1 - ينظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيْب، الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1421،1 ه / 2000 م ، م .12. ج 24 / 122 .
2 - لسان العرب (ع . ك . ف) 9 / 255 .
3 - التحرير والتنوير . م 9 . ج 19 / 139 .
4 - روح المعاني 8 / 159 .
5 - التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، عبد العظيم المطعنـــــــــــــي، (د ، ط)، مكتبة وهبة، القاهرة، (د ، ت)، 1/ 383 .

وبهذا فإنّ وقُوع الإنْكار فيما سبق: جاء لغرض تنبيه الأقوام إلى الخلّل في أفْعالهم الخاطئة، وعقائدهم الضالة، ليلتفتوا إليها، ويقْلعوا عنها، وفي ذلك فضْحٌ لنواياهم، وبيانٌ لخطئهم الذي يرتكبونه، لاسْتبْدال الخطأ بالصواب من أفْعالهم .

وفيه صرْفٌ لحقيقة ما همْ فاعِلون مُرجّحًا قوْله : أتنكرون عبادة الله – وحده لا شريك له – بعبادة أصْنام تنْحتونها مع آبائكم، وسميتموها آلهة منْ تلْقاء أنفسكم ؟ اصطلحْتم عليها مع آبائكم لمْ ينزل الله بها دليلاً ولا بُرهانًا، وإذا أصرّيْتم على البقاء على الكفر فإنّ مصيركم سيكون وخيمًا، لأنكم سائرون في طريق الجهالة والكفْر .... " وفي تشبيه الدليل بالسلطان [1] استعارة تصريحية، أصليّة" [2]" بجامع قوّة النفوذ ووجُوب الانْقياد"[3] في كل، ثمّ استعير اللّفْظ الدّال على المشبه به وهـــــــــــــــــو(السلطان) للمشبه (الدليل) على سبيل الاستعارة التصريحيّة، وذلك للتصريح فيها بلفظ المشبه به. والقرينة حالية وهي أنّ السلطان لا ينْزل، واللفْظ المستعار هنا (السلطان) اسم جامد غير مشتق، ولهذا سميت (بالاستعارة الأصْليّة)

وحَاورَ النبي إلياس- υ- قومه منكرًا عليهم مايعبدون عن طريق الاستفهام ومجاريًا لهم إلى ما ينبغي عبادته في قوله تعالـــــــــــــى چ ڤ و و ڤ . ي ٻ ٻ ٻ د . ئا ئا ئه ئه ئو . ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ چ [الصافات: 123 – 126] .

اختلف المفسرون في الأصل الذي كان يعبده قوْم إلياس - υ - فمنْهم منْ ذهب إلى أنّهم كانوا يطْلقون على صنم لهم من ذهب اسمه (البعْل) [4]، ويقال أتدعون بعلاً ربًّا سوى الله، . وعلى كلّ فهو يسْتفْهم قوْمه مُسْتنْكرًا عبادتهم للصنم الذي أطلق عليه (بعْلاً) وترْكهم عبادة المولى – عزّ وجلّ – وهو منْ خلقهم، وخلقَ لهم ما في الكوْن .

فالإنكار وقعَ من نبي على قوْمه وهو مثْلهم ليْس مَلِكًا؛ بلْ مبعوثًا إليهم من الله – سبحانه وتعالى – قصْدًا لنبْذ عبادة الأصنام التي يتمسكون بها، وينادون بالتشريك مع الله – تعالى - فوقع الإنكار من شخْص إلى قوْمه لاهْتمامه بأمْرهم باعتبار صفة

---

1 - السلطان هو: البرهان والحجة؛ لأنه يكسب المستدل به سلطة على مخالفه ومجادله . ينظر: لسان العرب 7 / 320 (سَلَطَ) .

2 - التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم 1 / 385 .

3 - السابق .

4 - البعْل : صنم سمي بذلك لعبادتهم إيّاه كأنّه ربهم، وقيل هو صنمٌ يقال أنا بعْل هذا الشيء، أي ربه ومالكه ... والبعْل اسم ملك، وبعْل الشيء أي ربه ومالكه ... وسمي زوج المرأة بعْلاً ؛ لأنه سيدها ومالكها . ينظر : لسان العرب 11 / 57 (بَعَلَ) .

القومية التي توجب وقوف البعض مع البعض؛ لدافع القومية في ذلك فوقع التطابق بين (أتدعون) و (تذرون) طباق إيجاب، واقْتضى تعجّبه - υ - من عبادة قوْمه للبعْل الذي لا يجْدي نفْعًا، وترْكهم عبادة خالقهم الذي بيده الضرّ والنّفْع .

واستفْهم الرسول محمد - ρ - من مشركي قريش في جملة ما أمره الله بقوله ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ [الأنعام : 148]
.

إذْ إنّ مشركي مكة احتجوا على رسولهم بأنّ ما همْ عليه لوْ لمْ يكن يرْضى الله لصرفهُم عنه " والمقصود من الاستفهام في قوله (هلْ عندكم) التهكّم بهم في قوله ﭽ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ [الأنعام : 148] .

وبهذا فقرينة التهكّم بادية لأنه لا يظن بالرسول- ρ - والمؤمنين أنْ يطلبوا العِلْم من المشركين، كيْف وهو يُصارحهم بالتّجْهيل والتضليل صباح مساء [1] ، وكأنه - ρ - يسألهم عنْ أمر يريدهم أنْ يحققوه، وفي هذا إغْراء لهم حتى يُظْهر عجْزهم وقلّة حيلتهم أمام المولى – عزّ وجلّ - .

ثانيًا : الاستفهام الذي لا يتضمن طلب الرّد والتعقيب بحسب وروده في السياق :

حاورَ الأنبياء– عليهم السَّلام– أقْوامهم مُوجهين لهم أسئلة لإثارة أذْهانهم وتنبيههم على خطإ ما يفعلون، وإلجامهم الحقيقة وهم مخرصون .

من ذلك قول نوح - υ - لقومهﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ[هود: 28] الاستفهام في (أرأيتم) استفهام تقريري، والاستفهام في (أنلزمكموها) استفهام إنكاري، بمعنى : لا نكرهكم على قبول الحجة .

والمعنى " لسْنـــا بمثابة منْ يقع منه هذا الإلزام، وأنّ غيرنا منْ يفْعلُه، جلّ الله– تعالى – " [2]؛ أي : لا نُجْبركم بالإكراه على اتباع الدين الحق؛ لأنّ اتباع الدين لا يكون إجْبارًا، بلْ يكون على إرادة حرّة، إذْ لا إكراه في الدين كمـــا في قوله تعـــالى :ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﭼ [البقرة: 256]

---

1 - ينظر: التحرير والتنوير . م 5 . ج 8 / 150 .
2 - دلائل الإعجاز، ص 119، وينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم / 2 /279، ط2، مكتبة التراث، (د ، ت) .

فوقع الإنكار تكذيبًا لدعْواهم ذلك . وفي هذا ما فيه من الإفْحام؛ لأنه بيّنَ لهم ما لا يفهمونه ولا يتدبّرون معناه .

ووصْف القوم بالعمى، لأنّهم لا يبصرون شيئًا، والحُجّة أو الأنباء بعْض أفْراد ما لا يبصرونه، (فعميت عليكم) [1] مجاز مرسل بعلاقة الجزئية، كما يقال رَعَتَ الغيْثَ - ويُراد به النبات المتسبّب عن الغيث . يُقال هنا على الأنباء إذا لمْ تُبْصر بأنّها عمْياء ... لأنّه جزْء ما لا يبْصره القوْم [2] .

فذكر (الأنْباء) وهي جُزْء ممّا لا يبْصره القوم، وأريد به الكلّ وهي البيّنة كلّها لا الأنباء وحْدها، فسيقَ هذا المجاز المرْسل وعلاقته الجزئية مُبالغة في وصْفهم في وصْفهم بالعمى؛ لأنهم جاحدون ناكِرون للبينات .

وقال لهم هود- υ- منكرًا عليهم موبّخًا قومه على صنيعهم: چې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە چ [الشعراء : 128 – 129] .

وهذا ما لا يقْبل تعْقيبًا ولا ردًّا فهو استفهام تقْريع وتوبيخ، ومنْبع التوبيخ هو الجملة الحالية (أي تعبثون) بما أنْعم الله – تعالى – عليكم، والمعنى : إنكم تبنون بكل مكان مرْتفع علمًا تعبثون ببنيانه، وتلعبون بالمارّة، وتسخرون بهم، فهذا ما أنْكره هود على قوْمه، ثمّ دعاهم إلى تسْخير النعم فيما يرضى الله – عزّ وجلّ – " [3] .

فصبّ - υ - الإنكار على عبثهم ولهْوهم تضْييعًا لأوْقاتهم، لا تخاذهم ذلك سببًا للفساد والإفْساد .

ومما وردَ اسْتفهامًا لا يتطلّب جوابًا قوْل صالح - υ - لقومه : چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ چ [هود : 63].

فهذا " اسْتفهام معناه النفي أي لا ينصرني منه إن عصيْته أحد "[4] ، وفيه كذلك إلزام وجدلٌ، أي إنْ كنتم تنكرون نبوءتي وتوبخونني على دعوتكم فأنا مؤمن بأني على

---

1 - (عمّيتْ عليكم) أي : خفيت عليكم، شبهتْ الحُجّة التي لم يدركها المخاطبون كالعمياء في أنها لمْ تصلْ إلى عقولهم، كما أنّ الأعمى لا يتهدى إلى مقصده فلا يصل إليه .

2 - ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم المطعني، ط 1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1413 ه / 1992 م،323/2،322.

3 - التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم 2 / 108 .

4 - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1418 ه / 1998 م، 12 / 97 .

بينة من ربي ... وأنتم تعلمون أن يقيني بذلك يجعلني خائفًا من عذاب الله إن عصيْته، و لا أحد ينصرني [1] .

فمنْ الدالة على الاستفهام تفيد النفي، وكذلك التقرير بالنفي في قوله (منْ ينصرني من الله إن طردتهم ...)، ويمكن أن يجيء الاستفهام إنكاريًّا، والمعنى : منْ يخلصني، أيْ : ينجيني من الله ومن عقابه، أي:لا ناصر لي من الله إنْ قمت بطرْدهم، و لا نصْرة لي من الله – عزّ وجلّ – فالله هو الناصر والمؤزر القادر على فعْل ما يشاء .

وبهذا يتبين أن الاسْتفهام أتى للنفي وللتقرير به؛ لإرْغام الخصْم – قوْمه – على الإذْعان للحجّة والنطق بها، لا لطلب العلْم من القوْم، لأنهم سائرون في طريق الجهْل والضلالة التي لا تلْزم العلْم والفهْم ... والله أعلم ....

استفهم موسى - υ - من قومه، وهو واثق من عدم إجابتهم على سؤاله في قوله تعالى : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ [الأعراف: 138 – 140] .

الهمزة في قوله (أغير) للإنكار والتعجّب منْ طلبهم لنبيهم موسى - υ -[2] مع أنهم مغمُوسون في نعم الله عليهم ويعبدون غيره – جلّ وعلا – فموسى - υ - ينْكر على قوْمه اتخاذهم إلهًا غير رب العالمين، ويذكّرهم بنعمة الله عليهم بإنقاذهم من جبروت فرعون وقهره، وحياة الذل والمهانة معه، وما أصبحوا عليه من العزة والرفاء مما كانوا عليه، والنظر إلى ما صار عليه – فرعون – من حال الذلّ والمهانة .

فسوْق الإنكار والتعجّب من نبيهم موسى - υ - ألزمهم الحجة وهم مُخرصون عن قول الحقيقة، وهذا مما لا جِدال فيه، لأنهم مُخرصون عنْ قوْل الحقيقة .

ومما سيق استفهامًا لا يقْبل تعقيبًا ولا ردًّا قوْل النبي محمد - ρ - مُشوّقًا المخاطب إلى ما سيلقي منْ أخبار قوْله تعالى في جملة ما أمر بقولـــــــــــــــه ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﭼ [آل عمران : 15]

1 - ينظر: التحرير والتنوير . م 6 . ج 12 / 112 .
2 - ينظر: التحرير والتنوير . م 5 . ج 9 / 83 .

قال ابن عاشور : وقع الاستفهام " للعرْض تشْويقًا من نفوس المخاطبين إلى تلقي ما سيقص عليهم " [1]، ووقع التشويق " لأنّ المخاطب يتطلّع وتتشوّق نفسه لمعرفة ما سيذْكر من نبأ هو الخير كلّ الخير " [2] ، والمخاطبون متشوقون لما يقص عليهم من جزاء المتقين، وأنه جنات عدْن تجْري من تحْتها الأنهار، فالاستفهام بالهمزة في جملـــــــــــة (أؤنبكم) – أي : أأخبركم بجزاء الصالحين؟- سيق للتشوق، وقدْ وعدهم ربّهم بالجنة ونعيمها.

ووقعَ العرْض والتخويف من الوعيد بالاستفهام في حِواره - ρ - لكفار قريش في جملة ما أمر بتبْليغه چ يـ □ □ □□ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ چ [الحج : 72] ، الاستفهام للاستئذان التهكمي، وجاء تهكّميًّا؛ لأنه نبّأهم بذلك دون أن ينتظر جوابهم .

لما كان جزاء المتقين الجنة، جاء جزاء العصاة النار خالدين فيها، فأسلوب العرْض اقتضى " إفادة زيادة إغاضتهم بأنْ أمر الله رسوله - ρ - أنْ يتلوه عليهم ما يفيد أنّهم صائرون إلى النار " [3] ، وفي هذا توجيه وإثارة لشدّ عُقولهم إلى ما يأتي ، حتى يقلعوا عنْ ما همْ فيه، وقدْ أفاد الاستفهام (بالهمزة) " إثارة النفس لما يتْلوها منْ حديثٍ وعدًا أوْ وعيدًا أو ذمًّا " [4] .

---

1 - التحرير والتنوير . م 3 . ج 3 / 184 .
2 - التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم 1 / 154 .
3 - السابق 17 / 336 .
4 - أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، عبد العليم السيد فوده، (د، ط)، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، والعلوم الاجتماعية لنشر الرسائل الاجتماعية، (د ، ت)، ص:236 .

المبحث الثاني : العطْف وتركه داخل السياق الحِواري :

العطْف هو الوصْل، وترْك العطْف هو الفصْل على حدّ تعبير البلاغيين [1] .

حيث يعد باب (الفصل والوصل) فنا عظيمًا، لأنه يدرس مواقع الجمل منْ حيثُ الوقوف على ما ينبغي أنْ يصْنع فيها من العطْف والقطْع والتهدي، ويتفاوت الكلام بالفصل والوصل تفاوتًا كبيرًا ارْتقاءًا أو نُزُولاً من المراتب البلاغية، وبه يتفاضل الكتاب والشعراء والخطباء والمحدثون، وقد ورد منه في الكلام المعجز المنزل على سيدنا محمود - ρ - فلنقتفي بعض أثره بما يسع لنا العلْم والفهْم في حِوار الأنبياء أقْوامهم .

الفصْل في اللّغة: "هو جعْل حاجز، أو حدّ بين شيئين يُبين من خلاله أحدهما عن الآخر... وخلافه الوصْل أي: اتّحاد الأشياء بعضها ببعض[2] .

والفصْل في اصطلاح البلاغيين: عرّف البلاغيون الفصْل فقالوا: الفصْل ترْك العطْف بين جملة وأخرى، والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد الأخرى[3].

"ومعلوم أنّ ترْك العطف– الذي هو الفصْل – أصْلٌ، إذْ لا يفتقر فيه إلى زيادة شيء على المنفصلين، والعطْف – الذي هو الوصْلٍ – يُفْتقر فيه إلى وجود حرْف مزيد ليحصل، وما يفتقر فيه إلى زيادة حرْف فرْعٌ عما لا يفتقر فيه إلى شيء مزيد كالذاتي " [4]، ومن هنا يتضح أنّ الفصْل أصْلٌ والوصْل طارئ عليه، والفصْل ونظيره

---

1 - ينظر: دلائل الإعجاز ص 222 .
2 - ينظر: المحكم والمحيط الأعظم ابن سيده، تح : عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000 م، مادّة (فَصَلَ) 329/8، (وَصَلَ) 8/ 374.
3 - ينظ: دلائل الإعجاز ص 222 .
4 - مواهب الفتاح (ضمن شروح التلخيص)، للمغربي، 2 : 523 .

يختصان اصْطلاحًا بالجمل والمفردات، كما أنّ تأخر الوصْل بعد الفصْل أحْسن لما فيه من التفاؤل مما يقتضيه العكْس لما فيه من التطيّر .

ويبدو أنّ الإمام عبد القاهر الجرجاني أوّل منْ أفاض في الحديث عنْ هذا الفنّ في كتابه (الدلائل)، ووضع دقائق أصوله وفروعه، ولم يترك لمن جاء بعده كبير مجال فيه، اللهم إلاّ بعض الإضافات الخفيفة التي لا تخرج عن الأصول التي وضعها – رحمة الله عليه – ثم نهج السكاكي منهجه في هذا الدرس، وتابعهما الخطيب القزويني، ثمّ شراح التلخيص منْ بعده .

وبهذا فإن الفصْل والوصْل: هو ترْك العاطف بين الجُمَل وذِكْره ...[1] .

أوّلاً : الوصْل (العطف) :

الوصْل خلاف الفصْل، يقال: وَصَلَ الشيء بالشيء يَصِلُه وصْلاً وصِلَةً، وصُلَةً، واتّصَلَ الشيءُ بالشيء : لمْ ينْقطع [2] .

فوصْل الجمل هو" عطْف بعْضها على بعْض بالواو أوْ إحدى أخواتها، وفائدته تشريك المعطوف والمعطوف عليه في الحُكم " [3] .

والحروف التي تعطف الجمل بعضها على بعض هي "(الواو، والفاء، وثمّ)، والفاء تفيد الترتيب مع التعقيب، و(ثمّ) تفيد الترتيب مع التراخي " [4]، ولما كانت تلك الحروف تفيد مع التشريك في الحُكْم معانٍ أخر، وكانتْ الواو لا تفيد أكْثر من التشريك في الحُكم، فإن علماء البلاغة يبحثون أسرار عطْف الجمل بعضها على بعْض بالواو بخاصة؛ لأنّ الواو ليْس لها من المعاني التي اسْتقرّتْ لأخواتها السابقة، بلْ تقْتصر على معنى " الإشراك في الحُكْم الذي يقتضيه الإعراب الذي أتبعتْ فيه الثاني الأول " [5] بخلاف (الفاء، وثمّ ...) فإنّ لها معاني إلى جانب إشْراكها في الحُكْم الإعْرابي – كما سبق – تغني عنْ بحْث أسرارها .

ومن مواضع الوصْل (العطْف) بين الجملتين" أن يكون للجملة المعطوف عليها موْضع من الإعراب " [6]، فإذا جاءتْ جملة بعد جملة وكـــــــان للأولى

---

1 - ينظر: التبيان في البيان، الطيبي، تح: عبد الستار حسين زموط، دار الجيل، بيروت، ط1، 1416ه / 1996 م، ص: 299 .
2 - لسان العرب (و . ص . ل) 11 / 726 .
3 - علوم البلاغة ص: 163 .
4 - الأصول في النحو، ابن السراج النحوي البغدادي، تح: عبد الحسيـــــن الفتلـــــــــــي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1988 م، 2/ 55 .
5 - دلائل الإعجاز ص 224 .
6 - السابق ص 223 .

محـــــــلّ من الإعْراب، فإنه يجب عطْف الثانية عليها؛ وذلك لاشتراكها في حُكْم إعرابي واحد .

وقد جاء ذلك كثيرًا في حِوار الأنبياء أقْوامهم على النحو الآتي:

في حِوار نوح - υ - قومه في أول دعوته مخبرًا لهم عن مهمته چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ . ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ . ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ . ک ک ک گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ چ [الأعراف : 59 – 62] بإنعام النظر في أسرار تعاطف الجملتين [أبلغكم رسالات...] و[أنْصح لكم...] نجد أنّ للجملة الأولى موْضعًا من الإعْراب لأنها " في محل رفع نعت لرسول " (1)، وجملـــــــــــــــة [أنْصح لكم] " في محل رفع معطوفة على جملة أبلغكم " (2)، وأنـــــــــــــــه - υ - أراد إشراك الثانية مع الأولى في الحُكْم الإعْرابي، وقصدَ أن تكون نعْتًا ثانيًا لرسول، على جانب أنه رسول من ربه حملَ مهمة التبليغ فإنه يضمر النصح لهم؛ وذلك استمالة لهم حتى ينضموا تحت لوائه، ويتركوا ما هم فيه من الكُفْر وأسبابه .

وكذلك وردَ الوصْل الذي قصد به تشريك الجملة الثانية للأولى في الحُكْم الإعرابي مُحاورة عيسى-υ- لقومه چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ چ [المائدة : 72] ، حاور عيسى - υ - بني إسرائيل، وبين لهم عاقبة منْ يشْرك بربه أحدًا، فجاءتْ الجملة الثانيـــــــة [مأواه النار] موصولة، حيثُ عطفتْ بالواو على الجملة الأولى [فقد حرّم الله عليه الجنة]؛ لوقوع الأولى" في محل جزْم جواب الشرط مقترنة بالفاء"(3)، ولهذا لزم عطف الثانية عليها؛ لأنه - υ - أراد التشريك في الحكْم لمنْ خالفه، وعصى ربه، وأبى إلاّ أن يكون كافرًا، فجاءتْ معطوفة بالواو في محلّ جزْم على جملة جواب الشرط السابق، وسرّ هذا الوصْل بيان الحِساب الذي سيلاقيه بنو إسرائيل بعد اتباعهم لرسولهم، وبقائهم على كفرهم .

ويُلزم الوصْل بين الجملتين، إذا اتحدتا معًا خبرًا وإنشاء، وكانت بينهما مناسبة تامة، ولا يوجد سبب يقتضي أنْ يفْصل بينهما (4) .

وقد وقعَ الوصْل بين الجملتين المتحدتين خبرًا وإنشاءً على لسان كل مــــــــــــن (نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب) – عليهم السلام – جميعًا،

---

1 - الجدول. م 4 . ج8 / 442 .
2 - السابق .
3 - الجدول . م 3 . ج 6 / 418 .
4 - ينظر: الإيضاح 3 / 127 .

وسجّلتْ وقائعه سورة الشعراء في قولهم جميعًا لأقوامهم چ □ □ □ چ [الآيات على حسب ورود الأنبياء : 108، 126، 144، 163، 179] .

ففي هاتين الجملتين عطفتْ الجملة الثانيـــــة [أطيعون] على الأولى [اتقوا الله]؛ لاتحادهما إنشاء، فكل منهما أمْر أُمِر به – بعبادة الله – سبحانه وتعالى – مع بيان وجوب الطاعة للأنبياء، وهما بمعنى " خافوا عذاب الله وأطيعـــــــــوا أمْـــــــــــــري " [1]، ودمْج التقوى بالطاعة يعني " اتقوا الله في طاعتي ... "[2]، وهذا يعني أنّ طاعة الأقْوام لله – سبحانه وتعالى – تجْعل فعْلهم وقاية لهم منْ عذابه، وإطاعة رسلهم – عليهم السلام – فيما يأمرونهم به عن الله – جلّ وعلا – من عبادة الله، والإيمان بالله الواحد الأحد، وكلّ ذلك يبين الأصْلح لهم؛ لأن تقوى الله وعبادته لا تكتمل إلاّ بطاعة الأنبياء، ولهذا عطفت الثانية على الأولى ؛ ولأنهما يصبان في اتجاه واحدٍ هو (عبادة الله وترْك عبادة الأصنام)، وكان الأنبياء منتظرين من أقْوامهم الإخلاص لله وحده – لا شريك له -، ولأنه لا يوجد مانع من العطْف .

ومما اتفقتْ فيه الجملتان إنشاءً قولُ شعيب - υ - لقومه ناهيًا إياهم عن الغش في مُعاملاتهم چ ڈڈڑ ڑ ڑ ڑ چ [الأعراف : 85] " أمرهم بشيء خاص وهو إيفاء الكيل والميزان، ثم نهاهم عن شيء عام وهو قوله [أشياءهم] " [3]، ولهذا عطفتْ جملة النهي عنْ جملة الأمر لأنها إنشائيتان لفظًا ومعنى، وأمرهم - υ - بإيفاء الكيل والميزان، ونهاهم عنْ بخْس الناس أشياءهم، وقدْ حققَ ذلك قوّة الترابط بين الجملتين، فعدم بخْس الشيء يقتضي إيفاءه تمامًا .

ثانيًا : الفصْل (ترْك العطْف):

إن طبْع الكلام إنما هو منْ طبع النفوس المترْجم عنها، والنفوس إما متعانقة متآلفة منسجمة متّصلة من غيْر حاجة إلى واصلٍ بينها، وإما متعادية متقاطعة مُتنافرة لا تقبل الوساطة و لا الواصل، وهذان هما كمال الاتصال وكمال الانْقطاع وهما ما لخصهما الإمام عبد القاهر : " فترْك العطْف يكون إما للاتصال إلى الغاية أو للانفصال إلى الغاية، والعطف لما هو واسطة بين الأمرين، وكان له حالٌ بين حالين، فاعرفه " [4] ، ثمّ الاستئناف البياني الذي تثار فيه أسئلة في وهْم المخاطب وكأنه يتساءل : وماذا كان بعد ذلك ؟ أم : ماذا ثمّ ... وماذا ؟ فيأتي الكلام مفْصولاً ردًّا على

1 - صفوة التفاسير، تفسير للقرآن الكريم جامع بين المأثور والمعقول مستمد من أوْثق كتب التفسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط9، (د ، ت)، 2/ 287 .
2 - الكشاف 3 / 328 .
3 - البحر المحيط 5 / 102 .
4 - دلائل الإعجاز ص 243 .

ذلك ووفاءً به وبهذا يرد الوصْل لأسرار معنوية دقيقة، ومدى وفائها بأغراض الأنبياء، كلّ في سياقه ومقامه.

ومما وقع فيه الفصْل بين الجملتين أنْ يكون بينهما اتحاد تام في المعنى ويسمى (كمال الاتصال)، ومنه أن تكون الجملة الثانية توكيدًا للجملة الأولى، سواء أكان تأكيدًا لفظيًّا " من متبوعه في إفادة التقرير مع اتحاد المعنى " [1] . وجاء هذا في حوار إبراهيم - υ - لقومه چ گ گ گ گ ں ں .ڻ ڻ ڻ ۀ چ [الصافات : 91 – 92]، فجملة چ ڻ ڻ ڻ ۀ چ مؤكدة لجملة چ ں ں چ وذلك لدفْع توهّم تجوّز أو غلط، وأنه- υ - بُولغ في عجْز أصنامهم بنفْي الأكْل عنهم، وجاء بحرف (ما) الدال على عدم نطْقهم، إذْ جوّز في قوْمه التوهّم مما يرْقى به جُزافًا فأخبر عنهم القرآنچ ه ھ ھ چ [الصافات: 94]، فأكّد التوهّم الحائم بهم بقوله چ ے ۓ ۓ ڭ چ [الصافات :95]، فأنكر عليهم عبادة الأوثان وهذا من باب التأكيد المعنوي؛ لأنه أكّد عدم نطْق الأوثان بعدم أكْلهم، وهذا دليلٌ على عجْز الجامد من الأشياء التي صنعها القوم، والتي لا تعي شيئًا وفي ذكْر هذا ما فيه من الحُجّة والبرهان لتصْديق دعْوتهم .

ومما وقعَ فيه الفصْل بين الجملتين لوقوع الثانية بيانًا وتفْسيرًا للأولى قول موسى وهارون – عليهما السلام-چ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې چ [طـــــــه : 47] . حيثُ فصل جملة: [قدْ جئناك بآية] عن جملة [إنا رسولا ربك] فكانت الجملة الأولى إجْمالاً والثانية بيانًا لها؛ لأنها جارية من التي قبْلها مجْرى " البيان والتفسير، لأن دعوى الرسالة لا تثْبت إلا ببينة التي هي المجيء بالآية " [2]، وكان المغزى من الفصْل تعْميق أصول دعْوتهما في قلْب فرْعون موضحين له المعجزة التي أيدهما الله بها، حتى تكون لهما حجة وبرهانًا في تبليغ ما أمرا به؛ ولهذا فصلت الجملتان لمجيء الثانية بمنزلة عطْف البيان؛ لقوة الاتحاد بينهما . لأن من أرسله الله – تعالى – فقد أتبعه ببينة تؤيده وتنصره على من يعاديه، وهذه البينة تكون حجة وبرهانًا له في ميْدان التّحاور بينه - υ - وبين قومه .

وكذلك في قول النبي محمد - ρ - فيما أمر به چ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک . گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ چ [ص : 69– 70]، والملأ الأعلى على قول الزمخشري: " أصحاب القصة الملائكة وآدم، وإبليس، لأنهم كانوا

1 - الإيضاح 3 / 109 .
2 - التحرير والتنوير . م 11 . ج 23 / 298 .

في السماء، وكان التقاول بينهم " [1]، فوقع الفصل بين جملة [إن يوحى ...] وجملـــة [ما كان لي ...]؛ لأن الجملة الثانية وقعتْ بيانًا للأولى والمعنى أنني " (ما علمت بذلك النبأ بوحي من الله، وإنما أوحى الله إليّ إلاّ هذا)، (وهو أن أنذر وأبلغ ولا أفرط في ذلك) " [2]، فكان ردّه - υ - بيانًا لجوابه لهم بأنه يوحى إليه من المولى ليكون نذيرًا لهم ومبين، فجاء ذلك بمنزلة عطْف البيان، وهو بيان لعمله المأمور به من قبل خالقه – عزّ وجل -، لا يتعدى إلى غيره، وفي هذا القول بيان بأن السلطة والهيبة لله – وحده – لا شريك له، وفي ذلك تأثير على قومه .

وقد يفصل بين الجملتين إذا لمْ تكن بينهما مناسبة ما كقول نوح - υ - لقومه ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ [هود :31] . فمع اتفاق الجملتين في الخبرية فصلت الثانية وهي جملة (الله أعلم) عن الأولى وهي جملة [لن يؤتيهم الله خيرًا]؛ لعدم التناسب بينهما في المعنى، وامتناع الجهة الجامعة، فالجملة الأولى تخبر عن علم الله للنوايا، والجملة الثانية تقرر أن التّصريح بعدم إيتاء الله إياهم خيرًا ظلم مؤكد، ولا وجه مقاربة بين العِلْم الخفي والنفس الظالمة، فتحقّق كمال الانقطاع، ففصلتْ الثانية عن الأولى وحسُن الفصْل .

ويتحقّق الفصْل بأن تكون الجملة الثانية جوابًا عن سؤال يفهم من الجملة الأولى، ويسمى (شبه كمال الاتصال)، " وفائدته إما التنبيه على مكان السؤال أو الإغناء عنه، أو لئلاّ ينْقطع الكلام " [3] .

وقد يكون السؤال عن السبب العام للحكْم [4]، وقدْ جاء الاستئناف الذي وقع فيه السؤال عن السبب العام فيما أجاب به نبينا محمد - ρ - قومه ﭽ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ [الأنعام : 50] .

الشاهد في جملة (إن أتبع إلا ما يوحى إلي) حيثُ " جاءت مستأنفة اسْتئْنافًا بيانيًّا " [5] ، إذْ جاء السؤال عن السبب العام لنفْيه السابق لكونه ملكًا، وعدم علْمه الغيب، فكأن قومه سألوه : ما طبيعة رسالتك ؟ أو كيف تكون رسولاً وأنت تنفي ما يدعمها ؟ فردّ عليهم بأنه مؤْقوفٌ على اتّباع ما يوحى إليه من المولى – عز وجل – وتبليغه للناس كافة، وكأنه - ρ - قصد الإغناء عن أسئلتهم التافهة فقال : (إن أتبع إلاّ ما يوحى إليّ) .

1 - الكشاف 4 / 106 .
2 - السابق.
3 - التبيان في البيان، ص: 302 .
4 - ينظر: الإيضاح 1 / 153 .
5 - التحرير والتنوير . م 4 . ج 7 / 242 .

وكذلك وردَ الاستئناف الذي تضمّن سؤالاً عن السبب العام (المُطْلق) فيما حاورَ به موسى - υ - بني إسرائيل بشأن البقرة التي أوْصاهم بذبْحها، فلنتتبع وقائع هذا الحِوار على طول السياق چ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئې ئې ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح طم ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم گ گ گ ل ل ل م م ن ن ن ه ه ه و ى ي ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ [البقرة : 67 – 71] .

فقد " اشتمل هذا النظم الكريم على مواطن عدة للاستئناف البياني بعد لفظ [قال] في قوله چ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ چ " [1]، والحوار السابق دار بين القِيل والقال يتضمن أسئلة واضحة كما يحدث بين المتحاورين، وما يهمنا هو ما صدر عن نبينا موسى - υ - حين طلبوا منه بيان نوعها ؟ والجواب واضح في قوله تعالى چ و ۆ ۆ ۈ ۈ ٷ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئې ئې ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح طم ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم گ گ گ ل ل ل م م ن ن ن ه ه ه و ى ي ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ چ ، ولما طلبوا منه بيان لونها، جاء جوابـــــــه چ ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئې ئې ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح طم ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم گ گ گ ل ل ل م م ن ن ن ه ه ه و ى ي ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ چ ، ولما طلبوا منه تحديدها بشيء أكثر دقة يميزها عن الأخريات جاء جوابه چ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ا وكان استدراجهم لنبيهم - υ - لمعرفتها بكل وضوح؛ حتى يسهل لهم بذبْحها التعرّف على القاتل، وأخيرًا جاء جوابه - υ - " لا يخلو من سؤال ينشأ في ذهْن السامع : هل ذبحَ بنو إسرائيل البقرة بعد هذا الإفراط والتعنت ؟ فجاء الجواب عليه في قوله تعالى چ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ [2] " .

إنّ الجُمل الثّلاث [إنه يقول إنها بقرة لا فارض ...]،[إنه يقول إنها بقرة صفرء]، إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ...) جاءت مفصولة عما سبقتْها من جُمل؛ لوقوع كلّ منهما جوابًا لسؤال يثيره المقام : ماذا ردّ موسى- υ -؟ فأشبهتْ الحالة كمال الاتصال، فسمي هذا الموضع من الفصْل (شبه كمال الاتصال) .

1 - المباحث البلاغية في سورة البقرة (علم المعاني) شواهد ونماذج، دراسة تطبيقية تحليلية، ص 133، إبراهيم مفتاح إيحور، رسالة ماجستير بالجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية، إشراف الأستاذ الدكتور: محمد مصطفى صوفية، 2007 م، ص: 133 .
2 - السابق ص: 133 .

المبحث الثالث : السياق والبعد البلاغي .

إنّ الأمر والنهي في الذكر الحكيم يتخذ بُعْدًا أسلوبيًّا وبُعْدًا سياقيًّا؛ لأنّ دلالة الأمر والنهي قد تكون منتجًا سياقيًّا خالصًا كما هو الحال في الأساليب الخبرية، وقد يكون السياق هو الذي يتحكم في مستوى الدلالة وتفاوت الأمرية فيها عند ورودها في الصيغ الصريحة .

أوّلاً : دلالة الأمر :

جاءت دلالة الأمر في اللُّغة بأنه " نقيض النهي " [1]، والأمر في الاصطلاح هو طلب الفعْل على وجه الاستعلاء والإلزام [2]، أو هو كما قال

1 - لسان العرب (أ . م . ر) 4 / 26 .
2 - ينظر: معجم المصطلحات البلاغية ص 313 .

السيـــــــــــــوطي[1] " طلب فعْل غير كفّ، وصيغته(افْعَلْ ولْيَفْعَلْ)، وهي حقيقة في الإيجاب" [2] .

وقد اختلف البلاغيون فيما تستعمل فيه صيغ الأمر فقيلَ " تستعمل في الوجوب، والمراد بها الإلزام والتكليف، وقيلَ تسْتعْمل في معنى يشمل الوجوب والندب على جهة الاسْتعلاء، ويرى آخرون أنّ الأمر من الألفاظ المشتركة بين الوجوب والندب فقط، أوْ بين الوجوب والنّدب والإباحة " [3] .

والأصل في الأمر أن يدل على الوجوب، وإنما يدل على غيره بالقرائن، ومن هنا لا بدّ أنْ يكون من جهة العلوّ (منْ أعْلى لمنْ هوَ أدْنى منه) . وهذَا مما سيتجلّى الوجْه فيه في حِوار الأنبياء أقْوامهم، والتي جاء الأمْر فيها صريحًا، ومنْ ذلك ما قاله هود - υ- في حِواره لقومه: چ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ چ[هود : 54].

أرْدفَ النبي هود- υ - توجيه الأمْر الصريح بالفعْل (كِيدُوني) بعْدَ تبرئة نفسه منْ قوْمه، وهي انْتفاضة التبرّؤ من القوْم، وقدْ كانَ منهم ومثْلهم، وانتفاضة الخوْف من البقاء فيهم؛ لاتخاذهم طريقًا غير طريق الله، فقد "جعلَ الخِطاب لقومه؛ لئلاّ يكون خِطابه لما لايعْقل ولايسْمع، فأمرَ قومه بأن يكيدوه، وأدْخلَ في ضمير الكائدين أصْنامهم؛ مُجاراةً لاعتقادهم، واستقصاء لتعجيزهم، أي أنتم وأصنامكم " [4] ووقعَ التحدي بأمرهم بصيغة (كِيدوني) تعجيزًا لهم ولأصنامهم عنْ فعْل شيء يؤذيه، وجاءَ هذا الأمْر اسْتخْفافًا بأصنامهم العاجزة عنْ أي فعْل تجاهه - υ - لأنه متوكّل على الله– سبحانه وتعالى – من جهة، وأنها أصْنامٌ لا إرادة لها ولا تصرّف منْ جهة أخْرى .

والملاحظ أنّ وُرُود الطلب في الأمْر الصريح بعْد جملتين : الأولى خبرية، والثانية إنشائية، على حدّ تسمية البلاغة لهما، ويأتي هذا التّأكيد بذكْر السبب وبيان العلّة، وكأنّ هاتيْن الجملتين جاءتَا ردًّا على سؤال سائلٍ عن السبب، فيكون الجواب بالأسلوب الخبري، لأنه بيّنَ أنّ الناظر يظُنّ أنّ إسناد الفعْل إلى المخاطب، والأصْل هو للمتكلم، وذلك في بيان أنّه بريءٌ منْ عبادة قوْمه للأصنام، فقال الزمخشري" هلاّ قيلَ إنّي أشهد الله وأشهدكم؟ ... قلت: لأنّ إشْهاد الله على البراءة من الشرك إشْهادٌ

---

1 - عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين : إمام، حافظ، مؤرخ، أديب، نشأ في القاهرة يتيمًا، مات والده وعمره خمس سنوات)، توفي سنة (911 ه)، له (600) مصنف، منها : الإتقان في علوم القرآن . ينظر : الضوء اللامع 4 / 65 . رقم الترجمة (203) .
2 - الإتقان، السيوطي ، دار مصر للطباعة، (د ، ط) ، (د، ت) ، 2/ 218 .
3 - شروح التلخيص، (مواهب الفتاح)، المغربي، دار الإرشاد الإسلامي ، ط1، (د ، ت) ، 310/2 .
4 - التحرير والتنوير. م 6 . ج 12 / 100 .

صحيحٌ ثابت في معنى تثْبيت التوحيد وشدّة معاقده، وأمّا إشْهادهم فما هُوَ إلاّ تهاون بدينهم، ودلالة على قلّة المبالاة بهم " (1) .

وقدْ أقْحمَ الأمْر بإشهادهم أيْ بالشهادة عليهم، وبرزَ الفرْقُ بينَ الفعْليْن في الإسْناد في كلّ واحدٍ، وبِهذَا فإنّه " وجدَ هذَا الفرْق المعنوي بين الشهادتيْن، وجبَ أنْ يوجد في الصّياغة ضرْبٌ من المخالفة ... " (2) .

ومما وردَ فيه الأمْر الصريح للتعجيز قوله- ρ - ردًّا على احتجاج المشركين في تمسكهم بعبادة الأصنام ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [فاطر: 40] .

فإنه أمْرٌ للتعجيز، إذْ لا يستطيعون أنْ يروه شيئًا خلقتْه الأصْنام، فيكون الأمْر تعجيزًا في قوة نفي أنّهم خلقوا شيئًا ما (3) .

وفي هذَا الأمْر مُجاراة لخصومه - ρ - تعْجيزًا لهم عنْ فعْل أصنامهم شيئًا، فهي أصْنامٌ لا حسّ لها ولا حركة، فكيف تخلق شيئًا وهي مصنوعة أصْلاً بأيدي بشر، تعالتْ قدْرته – جلّ وعلا – عن الشَّبيه والمثيل .

ومما هوَ من هذَا النمط الذي يأتي فيه الحِوار ممزُوجًا بالأمْر الصريح بتعْقيب يهيئ للتهديد في قول كل من – شعيب ومحمد – عليهما الصلاة والسلام – فوقع التهديد بصيغة الأمْر للفعْل (اعْملْ) المضافة إلى واو الجماعة (اعملوا) في حِوار شعيب - υ - لقومه ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﭼ [هود :93] .

وفي حِوار نبينا محمد - ρ - لقومه ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ [الأنعام: 135] استعمل الأمر هنا في الإنذار والتهديد، والمعنى: اعملوا مُتمكّنين من مكانتكم؛ أي حالكم التي انتم عليها، أي: اعملوا ماتُحِبّون أن تعملوه بي(4) .

1 - الكشاف 2 / 382 .
2 - خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني)، محمد محمد أبو موسى، (د، ط)، مكتبة وهبة، القاهرة، 1427 ه / 2006 م، ص: 263 . وينظر : الكشاف 2 / 382 .
3 - ينظر : التحرير والتنوير م 11 . ج 22 / 325 .
4 - ينظر : التحرير والتنوير 12/ 152.

فقدْ جاء الأمْر من شعيب - υ - وهو " تهديد شديد، أيْ اعملوا على طريقتكم ومنْهجكم، إنّي عاملٌ على طريقتي، كأنّه يقول: اثبتوا على ما أنتم عليه من الكُفْر والعداوة، فأنا ثابتٌ على الإسْلام والمصابرة " (1) .

فكأنه أظْهرَ لهم أنّه غير مُكترث بما سيحلّ بهم؛ لأنّ عقولهم جاحـــــــدة لنعمـــــــــة الله – تعالى– وفي هذَا التهديد ما يُوحي بثقته بمصير خصْمه، ويُوحي بالمفاضلة والافتراق في الطريق، وأرْدفَ ذلك بقوله چ ٹ ٹ ٹ ٹ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ے چ.

وقدْ نهضَ حرْف التسويف (سوْفَ) بالتلويح بمعنى التخويف من الهلاك الذي سيلْحقُهم إنْ لمْ يقلعوا ويرْجعُوا عنْ ضلالهم وشركهم .

وجاء تهديده - ρ - لقومه بصيغة الأمْر [اعملوا] دلالة على التهديد والوعيد الذي سيلاقيه كفار مكة في تكذيبهم للرسول- ρ - فيما أوْحى إليه من المولى– سبحانه وتعالى – والعمل على غير مقتضاه، فتهديده- ρ - تهديد الواثق من الحقّ الذي معه، والحق الذي وراءه، ومن شدّة قوّة الحقّ، وواثقٌ- ρ - منْ منهجه وطريقه، وأنه واثقٌ من ضلالهم، وسيْرهم في طريق غير سَوِيّ، وأنّ مصيرهم يؤول إلى الزوال والوبال (2) .

وقدْ جرى– سياق الأمْر الصريح كِناية عنْ ترقّب النّصْر في قوله - ρ - في جملة ما أمر بقوله چ ئې ئې ئې ئى ئى ئد ىى ي ي □ □ □ □ □ □ □ چ[يونس : 20] .

قَصدَ- عليه الصلاة والسلام– من وراء إجابته لكفار قريش أنْ يُشْعرْهم بأنّ الله سينصره عليهم، وسينتظر معهم حُكْم الله الذي سيَحْكم به بينه وبينَ قومه، ولكنه عدَل عن التصريح بانتظار النّصْر، قال ابن عاشور " وهذَا مُسْتعمل كِناية عنْ ترقبه النّصْر، إذْ لا يظنّ به أنه ينتظر سُوءًا، فتعيّنَ أنه ينتظر من ذلك ضدّ ما يحْصل لهم " (3)؛ لأنّه يلْزم من الانتظار الإيمان، ويلْزم من الإيمان صبْر صاحبه، ويسْتلْزم الصّبْر دعوة قومه إلى الإسلام، وانتظار النّصْر لمنْ آمنَ بالله، والعِقاب لِمَنْ عصى الله ورسوله .

---

1 - ينظر: الكشاف 2 / 399 .

2 - ينظر: في ضلال القرآن، سيد قطب إبراهيم، (د، ط)، دار الشروق، القاهرة، (د ، ت) 3 / 1211، المكتبة الشاملة، الإصدار (28 . 3).

3 - التحرير والتنوير . م 6 . ج 11 / 298 ، 299 .

ولهذَا نصّ- ρ - على الكناية بقوله چ □ □ □ □ □ چأي من المنتظرين " ما يفْعل الله – تعالى – بِكُمْ لِعنادكم وجحْدكم الآيات " [1] .

فأبْرزتْ الكناية في حِواره - ρ - بتصْوير ما كانَ مكْنونًا في صدْر رسول الخلْق أجْمعين، أجْمل تصْوير، فأعْطى الحِوار تشْويقًا لسامعيه بأنّه سينتظر وُقُوع العذاب معهم، وهذا ما لا يهوله التّصْريح داخل السياق .

ويأتي السياق البلاغي وينتج تحْويلاً لدلالة الأمْر الدّالة على التخطئة والتوبيخ، ولوْم المخاطب عمَّا صدرَ منه بخطاب فيه التعنيف والتأنيب، وقدْ وردَ ذلك في أمْـــــــــــــر النبي عيسى - υ - للحواريين[3] چ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە چ [المائدة : 112] .

فجاءَ الأمْر بتقْوى الله – سبحانه وتعالى – أي إنْ كنتم مؤمنين حقًّا فاتقوا ربكم الذي خلقكم وسوّاكم بشرًا، وفي هذَا تهديد لخُبْث وسوء نيّتهم تِجاه نبيهم، وتجاه خالقهم، محذّرًا إيّاهم منْ طلب هذه الخارقة؛ لأنّ المؤمنين لا يطلبون الخوارق ولا يقْترحون على الله .

ومثله قول نبينا محمد - ρ - چ ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئۇٴ ۋ چ [سبأ: 22] . والأمر في قوله ب ادعُوا] مُسْتعْمل في التخطئة والتوبيخ، أي استمروا على دعائكـــــــــــم [2] فأنتم مخطئون تستأهلون التوبيخ والخزي الجامح .

وكذلك جاء الأمْر في الحِوار هنا توْبيخًا على اتخاذهم أرْبابًا منْ دون الله؛ لأنهم قدْ شغلوا بعبادة الأصْنام، وفرّطوا في عبادة المستحق العبادة – سبحانه وتعالى – وتجاوزا حقّ الإلهيّة الحقّة إلى عبادة الأصنام والأوثان .

وقدْ يخرج الأمر الصريح ويحْمل في طياته معاني المدْح والثناء من الشخص المتكلم نفسه، إذَا رأى لذلك سببًا في مدْح نفْسه . قوْل يوسف - υ - لعزيز مصر چ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ [يوسف : 55] .

فطلبَ يوسف - υ - منه ذلك " ليتوصّل به إلى نشْر العدْل ورفْع الظّلْم، ويتوسّل به إلى دعاء أهْل مصْر إلى الإيمان بالله، وترك عبادة الأوثَان " [1] . وفي ذلك نشْرٌ

---

1 - البحر المحيط 6 / 29 .

3- والحواريون جمع حواري، وهم أنصار عيسى - υ - الذين آمنوا به وصدقوه. ينظر : معجم مفردات ألفاظ القرآن ص 151، والقصة في القرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، (د، ط) ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع 1997 م 2001 م، 2 / 175، 176 .

2 - ينظر : التحرير والتنوير . م 11 . ج 22 / 185 .

لأُسس العدْل والمساواة بين أهْل مصر، ورفْع الظلم عنْ مظلوميهم في زمن الجهالة والتمسك بالوثنية، وجَعَلَ من ذلك سببًا لطلبه المرجوّ من عزيز مصر، وفيه يتجلّى أيْضًا ثقة يوسف - υ - بنفسه في وفائه بما أراد أنْ يجْعلْه عليه عزيز مصر، وقدْ يلْمح في الطّلب هُنا مدْحًا وثناء من يوسف لنفسه، وقد وجّهَ الخِطاب إلى الملك كذلك على سبيل النّصْح والإرْشاد لنشْر العدْل ورفْع الظلم، فقابلنا هذَا الحِوار في أكْثر منْ نكثة بلاغية، وجاء مُعبّرًا عنْ ثقَة النّفْس، وتحمّل المسؤولية، بالرغم منْ أنّه - υ - يُحاوِر ملكًا لمصر – عزيز مصر[2] – وهو إنسان لا يمْلك المُلْك سِوى أنّه عاشَ في قصْر الملك، فجاءَ الحِوار صلْبًا يحْمل كلّ الروح القوية في نفْس صاحبها، بطلب ما لا يتحمّل أمْره إلاّ كلّ عالمٍ ببصائر الأمُور وخفاياها .

ومن ثمّ ذكر يوسف - υ - من صفاته ما تحتاج إليه المهمة أنّه أقْدر عليها، وأنّ وراءهَا خيْرًا كبيرًا لشعْب مصر، وللشعوب المجاورة .

ثانيًا: دلالة النهي :

النّهي الصّريح مثْله مثْل الأمْر الصّريح في خصوصيّتهما البلاغية في حِوار الأنبياء أقْوامهم التي تتحقق بالرغم من تحقّق الإلْزام في الأمْر والكفّ عن النهي على الرغم من مجيء الإلْزام والكفّ على سبيل الاسْتعْلاء، ويأتي ضِمْنا السّياق اللغوي الدّاخلي في تحقّق هذَا البُعْد البلاغي على تعدّد الحِوارات، وأنّ البعد ليْسَ مطْلوبًا في حدّ ذاته، وأنه غاية للتمكين للمقتضى الحِواري الدّعوي في النهي الصريح .

وأسلوب النهي هو كلّ أسْلوب يطْلب به الكف عن شيء على طريقة الاستعْلاء والإلْزام، وله صيغة واحدة هي: المضارع المقرون بلا الناهية .

والنهي في اللغة " خِلاف الأمْر، نهاه ينْهاهُ نهْيًا فانتهى، وتناهى ... "[3] ، والنهي في اصطلاح البلاغيين: " طلب الكفّ عنْ فعْل، وصيغته (لا تفْعلْ)، وهو كالأمْر في الاستعْلاء، وقدْ يُسْتعْمل في طلب غير الكفّ "[4] .

---

1 - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، تح : سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط1 ، 1413 ه / 1993 م، 3/ 50 .

2 - قيل إن اسمه قُطيْفر، وقيل عن اسمه أطيفر بن روحيين وهو العزيز، وكان على خزائن مصر، والمَلِك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق، فلما اشترى أطيفر يوسف، وأتى به منزله قال لأهله (أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا) فيكفينا إذا هو بلغ وفهم الأمور بعض ما نحن بسيله من أمورنا . ينظر : تاريخ الطبري 1 / 335 ...

3 - لسان العرب (ن . ه . ي) 15 / 343 .

4 - معترك الأقران في إعجاز القرآن ، أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تح : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1408 ه / 1988 م، 1 / 236 والإيضاح 3 / 88، والمطول ص 427 .

وورد النهي الصريح في قول يعقوب - υ - بقصْد النصح والإرْشاد لابنه يوسف- υ - حاكيًا القرآن ذلك قوله چ ٱ ب ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ چ [يوسف : 5] .

لقد نهى يعقوب ابنه يوسف – عليهما السلام – أنْ يقصّ رؤياه على إخوته، فيفهموا تأويلها، ويحْصل منهم الحسد له، ويضمرون له شرًّا عظيم، ولهذَا وقعَ تعليل للنهي بقوله: چ ڀ ڀ پ پ چ وهو جواب للنهي، وهو منْصوبٌ بإضْمار أنْ : أي فيفْعلوا لكَ؛ أيْ: لأجْلكَ كيْدًا مثينًا راسخًا لا تقْدرْ على الخلاص منه (1) .

وقدْ جاء النهي على سبيل التوجيه والإرشاد(2) في قوْل موسى - υ - لقومه چ ڪ ڪ ڪ ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں چ [طه : 61] .

إذْ أفادَ النهي [لا تفتروا] توْجيهًا وإرْشادًا على سبيل النجاة لمعونـــــــــة الحيثيّة المُنْذرة [فيُسْحتْكم بعذابٍ].

وقدْ دعا عليهم - υ - بالويْل ونهاهم عنْ افْتراء الكذب على سبيل التوجيه والإرشاد (3)؛ لأنّ فرعون وجنوده – صمموا على رأيهم بأنّ مُعجزة موسى - υ - سحْرٌ وليْستْ بحقيقة، ولهذَا تقدّمَ إلى السحرة فوعظهم وزَجَرهم عنْ تعاطي السّحْر بالباطل، فهذَا تعرّض لآيات الله وحججه بالتكذيب، وأنّ ما يفعلونه من السّحْر، حيثُ ردّ عليهم في قوله چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ چ چ چ چ [يونس : 81] .

ووقعَ التهديد من النبي سليمان- υ - لأهْل سبأ، فخـــــــــاطبَ ملكتهـــــــــــــــم (بلْقيس) بالتهديد هي وقوْمها قولــه چ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ چ[النمل: 31] .

فقد أرْسلَ إليهم كتابًا يحْمل تهديدًا، وخوّفهم من جزاء عبادتهم هذه، فأمرهم بالإقْلاع عنها، والتمسّك بعبادة المولى – عزّ وجلّ – وفحْوى تهديده أنْ " لا تسْتكبروا عن طاعتي وامتثال أوامري، وأقْدموا سامعين مُطيعينَ بلا مُعاودة ولا مُراودة " (4) .

---

1 - ينظر : روائع الإعجاز في القصص القرآني (دراسة في خصائص الأسلوب القصصي المعجز)، محمود السيد حسن، المكتب الجامعي الحديث، جامعة الإسكندرية، ط2، 2003 م، ص: 309 .
2 - ينظر : بلاغة تصريف القول 2 / 965 .
3 - ينظ : روائع الإعجاز في القصص القرآني ص: 306 .
4 - قصص الأنبياء ص: 411 .

وقوله چ ے ۓ ۓ ڭ چ نهي مستعمل في التهديد والدليل عليه أن ملكة سبأ قالت بعد ذلك: چ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ چ.

ومثله قول موسى- υ- لبني إسرائيل چ ٱ ب ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ چ [الدخان : 19] .

أي لا تتكبروا عنْ أمر رسولكم الذي جاء بالوحي من عند الله– سبحانـــــــــــه وتعالى – " بِحُجّة بيّنة يَعْترف بصحّتها كلّ عاقلٍ ... " (1) و لا تعلوا على عظمته فإني أهدّدكم فعْل ذلك، لأنه مُكلّف من عنده – جلّتْ وتعالتْ قدرته -، فاتبعوا أمْري، واتركوا الضَّلال والجهْل الذي يحيطكم .

والملاحظ أن الحِوارين وردَا على حسب السياق . فنهى سليمان - υ - القوْم عدم العلوّ عليه لثقته بنفسه وتسلّطه على المُلْك، في حين ساق النبي موسى - υ - نهيه بالعلوّ عن أوامر الله - تعالى - وشرائعه؛ وذلك كلّ على حسب الزمن الذي بعثَا فيه إلى أقْوامهما .

وقدْ وردتْ دلالة النهي لتحْمل معنى آخر وهذَا ما وردَ فيما أُمِرَ به نبينا محمد - ρ - بإخباره للناس فيما حكتْه الآية الكريمة چ □ چ[النور: 53] إن نهيهم عن أن يقسموا بعد أن صدرَ القسم منهم يحتمل :

1-أن يكون نهيًا عن إعادته؛ لأنهم كانوا بصدد إعادته؛ أي:لاحاجة بكم إلى تأكيد القسم؛ لأن التأكيد بمنزلة المؤكد في كونه كذبًا، فهو من باب: التهكم.

2-أن يكون نهيًا في معنى عدم المطابقة بالقسم؛ أي : ماكان لكم أن تقسموا؛ لأنه لايُشكّ في أمركم، فهنا تهكم أيضًا .

3-أن يكون نهيًا للتسوية، مثل قوله (اصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم) أي: قسمُكم ونفيه سواء؛ لأن أيمانكم فاجرة .

4-أن يكون نهيًا مستعملاً في حقيقته، والمقسم عليه محذوف؛ أي: لا تقسموا على الخروج من دياركم فإن الله لا يكلفكم بذلك (2) .

فأفادَ النهي في قوله چ □ □ چ المبالغة في سُوء القسم منهم؛ لجهْلهم وضلالهم الحائد عنْ طريق الصّواب، لأنّ الخِطاب مُوجّه إلى المنافقيـــــــــــن على قول

1 - التفسير الكبير . م 14 . ج 27 / 210 .
2 - ينظر: التحرير والتنوير 18 / 278 – 279 .

ابن عطية " الذين تولوا حِينَ دعوا إلى الله ورسوله " [1]، وبهذا فالنهي مُوجّه إليهم لعدم الاكْتراث بقسمهم، لسُوء فعْلهم، وتغيّبهم عن الجهاد، وعن الخُروج مـــــــــع الرســـــــــول - ρ - وإيثارهم المكوث في ديارهم .

الفصل الثالث : العدول والسياق الحِواري:

1 - السابق . م 9 . ج 18 / 276 .

إنّ ما يندرج في السياق العام للكلام لابد وأنْ يطرأ عليه انحراف الكلام عن نسقه المثالي المألوف، فيلجأ أحيانًا المتكلّم إلى ما يضْمن به التعبير عن المعنى المقصود، ولهذا فقد نظر الأسلوبيون إلى اللغة في مستويين :

الأول : المستوى المثالي في الأداء العادي .

الثاني : المستوى الإبْداعي الذي يعتمد على اخْتراق هذه المثالية وانتهاكها ... [1]

وإذا كان النحاة واللغويون قد أقاموا مباحثهم على رعاية الأداء المثالي فإن البلاغيين سلكُوا طريقًا آخر، فقد أقاموا مباحثهم على أساس انتهاك هذه المثالية، والعدول عنها في الأداء الفني [2] .

وليس معنى هذا أنّ البلاغيين أنكروا المستوى المثالي الذي سرى عليه النحاة واللغويون؛ بلْ إنهم جعلُوا هذَا خلفًا وراء صياغتهم الفنيّة، بحيثُ تقاس عليها عملية العدول في هذه الصياغة .

ومنْ هنا كان حرْص البلاغيين على التذكير به والتنبيه عليه في مثْل قولهم: (أصْل المعنى) و (أصْل الكلام) و (رعاية الأصْل)، لكنّ البقاء على هذا الأصْل لا يتجاوز مجرّد الإشارة إليه، لأنه خالٍ من القيمة الفنيّة، وعلى عكْس النحويين فإنهم يهتمون بما يُفيد أصْل هذا المعنى، ولكن البلاغيين يبدأون منطقة حركته فيما يلي هذه الفائدة منْ عناصر فنيّة وجَمَاليّة [3] .

ولو تتبعنا مباحث البلاغيين فإنه يمْتنع فيها إجْراء الكلام على الأصْل المعروف؛ بلْ إنها تقوم أساسًا على العدول في مستوى الاستخدام المألوف للألفاظ .

وإنّ العدول في السياق يشمل التقديم والتأخير والحذْف والذكر، وورود الصيغ الاستفهامية في الكلام، وما خرجَ عنْ هذا الإطار العقْلي يُمثّل عُدُولاً لأغراض بلاغية تُفْهم من السياق .

وما نودّ الوُقوف عليه هو الالتفات الذي عُدّ خاصيّة تعبيرية " تتميّز بطاقاتها الإيحائية من حيْثُ كان بناؤه يعتمد على العدول " [4]. فهـــــــــــــــــــــــــو

---

1 - ينظر : البلاغة والأسلوبية ص: 268 .
2 - ينظر : السابق ص: 269 .
3 - ينظر : السابق ص: 270 .
4 - ينظر : البلاغة والأسلوبية ص: 276 .

عند البلاغيين " العُدول منْ أسلوبٍ في الكلام إلى أسْلوب آخر مخالف للأوّل " [1] .

والالتفات في اللغة مأخوذ من " التفتَ الْتفاتًا، والتّلفّت أكثر منه، وتلفّتَ إلى الشيء والتفتَ إليه؛ صرفَ وجْهه إليه " [2]. والتفت الإنسان. أي تحرّك الوجْه وإدارته على حسب الموْقع المُوجّه إليه يمينًا وشمالاً .

وقد ورد الالتفات بهذا المعنى في التنزيل الحكيم في مخاطبة الله – سبحانه وتعالى– لموسى- υ - چ □ □ □ □ □ □ چ [هود: 81] وبهذا فالالتفات من الفنون البلاغية في لغتنا العربية، ويعد الأصمعي[3] العالم اللغوي " أول منْ سماه التفاتًا " [4]، وسمي بشجاعة العربية " لأنّ اللغة العربية تختص به دون غيرها من اللغات " [5] .

وقد تنوعت أساليب الالتفات في النص القرآني الكريم، إذْ يعْدل السياق إلى ضمير الغيبة بعْد الخِطاب، أوْ يعْدل إلى الماضي بعْد المضارع وهكذَا، والغاية من ذلك كما يراها الزركشي " التفنن والانتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر، تطرية واسْتدْرارًا للسامع وتجديدًا لنشاطه، وصيانةً لخاطره من الملل والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سمْعه " [6] إلى ما في الانتقال من تشويق السامع، وبث الحركة والنشاط في جوّ الكلام، وكذلك يُحقّق في الذّكْر الحكيم أغْراضًا، وبنشر أسْرارًا تفُوتُ بفواته، وتؤتي ثمارها بوجوده .

وفي الالتفات في خطاب الأنبياء – عليهم السلام – أقوامهم، خُصوصيّة، كوْن العُدُول من أسْلوبٍ إلى أسلوبٍ آخر فيه تخصيصٌ للأقْوام وإيقاظ لأذْهانهم، وتطريتهم بنقْلهم منْ خِطابٍ إلى خِطابٍ آخر مُغاير للأوّل؛ لأنّ الطرف الآخر ربما يملّ من الصيغة الأولى، فينْتقل المخاطِب إلى صيغةٍ أخرى؛ تنْشيطًا لآذانهم في الاستماع، واستمالة لهم في الإصْغاء داخلَ جوّ الحِوار .

---

1 - الطراز 2 / 132 .
2 - لسان العرب (ل . ف . ت) 2 / 84 .
3 - أبو سعيد عبد الملك بن قريب، بن عبد الملك، بن علي، بن أصمع، بن الباهلي، البصري المعروف بـ(الأصمعي)، أديب، لغوي، نحوي، أخباري، محدث، فقيه، أصولي، من أهل البصرة، قدم بغداد أيام الرشيد، وتوفي بالبصرة سنة (216 ه) من تصانيفه (الإبل – خلق الإنسان ...) ينظر: معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة 2 / 320، مؤسسة الرسالةط1، 1414 ه / 1993 م، رقم الترجمة (8538) .
4 - كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، أبو هلال العسكري، تح : علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي، ط2، (د ، ت) ، ص: 392 .
5 - المثل السائر 2 / 3 .
6 - البرهان 3 / 314 .

وقدْ جاء حِوار الأنبياء أقْوامهم بصيَغ الالتفات التي تحقّق تلْك الأغْراض، وتلْفت إلى تلْك الأسْرار. ومن هذه الصّيَغ :

1 – الالتفات بالعدول عن الخِطاب إلى الغيبة : جاء هذا الالتفات فيما حاورَ به موسى- υ- بني إسرائيل چ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ چ [البقرة : 54] .

الالتفات في قوله " [فتابَ عليكم] فهو خِطاب منه - υ- على نهْج الالتفات من التكلّم الذي يقتضيه النّظْم الكريم، وسياقه إلى الغيبة، إذْ كان مقتضى المقام أنْ يقول : فوفقتكم فتبْتُ عليكم " (1)، فالماضي مستعمل في بابه من الإخْبار، وقدْ جاءَ على طريقة الالتفات؛ لأنّ المقام للتكلّم، فعُدِلَ عنه إلى الغيْبة (2) .

فخاطبهم أوّلاً خِطاب الحاضرين أمامه، ثمّ أخْرج الكلام من الخِطاب إلى معْرض الغيْبة، لأنّ فيه تربية لطبيعة النفس التي لا تتماسك عن شرّ ولا تتناهى عن المنْكر، ولوْ تناهوا عن المنكر في غيبة نبيهم ما عبدوا العجْل (3)، وسيقَ الالتفات هنا حتى تدْركهم رحمة الله – تعالى – بعْد تطهير أنفسهم من إثْم ما ارتكبوا .

2 - العدول من الخِطاب إلى التكلم :

مما التفت فيه من الخطاب إلى التكلّم ما جرى بين شعيب - υ - وقوْمه في حِواره چ ڈ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ چ [هود: 90] . وكذلك في حِوار صالح - υ - چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ هود :61] . فقد وقعَ الالتفات من الخِطاب في قوليهما:

چ ٹ ٹ ٹ ڦ ڦ چ چ □ □ □ □ چ إلى التكلم في قوليهما على الترتيب :چ ڦ ڦ ڦ ڄ چ چ □ □ □ □ چ.

وقد قصدَ التفاتهما إلى تحقيق غاية هي " القصْد إلى تنزيه الله – تعالى – ودفْع توهّم انْصراف صفات الجلال المذكورة إلى آلهتهم فيما لو قيل: إنّ ربكم رحيمٌ ودُودٌ ... وإنّ ربكم قريب مجيبٌ ... " (4) . والعدول اقتضى ترْسيخ مبدأ العقيدة الذي ينادي بعبادة الله – جل جلاله – ونفْي الشرك به – سبحانه وتعالى – وفيه أيْضًا تكذيب للقوْم المعتقدين بُطْلان إلهيّته – عزّ وجلّ - .

---

1 - الجدول . م 1 . ج 1 / 131.
2 - ينظر : التحرير والتنوير . م 1 . ج 1 / 502 .
3 - ينظر : في ضلال القرآن، 1 / 71 .
4 - ينظر : البرهان 3 / 336 .

3 – الالتفات من التكلم إلى الخطاب :

جاء هذا النوع من الالتفات فيما أمر به النبي محمد - ρ - بتبليغه چ ه ه ه ے ے ۓ ۓ ﮬﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ چ [الأنعام : 14].

فقد التفتَ من التكلّم في قولهچ ه ه ے ے ۓ ۓ ﮬ چ إلى الخطاب في قوله چ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ چ .[1]

ووراء هذا الالتفات التّحذير من الشرك والوعيد الشديد لمنْ يُشْرك بربه، فوقعَ الحديث عن الإسلام خبرًا أُمِر - ρ - أنْ يخبر به،چ ه ه ه ے ے ۓ ۓ ﮬ چ ثم وردَ الحديث عن الشرك نهيًا مُباشرًا من الله لرسوله چ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ چ . ففي هذا من الوعيد الشديد والتحذير من الشرك بالله، ما لايخفي على عاقلٍ، وقدْ أخبرَ – عزّ وجلّ – أنه لا يغفر أن يشرك به چ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ه ه ه ه ے چ [النساء : 48].[2]

4 – الالتفات من الماضي إلى الأمر:

ويكون " بغرض التوكيد لمّا أجْرى عليه فعْل الأمْر لمكان العناية بتحقيقه " [3]

وقد ورد هذا فيما أمر الله رسولــــــــــــــــه- ρ - بتبليغهچ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ چ[الأعراف : 29] .

فقد التفت الأسلوب من الفعل الماضي (أمرَ) إلى فعْل الأمْر (أقيموا) للسرّ الذي تقدّم آنفًا، إضافةً إلى أنّ الصّلاة منْ أعْظم العبادات التي بها يتقرّب العبْد من ربّه، وقرنتْ بالإخْلاص لأنّه منْ " عمل القلْب، إذْ عمل الجوارح لا يصح إلاّ بإخْلاص النية " [4] .

وفي التعبير بإقامة الوجوه " معنى العزة ورفْع الرأس إلى السماء عنــــــــــد مساجــــــــــد الله " [5] فورود الالتفات إذًا لبيان عظْم الصلاة، ومكانة صاحبها في الآخرة، وأنها دليلٌ على صدْق إيمان العبْد المصلّى .

---

1 - ينظر : من بلاغة النظم القرآني ص: 154، 155 .
2 - ينظر : السابق ص: 154، 155 .
3 - من بلاغة النظم القرآني، ص: 152 .
4 - علم البديع ص: 152 .
5 - خصائص التراكيب ص: 205 .

وعُدِل سياق الآية إلى صيغة (أفْعل)؛ لأنّ المعنى المعبّر عنْه الذي هـــــــــــــو (إقامة الصلاة) معنى مهم . [1] فإن مقتضى الظاهر أنْ يقول (أمرَ ربي بالقسْط وبإقامة وُجُوهكم) . ولكن العدول أبْرزَ كوْن الصلاة منْ أوْكد الفرائض المشروعة من الله على عباده، ثمّ اتبعتْ بالإخْلاص الذي هو نابعٌ من القلْب، فأوْقعَ السياق العُدُول إلى فعْل الأمْر للعناية بتوكيده في نفوسهم، والحثّ على إقامة الصلاة في أوْقاتها .

5 – العدول عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر:

صوّرَ القرآن الحِوار الذي جرى مابيْن هود- υ- وقومه حاكيًا وقائعـــــــــــــهچ □ ٱ ب ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ چ] هود : 53 – 54] .

فإنه إنما قال [أُشهد الله – واشهَدُوا] ولمْ يقُل: وأُشهِدُكُم ليكون موازنًا له وبمعناه[2] " لأن في أمرهم أن يشهدوا ببرائته منْ دينهم ضرْبًا من التحدّي المغيظ " [3] .

وبهذَا أفادَ العُدُول عن (أشهدكم) إلى (اشهدوا) أنّ إشهاد الأنبياء – عليهم السلام – ثابت بعكْس إشهاد البشر فلا يضاهي إشْهاد الأنبياء، مع ما فيه من بيان الفرْق بيْن الإشهادين .

ويبرز - υ - ثقته بربه في إعلان براءته من قومه، والثقة بوعده والاطمئنان إلى نصْره، وإنّ وعْد الله بالنّصْر حقيقة ملموسة في حِواره، وليْست وعدًا للمسْتقْبل في ضمير الغيب إنما هي حاضرٌ واقعٌ تتملاّه العين والقلْب قال : إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعًا ثمّ لا تنظرون ... [4] .

6 – العدول عن الإنشاء إلى الخبر : [5]

ومما عُدل فيه عن الإنشاء إلى الخبر قول يوسف - υ - چ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ چ [يوسف : 92] فيوسف - υ - قال لإخوته " لسْتُ أعاتبكم على ما كانَ منكم بعد يومكم هذا، ثمّ زادهم على ذلك فقالچ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ چ بالرغم من عُلُوّه على مقعد الحُكم، فجاء العُدول في قوله چ ڭ ڭ ۇ چ "

1 - ينظر: من أساليب التعبير القرآني ص: 154 .
2 - ينظر: المثل السائر 2 / 11 .
3 - خصائص التراكيب ص 263 ، وينظر: الكشاف 2 / 382 .
4 - ينظر: في ضلال القرآن 4 / 1898، 1899 .
5 - ينظر: من بلاغة النظم القرآني ص: 249 .

وكان مقتضى الظاهر أن يقال: اللهم اغفر لهم، ولكنه عدَلَ إلى الخبر إظْهارًا لرغبته- υ- في تحقيق المغفرة ووقُوعها" [1]، وقوله لهم:چ ک ک ۈ چ " جملة دعائية فهي خبرية لفظًا إنشائية معنى " [2] .

والغرض من عُدُوله - υ - إظْهار شدّة رغبته في مغْفرة ربّهم لهم على ما فعلوه، وذلك رحْمة بهم وشفقة عليهم .

ومما عدل فيه عن الإنشاء إلى الخبر قول يوسف- υ- لأهْـــــــــل مصر چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ ژ چ [يوف : 47] .

حيث وضع الخبر" چ چ چ چ ڇ چ، موضع الإنشاء، لأنّ المراد الأمْر بالزراعة بدليل قوله تعالىچ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ چ " [3] .

وجاء قوله [تَزْرعون] خبرًا عما يكون من عملهم " وذلك أنّ الزّرع عادتهم فذكَرَ إياه تمهيدًا للكلام الآتي، ولذلك قيّده بـــ [دأْبًا] " [4] .

فالغرض من وضْع الخبر موْضع الإنشاء " الحثّ على تحقق الفعْل ووقوعه، ورغبة يوسف - υ - في أن يوجد، حتى وكأنّه قدْ وُجِد وتحقّقَ، وصارَ خبرًا يُخْبر بوقوعـــــــــــه، ويحكى وجوده " [5] .

فجاء تعبيره- υ- لهم بوصف جادّ لأحوال ما يزرعون، وما فيه منْ إرشادهم لوضْع ما يأكلون، وادخاره لمصْلحتهم وقْت الحاجة، ولهذا عُدِلَ عن الخبر إلى الإنشاء .

7 – تحويل الصيغة نفسها من صيغةٍ وعدُولها إلى صيغة أخرى بحسب ما يقتضيه السياق والمعنى [6] .

ومن ذلك قوله – تعالى – على لسان إبراهيم - υ - حاكيًا القرآن قولـــــــه چ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ چ [الأنعام : 78] .

---

1 - السابق .
2 - السابق .
3 - من بلاغة النظم القرآني ص: 250. .
4 - التحرير والتنوير . م 6 . ج 12 / 99 .
5 - من بلاغة النظم القرآني ص: 249 .
6 - ينظر: الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، فهد خليل زايد، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط1، 1428 ه / 2008 م، ص: 250 .

وقوله چ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ک ک چ [الزخرف : 26– 27] .

فقد عدّل – υ - من (بريءٌ) إلى (براءٌ) في الصفة المشبهة للمصدر [1] .

فالفرق بين الصفتين أنّ :

إبراهيم- υ - في آية الأنعام هو في مقام مناظرة مع قومه ليُعلن أنّ دينهم باطلٌ، وأنهم يعبدون الكواكب والنجوم، وقوله چ ٹ ٹ ٹ ٹ چ استدراجٌ للقوم وبيانٌ لجهلهم وضلالهم الذي هُم فيه، وإرشادٌ إلى الحق عن طريق النظر والتأمل في ملكوت الله . فذكر أوّلاً أن الكواكب ربه، ثمّ القمر ثمّ الشمس ثمّ إعلان براءته منهم، لأن جميع ما ذكره لا يصلح أن يكون ربًّا للجميع، وهذا تحت ما يسمى مُسايرة الخصْم واستدراجه وإعلان الحُجّة عليه .

أما في آية الزخرف فإبراهيم- υ - أصبحَ نبيًّا مُرسلاً مكلّفًا من ربّه، وأعلن براءته مما يعبده قومه .

لهذا عدَلَ - υ - وقال في الأولى [بريءٌ]، وفي الثانيـــــــة [بَـــــــرَاءٌ]، وذلـــــــك أنّ (براءٌ)أقوى من (بريءٌ)، فإنها (براءة) بصيغة المصْدر الذي هو الحدث المجرّد، فإن قولك : (هُو رجلٌ عدْلٌ) أبْلغ من قوْلك : (هو رجلٌ عادلٌ)، وذلك لأنّ معناه أنّه أصْبح هو العدْل، أي لكثرة ممارسته للعدْل صارَ كأنّه العدْل نفسه [2] وزيدَ التوكيد قوّة المعنى في قوله چ ڈ ڈ چ بمجيء(نون الوقاية) توكيدًا لبراءته منْ قومه فهم سائرون في طريق الغي والجهالة، وأكّد براءته بالنون في قوله چ ٹ ٹ چ بتحويل الصيغة إلى المصدر، وهذا في سبيل المسايرة والاستدراج للقوْم .

8 – ومن صور الالتفات أيْضًا العدول عن الإضمار إلى الإظهار [3] ليحقق غرضًا بلاغيا، وهذا ما حاور به إبراهيم - υ - أباه آزر چ ڳ ڳ ڳ گ گ گ گ ڳ ڳ ں ں ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ چ [الأنبياء : 66 – 77] .

" فإن إظهار الاسم الكريم في قوله چ ڳ گ گ چ والعدول عن إضماره كقولك (من دونه)، أفاد مزيد استقباح ما فعلوا " [4] ، أيْ كيف تتركون عبادة الله الواحد

1 - الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، ص: 250 .
2 - ينظر : السابق .
3 - ينظر: من أساليب التعبير القرآني ص: 138 .
4 - السابق ص: 144 .

الأحد الذي بيده النّفْع والضر، وتتمسكون بعبادة أصْنامٍ لا نفْع لها ولا ضرر ؟ وأتبعه بقوله چ ه ھ چ، وفي استدراجه لهم ما يدل على تقبيح فعْلهم المُشين الذي اقتضاه العُدول عن الإضمار إلى الإظهار .

وقول يوسف - υ - چ ب ب ب ٻ پ پ پ ڀ چ [يوسف: 53] .

فالسياق انصرفَ عن الإضمار، فلمْ يقُلْ (إنها لأمّارة) وآثر الإظهار [إنّ النفس لأمارة] بقصْد التعميم .

المبحث الثاني : الإيجاز والإطناب :

كلّ ما يتردّد في النفس من الخواطر، ويُراودها إنما هو معنى من المعاني ولا يتعدى التعبير عنها واحدًا منْ وجهيْن : إما أن يكون (إيجازًا أوْ إطْنابًا)، ومن العلماء منْ يرى إمْكان تحقّق المساواة بين اللفظ والمعنى، ولا أُراها تتحقّق في الذكر الحكيم .

والإيجاز في اللغة من " وجُزَ الكلام وَجَازةً ووَجْزًا وأوْجَزَ: قلّ في بلاغه، وأوْجزه اخْتصره، وأوْجزَ فلان في كلّ أمْرٍ وجيزٍ، أي : خفيف مقْتصر " [1]، فالإيجاز يعني الاختصار في الكلام مع تحقق بلاغته .

والإيجاز في اصطلاح البلاغيين : هو " اندراج المعـــــــــــاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل " [2] .

وقدْ عنى به كثير منْ علماء العربية، وعلى رأسهم الجاحظ [3]، وأشاد به عبد القاهر فقال " لا معنى للإيجاز إلا أن يدلّ بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى، وإذَا لمْ تجْعلْه وصْفًا للفظ منْ أجْل معناه، أبْطلت معناه " [4] . فهم يجتمعون على أنه : تقليل اللفظ مع كثرة معناه، ويندرج تحته نوعان : إيجاز قِصر، وإيجاز حذْف.

وقد وُجد هذا النوع البلاغي في حِوار الأنبياء أقوامهم، حيثُ رآه الأنبياء - عليهم السلام – أداة قوية مؤثرة للتعبير عن معانيهم التي كلفوا بتبليغها، بعد مراعاة

---

1 - لسان العرب (و . ج . ز) 5 / 427 .
2 - الطراز 2 / 88 .
3 - عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان الجاحظ، ذو النوادر والغرائب، والظروف، والعجائب، كان من الذكاء وسرعة الخاطر والحفظ بحيثُ شاع ذكره، من مصنفاته : الحيوان، البيان والتبيين ...) توفي سنة (255 ه) . ينظر : معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب . تصنيف: الحموي، 4 / 472 ... وما بعدها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1411ه / 1991 م، رقم الترجمة (692) .
4 - دلائل الإعجاز ص: 463 .

كل نبي لحالة قومه، إذْ كان المقام يقتضي الإيجاز، وفي هذَا قطْعٌ للجدال الذي لا فائدة فيه معهم؛ لأن الأقوام متمسّكون بمذاهب بالية، يعدّونها من ميراث آبائهم ولا يستغنون عنها، فجيء بالحِوار لهم موجزًا قطْعًا لجدالهم المُخالف لشرائع الأنبياء – عليهم السلام – .

والإيجاز نوعان: إيجاز قِصَر، وإيجاز حذْف، ووراء كلّ واحد منهما أسْرارٍ بلاغية وأغراض معنوية يبغيها المتكلم، ويتخذ الإيجاز أداة لها لتحقيقها .

أوّلاً : إيجاز القِصَر :

إيجاز القِصر هو " تقليل الألفاظ، وتكثير المعاني " [1]، وقال فيه القزويني " وهو ما ليس بحذْف " [2] .

فلفظه يكون قليلاً، ومعناه كثيرًا، دون سُقُوط ألفاظ يجب تقديرها في الكلام، وهذا النوع من الإيجاز كما نصّ عليه (ابن الأثير) محطّ أنظار البلغاء، وبه تتفاوت بلاغتهم " حتى أنه سُئل بعضهم عن البلاغة فقال : هي إيجاز القِصر، وقال (أكثم بن صيفي) [3] خطيب العرب (البلاغة الإيجاز) " [4] .

---

1 - معجم المصطلحات البلاغية ص 211 .

2 - الإيضاح 3 / 182 .

3 - أكثم بن صيفي بن رياح بن الحارث بن صيفي التميمي، من أهل الحجاز، حكيم العرب في الجاهلية، وأحد المعمرين، عاشَ زمنًا طويلاً، كان الملوك والرؤساء يستزيرونه لسماع حكمه ونصائحه، وأخباره مبثوثة في كتب الأمثال والحكم، توفي سنة (10 ق . ه) على الشرك بالرغم من أنه لما سمع بظهور الإسلام أرْسل رجلين يسأل النبي - ρ - عن نسبه وعما جاء به، قال حينما رجعا إليه بالجواب : ياقوم، إنه يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن ملائمها . ينظر : معجم الشعراء، عفيف عبد الرحمن، من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، ص: 28، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان، ط 1، 1417 ه / 1996 م، رقم الترجمة (118) . .

4 - ينظر: العقد الفريد ، ابن عبد ربه الأندلسي ، باب (وفود العرب على كسرى)، 1/ 97 ، المكتبة الشاملة الإصدار (3 . 28) .

وقدْ جاء هذا في حِوار إبراهيم - υ - لأبيه ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ ﭽ [مريم : 44] .

فقد نهى أباه عن طاعة الشيطان، ووراء ذلك كناية عنْ عبادة الأصنام، حيثُ أوْقع نفوره منه في صفة العصيان لله – سبحانه وتعالى - .

ففي الكلام إيجاز لأنّ معناه لا تعبد الأصنام لأن اتخاذها من تسويل الشيطان للذين اتخذوها ووضعوها للناس، وعبادتها من وساوس الشيطان ومن وسَاوسه للناس الذين أطاعوهم في عبادتها (1) .

فقول إبراهيم υ- فيه إيجاز؛ لأن للشيطان أفْعالاً كثيرة منها معاداته لآدم وزوْجه، وأنه لمْ يذْكر منْ ذلك إلاّ عصيانه للمولى – عز وجل – لأنّ منْ عصى الله – تعالى – فقد أشْرك بربه أحدًا فترتّب على ذلك في الكلام إيجاز، حيث اقْتصرَ على عبادة الشيطان في حين تضمّن معناه الكثير؛ لأن عصيان الله ومُعاداته يترتّب عليها فعْل شيء، وجاء التعبير بذلك مُراعاة لحال أبيه الذي يتطلّب الإيجاز، مراعاة لمقتضى حاله حتى يَعِي ويقرّ بما هو الصواب .

وقدْ ورد إيجاز القِصَر في حِوار سليمان- υ - لقومه ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ ([النمل : 16] .

أي أنه - υ - قال لبني إسرائيل " على جهة الشكر لنعم الله (علمنا منطق الطير) أي تفضل الله علينا على ما ورثْنا من داود من العلم والنبوة والخِلافة في الأرض في أنْ فهمْنا من أصوات الطير المعاني التي في نفوسها " (2) .

" والاقتصار على منْطق الطّيْر (إيجاز) لأنه إذا عُلِمَ منْطق الطير ، وهي أبعد الحيوان عن الركوب إلى الإنسان وأسرعها نفورًا منها، علم أنّ منْطق ما هو أكثر اخْتلاطًا بالإنسان حاصلٌ له بالأحرى " (3) .

واقتصاره - υ - على لغة الطيْر دلالة على أنه مَلِكُ بني إسرائيل كلها، لا يعْجز عنْ فعْل أيّ شيء، حتى إنّ الطيور مُسخّرة ومنقادة له، وهي التي بطبيعتها تعيش حرّة في الفضاء، فهو يعْلم أسْرارها، وما تنطقه منْ أفْواهها، وفي هذا من التمكين والقوة ما فيه؛ وذلك إظْهارًا لقوْمه وُجُوب أنْ يسمعوا كلامه؛لأن كل شيء مُسخّر عنده، والتعبير بلفْظ الطّيْر فيه إيجاز، دلالة على تثبيت معجزة الله التي أيّد بها نبيه - υ -

1 - ينظر : التحرير والتنوير . م 8 . ج 16 / 116 .
2 - الجامع لأحكام القرآن . م 7 . ج 13 / 111.
3 - التحرير والتنوير . م 9 . ج 19 / 237 .

وفي إظْهارها للقوْم لغرض قُبُول نُصْحه، واستمالة لهم إلى عبادة الله، وترْك الشّرْك المحيط بهم .

وقدْ وقعَ إيجاز القِصر في قول نبينا محمد - ρ- في جملة ما أمر بتبليغه چ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ چ[يونس: 102] .

هنا يأمر الله– سبحانه وتعالى– رسوله - ρ - بمخاطبة قومه، حيثُ أدخلت فاء التفريع في [فانتظروا]، فقد أشار ابن عاشور أنه " بهذا النسْج حصلَ إيجاز بديع، لأنه بالتفريع اعتبر ناشئًا عن كلام الله – تعالى - ، فكأن الله بلغه النبي - ρ - ثم أمر النبي – بأن يبلغه قوْمه، فليس فيه إلاّ التبليغ، وهو يتضمن وعد الله نبيه بأنه يرى ما ينتظرهم من العذاب، فهو وعيد، وهو يتضمن النصر عليهم ... [1]، فلمْ يقْصد - ρ - التبْليغ فقط؛ بلْ تعدّاه إلى تهديدهم بصيغة الطلب [انتظروا] التي تضمّنت تهديدًا لهم ووعيدًا، وأكّدَ لهم بأنه من المنتظرين معهم وقْت عذابهم وهو يوْم القيامة .

إذًا فالإيجاز في قوله- ρ - تعدّى التّبْليغ إلى التهديد والوعيد، ولوّح لهم بملاقاتهم يوْم القيامة لحْظة عذاب الله لهم، وفي هذَا بيان للوعيد الذي توعّده المولى– سبحانه وتعالى– لمنْ ينضووا تحت لواء الإسْلام، وفيه الإفْصاح الدّال على نبيه محمد- ρ - وهو استمالة الأقْوام إلى التمسك بعبادة الله الواحد الأحد، وقدْ تضمّن هذا القَوْل – إنْ لمْ يتْركوا الشّرْك بالله – أنّ العذاب سيُلاقيهم حتْمًا لا محالة.

ثانيًا: إيجاز الحذْف :

إيجاز الحذْف " هو ما يكون بحذْف، والمحْذوف إمّا جُزْء جملة، أو أكْثر من جمْلة " [2] .

1 - التحرير والتنوير م 6 . ج11 / 298 .
2 - الإيضاح 3 / 184 .

وهذا يعني أنّ إيجاز الحذْف " أنْ نحذف جُزْءًا من الكلام الذي نعبّر به عن المعنى المُراد ... وهذَا المحذوف لا بد أنْ يستغنى الكلام عنه، أي يفهم بدونه، كما أنّ هذا الحذْف لا بُدّ منْ قرينة تدلّ عليه " [1]، وفي بلاغته يقول (ابن الأثير) مُردّدًا لكلام (عبد القاهر) في كتابه (الدلائل) " إنه عجيب الأمر شبيه بالسحر، وذلك أنّك ترى فيه ترْك الذكْر أفْصح من الذّكر، والصّمْت عن الإفادة أزيد للإفادة " [2] .

وقدْ ورد الإيجاز بالحذْف كثيرًا في حِوار الأنبياء أقْوامهم، ومنه ما كان إيجازًا بحذْف حرْف، أوْ حذْف كلمة، أوْ حذْف جملة، أوْ حذْف جملة جُمل كما يلي :

أوّلاً : ما كان المحذوف فيه مُضافًا :

قدْ يُحْذف المُضاف من الجُمْلة لغرض بلاغي، ومن ذلك قول صالح - υ - لقومه چ ٱ ب ب ب پ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ چ [هود : 63] .

قال أبو حيان [3] فهو على حذْف مضاف، أي غير بصارة تخْسيركم، وأضاف الزيادة إلى نفْسه،لأنهم أعطوه ذلك، وكان سألهم الإيمان... وقيل التقدي: تخسروني أعمالكم وتبطلونها[4]، وذلك بمعنى أنه " أراد إنْ اتّبعتكم فيما أنتم عليه ودعوتموني إليه لمْ أزْدد إلاّ خُسْرانًا في الدين فأصِير من الهالكين الخاسرين " [5]، وتكون أيْضًا بمعنى " فما ازداد إلاّ بصيرة في خسارتكم " [6] .

فحذف المضاف الذي قدّره أبو حيّان (بصارة)، وقدّره ابن عباس[7] (بَصِيرة)؛ وذلك إيجازًا لقومه- υ - وبيانًا لهم بأنه لوْ طردَ المؤمنين من اتباعه، فإن الله سوْف يغْضب عليه، وأنه يجْعل نفْسه من الحاضرين لرضا الله – سبحانه وتعالى – وفي ذلك بيانٌ شافٍ، لأنّ الله أمره بتبْليغ دعْوته إلى قوْمه، فكيْف يُخالف أمْر الله في طرْد

---

1 - البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط1407،1 ه / 1987 م، ص: 478 .

2 - المثل السائر 2 / 76 .

3 - محمد بن يوسف، بن علي بن يوسف، بن حيان، الإمام أثير الدين أبو حيان الأندلسي الغرناطي، المفسر النحوي الكبير، له من التصانيف (البحر المحيط في التفسير، والمبدع في التصريف)، توفي سنة (745 ه) . ينظر : طبقات المفسرين للداوودي 2 / 287 . رقم الترجمة (608) .

4 - ينظر : البحر المحيط . م 12 . ج 6 / 177 .

5 - السابق 6 / 177 .

6 - تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1425 ه/ 2004 م، ص: 238 .

7 - عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله - ρ - عرف بترجمان القرآن، وشهد مع علي – كرم الله وجهه – الجمل وهفّين، توفي بالطائف سنة (68 ه) . ينظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تح : علي محمد البجاوي، 3 / 933 ، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412 ه / 1992 م، رقم الترجمة (1588) .

مَنْ آمن منهم ؟ وعبّر بالزيادة؛ لأنه مبلّغ عنْ ربه مُكلّف عنه وأنّه " مُقْتضٍ لأقْوامهم مُوكلٌ بإيمانهم كما تقول لمنْ توصيه : أنا أريدك خيرًا وأنْت تريدونني سوءًا ... " ([1])، وفي ذلك إفْصاحٌ وبيانٌ للمؤامرة التي يضْمرونها له وهي غضبُ الله عليه، وخُسْران ثوابه في الآخرة من الله – تعالى - .

ثانيًا : ما كان المحْذوف فعْلاً :

أصْل هذا الحذْف " أن يدلّ الفعْل على الحذْف والعادة على التعيين " ([2]) .

وقدْ وردَ هذا الحذْف لغرض التعْجيز في قوْل نوح - υ -چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ج چ [يونس: 71] فكأنه - υ - يقول لقومه : فاجمعوا أمركم وادعوا شركاؤكم ... ([3]) . فأثبت نوح - υ - الفعل (أجمعوا)، وحذف الفعل الذي قدّره المفسرون([4]) (ادعوا)؛ " أما السبب فإيجاز مع تكثير المعنى، ولإخراج المعمولين المختلفي العامل مخرج المعمولين لمعمول واحد ؛ لسبق إجماع الرأي على دعوة الشركاء؛ ولأن كِلاَ الأمرين مطلوبان لموقف واحـــــــد هو أن يتحدوا ما استطاعوا ضد نبي الله نـــــــــوح - υ - ولينظروا بعد حشد كل ما يمكنهم من عوامل الانتصار من هو المنتصر؟ " ([5])

وفي إيجازه- υ - بحذْف الفعْل (ادعُوا) استخفاف بهم، وإفْصاحٌ بأنهم لا يستطيعون فعْل شيء حتى لوْ انضمّ معهم جميع الشركاء، وطبعي أن قومه سيدعون أصْنامهم الذين يعتقدون أنها آلهة، وبهذا فهو يساويهم بجمْع أنفسهم واتخاذ الرأي، وبنُصْرة أصْنامهم لهم، لأنهم مع أصنامهم شيء واحد بالنسبة إليه - υ - إلى ما فيه من العجْز الكامل في نفوسهم، وإظْهار عجْزهم أمام أعينهم، دلالة على نصْرة الله لأنبيائه، وفي الكلام اسْتهانة، وعدم اكْتراث بما سيصْنعون .

ثانيًا : ما كان المحذوف فيه جواب (لوْ) :

1 - البحر المحيط م .12 ج 6 / 177 .
2 - معجم المصطلحات البلاغية ص 207 .
3 - ينظر : فتح القدير 2 / 646 .
4 - ينظر: تفسير البيضاوي، 3 / 208، (د، ط)، دار الفكر، بيروت، 3/ 208، والكشاف، (د، ط)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407ه، 2/ 359، (المكتبة الشاملة)، الإصدار (28 . 3) .
5 - خصائص التعبير القرآني 2 / 26 .

هذا النوع من الإيجاز أبْلغ من الذكر؛ لأن النفوس تذهب فيه كلّ مذهب[1]، وهو وارد على الكثرة منها مواقعه البديعة كقولك : لوْ زرْتني، لوْ أكْرمْتني لفعلْت وصنعْت ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ [سبأ : 51] والتقدير فيه : لرأيْت أمْرًا بديعًا، أوْ حالة منْكرة [2]، وهو كثير الورود في القرآن الكريم، وحيثُ ساغ حذْفه فإنه إنما يسوغ إذَا كان دلالة عليه، فأما من غير دلالة فلا يجوز بحال [3] ذلك بسبب ما يحدثه حذْف جواب (لوْ) في نفوس الأقوام من التّهويل والتفخيم والتعظيم ... ومن ألْطف حذْف جواب (لوْ) في حِوار الأنبياء ما أُريدَ به تعجب الأنبياء - υ - من أقوامهم، والتهويل الذي يصيب نُفُوس الأقوام .

ووقع حذْف جواب (لوْ) في قوْل نوح - υ- لقومه چ گ گ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک گ گ ے ے چ [نوح : 4]

جواب (لوْ) محذوف " دل عليه قوله: لا يؤخر، والتقدير: لأيقنتم أنه لا يؤخـــــر" [4] فإن الآجال لا تؤخر، كما في قوله تعالى چ ۓ ۓ ڭ چ [الرعـــــد : 38]. " فبادروا في أوقات الإمْهال والتأخير " [5]، وفي هذا الحذْف بيان لهم بعبادة ربهم، والانضمام تحت لواء نبيهم .

ثالثا : إيجاز حذْف الجُملة :

قد تحذف الجملة في السياق لغرض الإيجاز، وهذا ما جاء في حِوار موسى - υ - لقومه چ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک چ [البقرة : 54] .

حذفت الجملة منْ قوله [فتاب عليكم] وتقدير الجملة المحذوفة : " فإن فعَلْتم فقدْ تابَ عليكم " [6]، وقدرت في الإيضاح [7] فامْتثَلْتم فتاب عليكم، وقوله [فتَاب عليكم] إيناسٌ لقوْمه، وانْتزاعٌ للرّهْبة منْ قلوبهم، وفيه بيانٌ لنِعم الله عليهم بعْد ما جاءَهم الهلاك من اتّباعهم لِفَرْعون، حاكيًا القرآن الكريم ذلك : چ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو چ [البقرة : 47]، وقوله تعـــــــــــــــالى چ ڤ ڤ ڃ ڃ ڃ ڃ چ

---

1 - ينظر: النكت للرماني ضمن ثلاث رسائل، تح : محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف، ط4، (د ، ت) ، ص: 76 .
2 - ينظر : الطراز 2 / 114، 115 .
3 - السابق .
4 - التحرير والتنوير . م 14 . ج 29 / 193 .
5 - الكشاف 4 / 618 .
6 - تفسير الفخر الرازي . م 12 . ج 3 / 77 .
7 - 3 / 192 .

ﭽﭾ ﭿ ﮀ .ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ [البقرة :51 – 52] . فجاء الإعْلان بتوبتهم بعْد أمْرهم بقتْل أنفسهم، بشرْط تحقيق الثواب لهم منْ عنْد خالقهم، وفي ذلك تجسيد لمواعظ عِظام تسْتشف من قوْله- υ- .

وقدْ حُذفتْ الجملة لوقوعها في سياق القرينة الدّالة عليها إيجازًا في الكلام، وذلك فيما حاورَ به سيد الخلْق أجمعين في جُمْلة ما أمر بقوله :ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ [الأنعام : 147] .

" إذْ فيه إيجاز بحذْف تقديره: وذو بأس ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين إذا أراه"([1])، فحذفتْ الجملة المعطوفة وهي (وذُو بأسٍ شديدٍ)، ويدلّ على المحْذوف قولـــــــــه ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين، ولا يتساوى بأس المُجْرم ببَأْس منْ خلق الكوْن جميعًا، فحُذفتْ الجملة هنا؛ لأنه تقدّمها ما يدلّ عليها .

وقد أبْرزَ الحذْف قلق رسوله- ρ - بتكْذيب قومه له، فأوْضَحَ لهم أنّ بأْس منْ أجْرم هو بأْس يُعاقب صاحبه، لأنّه ينْضوي تحْت الشّرْك بالله .

الإطْناب :

---

1 - التحرير والتنوير . م 5 . ج 8 / 145 .

الإطْناب في اللغة: بابه طَنَبَ، " وأطْنبَ في الكلام، بالغَ فيه " [1]، بمعنى زادَ في الكلام ألْفاظًا ومعاني .

وهو عنْد علماء البلاغة : " زيادة اللفظ على المعنى لفائدة جديدة منْ غير ترديد" [2]

وقدْ تناوله بالذكر العديد من البلاغيين، وعلى رأسهم الجاحظ، وعرفه بأنه " ليس بإطالة ما لمْ يُجاوز مِقْـــــــدار الحاجـة، ووَقَفَ عنـــــــد منتهى البغيّـــــــــة ..." [3]

وخُلاصة جُهُود البلاغيون تنْتهي إلى أنّ الإطْناب هو أداء المعنى بعبارات زائدة على لفْظها لغرض بلاغي يتوخّاه المتكلم، وهذا ما يُمْكن رصْده في مواضع غير قليلة في حِوار الأنبياء أقْوامهم، على أنني أعتقد أنّ القرآن الكريم كلّه مبني على عُنْصر الوجَازة اللفظية مهما قِيلَ إنه إطْنابٌ،ولعله إطْنابٌ باعتبار استيفاء الجملة أركانها، لكنه منْ حيثُ بلاغته وإشْعاعه بالمعاني المتكاثفة هو منْ صحيح الإيجاز، وقدْ جاء ذكْر الإطْناب في حِوار الأنبياء أقوامهم لأغْراضٍ بلاغية منها :

1 – الإيضاح بعد الإبْهام :

ويؤتى به لتقرير المعنى في ذهْن القوْم، حيثُ يكون ذكْره مرّتيْن، مرّةً مجْملاً مُبْهمًا، ومرّةً مُوضّحًا مُفصّلاً، فيزيدُ الإطْناب ذلك المعنى حُسْنًا وجمالاً، وقدْ وردَ هذا الغرض فيما قاله هود- υ - لقومه چ ئې ئى ئى ئد ى . ې ې . چ [الشعراء: 132 – 134] .

فذكرَ الأنْعام والبنين، إيضاحًا للإبْهام في قوله [بما تعلَمون] إذْ وقعَ مُجْملاً لجميع ما ينْعمون به فـــــ " بالغَ في تنبيههم على نعم الله، حيثُ أجملها ثمّ فصّلها مُسْتشْهدًا بعلمهم، وذلك أنه أيقظهم عنْ سنّة غفْلتهم عنها " [4]، وأعاد الفِعْـــــــــــل [أمدّكـــــــــــم] " للتقرير والتأكيد " [5]، فإمْداد الله لنعمه على قوْم هود- υ - منْ سعة العيْش والرّغد – داخلٌ في زُمْرتها، أوْضحها لهم نبيهم بأنّ ذلك داخلٌ في جُزء ما همْ يعْلمون به .

2 – ذكْر الخاص بعْد العام :

---

1 - لسان العرب (ط . ن . ب) 1 / 562 .
2 - معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، دار ابن حزم، بيروت، ط141،4ه / 1997 م، ص: 388 .
3 - كتاب الحيوان ، للجاحظ ، تح : عبد السلام هارون،(د ، ط)، دار الجيل، بيروت، 1416ه/ 1996 م، 6/ 7 .
4 - الكشاف 3 / 331.
5 - فتح القدير 4 / 157 .

" ويكون للتنبيه على فضْله، حتى كأنه ليْس منْ جنْسه " [1]، وذلك يرد لسرّ بلاغي يكْمن في ذكْر الخاص، تنْبيهًا على فضْل الخاص على العام، بتنزيله منزلة المُخالف لأعضاء جنْسه الآخرين، وذلك كقول نوح - υ - لقومه ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [يونس : 71] يُقال " كبر عليكم وشقّ وثقُل ...ومنها قوله تعـــــــــــــــــــالى ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ [البقرة : 45] " [2]، فنصّ على كبر التذكير بآيات الله بعْد ذكْر كِبَر مقامه فيهم، أي " سئمتم أحْوالي معكم وخاصّة بتذكيري بآيات الله تنبيهًا على فضْلها الخاص، الذي يحثه على دعوة قوْمه ليلاً ونهارًا ، ولفضْلها هذا صُوّرتْ كأنّها جنْسٌ آخر مُغاير لما قبْلها، وهي ذكْر مقامه بينهم؛ لأنّ مكـــــــــــــان المرْء ومقامه منْ لـــــــــــوازم ذاتـــــه " [3]، ولهذا سِيقَ قوله - υ- [وتذكيري بآيات الله] لغرض بلاغي هو التنبيه بشأن الخاص، وهو تذْكير قومه بآيات الله .

فالإطناب سيقَ بذكْر الخاص بعْد العام تنبيهًا على مزيّة الخاص وزيـــادة فضْله .

3 – ذكْر العام بعْد الخاص:

وهو خِلاف ذكْر الخاص بعْد العام، وفي ذكْر العام تنبيه لفضْله على الخاص، وحُسْن فضْله، وقدْ ورَدَ هــــــــــــذا النّوْع من العطْف في قول شعيب- υ - ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ [الأعراف: 86] .

الظَّاهر هنا نهيهم على القُعُود في الطرقات التي تؤدي إلى نبيّهم، ويصدون الناس عن المجيء إليه .

فلفظ [سبيل الله] زائدٌ في الآية لدخول معناه في كلّ صِراط، أي الطّرق المؤدية إلى الله–سبحانه وتعالى– ؛لأن معنى الصراط على قول ابن عاشور المعارف الصالحات كلها من اعتقاد وعمل، بأن يوفقهم إلى الحق والتمييز بينه وبين الضلال على مقادير استعداد النفوس، وسعة مجال العقول النيرة، والأفْعال الصالحة [4]؛ لأن شعيبًا كان يدعوهم إلى عبادة الله على مجموعها، وعلى هذا القوْل الظاهر في بيان المراد بالصراط ، يكون ذكْر [سبيل الله] بعْدها من قبيل (ذكْر العام بعْد الخاص)، تنويهًا بشأن الخاص حيثُ ذكر مرّتيْن، مرّة منفردًا بقوله : [صراطٌ]، ومرة أدْرجه في عُمُوم [سبيل الله] .

---

1 - الإيضاح 2 / 119 .
2 - الكشاف 2 / 341.
3 - التحرير والتنوير . م 6 . ج 11 / 237 .
4 - ينظر : السابق . م 1 . ج 1 / 191 .

ومن عطْف العام على الخاص قول نبينا محمد- ρ- في جملة ما أمر بتبليغه ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ [المائدة: 77] .

قال ابن عاشور: " عطف على النّهي عن الغلو، وهو عطْف عام منْ وجْه على خاص منْ وجْه " [1] .

ووجْه عطْف العام على الخاص فيه أنّ (الغلوّ في الدين) زائدٌ في عُموم قوْل الآية، لدُخُول معْناه في عُموم أهْواء القوْم الذين أضلّوا، " وهُمْ أسْلاف اليهود والنصارى، ضلوا في أنفسهم، وأضلوا غيرهم كثيرًا " [2]، ولهذا فإنّ أهواء القوْم اليهود يدْخل في عُمُوم ما ذُكِرَ قبْله منْ مُغالاتهم في دينهم، لإفادة العُمُوم مع العنايَة بالخاص لذكْره مرّتيْن : مرّةً مستقلاّ، ومرّة مُنْدرجًا تحْت العام .

وسببُ عطْف العام على الخَاص في القوْل السابق أنه- ρ - لمّا نهـــــــــــى أهْل الكتاب [3] عن المغالاة في دينهم، خصّ (المغالاة في الدّين) بالذّكْر مع أنها داخلة في عُمُوم نهْي القوْم الذين ضلوا عنْ سبيل الله؛ تنبيهًا لفضْل الخاص حتى كأنّ لفضْله جنْسًا آخر مُغايرًا لما قبْله، فالغرض البلاغي الذي سِيق لأجْله الإطناب التنويه بشأْن الخاص لتقدّمه مُسْتقلاًّ ، ثمّ لاندراجه فيما بعْده .

4 – الإطْناب بالتكرير :

التكرير الذي يأتي على وجه الإطْناب يتحقّق " إذا كان اللفظ المكرّر مثْله السّابق عليه وليْسَ معناه غير معناه، وإنما كرّره لتقريره بالتأكيد، عدّ العلماء ذلك التكرير إطْنابًا " [4] ، فهو " ذكْر الشيء مرّتين أوْ أكثر لأغْراض " [5] منها :

*** تقرير المعنى[6]. وقدْ جاءَ منه في حِوار نوح - υ - لقومه ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼ [هود : 31] .

---

1 - التحرير والتنوير . م 4 . ج 6 / 290 .
2 - البحر المحيط 4 / 335 .
3 - إنما أراد بالكتاب (التوراة والإنجيل) وإياهما جميعًا . ينظر : معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 475 .
4 - التكرير بين المثير والتأثير، علي السيد، ط 1، 1398 ه / 1978 م، ط 2، 1407 ه / 1986 م، ص: 86 .
5 - جواهر البلاغة ص: 249.
6 - ينظر : المعاني في ضوء أساليب القرآن ص: 260 .

الإطْناب في قوله : [ولا أقولُ] حيثُ ذكرها - υ - ثلاث مرّات، وأتبعه بأداة النهي (لاَ) الدّالة على نفْي قوله ذلك حقيقة، فقدْ نفى القوْل عن أنّه يمْلك خزائن الله وأنه- υ - ليْسَ ملِكًا، وأنّه لا يمْلك غيْب السماوات والأرْض.

فسيق الإطْناب تأكيدًا للنفي وتقريرًا ببشريّته، لكنّ المولى– عزّ وجلّ – كلّفه بمهمّة دعْوة قوْمه .

وفي هذَا كبْحٌ لجماح نفوسهم المنادية بأنّ الله إذَا أرادَ بعْث نبي بعثه منْهم فلماذا لمْ يبْعثْه منهم، وهُم السادة الأغنياء ؟ فجاءَ التكرير تقْريرًا لكونه ليْسَ له إلاّ مهمّة التبليغ للدّعْوة التي يجب أن يُبلّغها منزّهًا عن الملك والسّلْطان .

***** الرغبة في قُبُول النّصْح باستمالة المُخاطب تحسّرًا عليه :**

وهذَا واضح في الحِوار الذي جرى بين إبراهيم- υ- وأبيه: چ ڤ ج چ ڇ چ ڇ چ ڇ ڇ چ ڇ ڇ ڇ چ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ۂ ۂ ۃ چ [مريم : 42 – 45] .

فتكرير النداء (أربع مرات) إطْناب اقْتضاه المقام، لأنه - υ - أوّل منْ دعا مِنْ قوْمه أبوه؛ لتعلقه الدائم بعبادته للأصْنام و استحضارًا للذهن وزيادة للتأكيد؛ لأنّه لمّا أحسّ بِنُكْران أبيه لدعْوته ناداه بصيغة النداء (يَا) التي تنادي البعيد؛ غير أنّه نزّل أباه منزلة البعيد؛ لغفلته وشروده عنْ دعوته، ونداؤه الأول أوْقعَ سؤالاً لأبيه : لِمَ تعْبدها؟، يؤكد له - υ - بأنه على صوابٍ وهو على خطأ، وجاء نهيه عنْ عبادة الشيطان كناية عنْ عبادة الأصْنام، وذلك لخوْفه على أبيه الهلاك بالضّلال .

والغرض من تكرار النداء [يَا أَبَتِ] إظْهار الأسى والتّحسّر على أبيه، كذلك إظْهار رغبته - υ - أنْ يقْبل الأب نصيحته .

5 - الإطْناب بالتذييل :

أشارَ إلى هذا النوع من الإطْناب أبو هلال العسْكري [1]، وقال " التذييل هو إعادة الألْفاظ المترادفة على المعنى بعيْنه، حتى يُظْهر لمنْ لا يفْهمْه، و يتوكّد عنْدَ من فهمه ... وبه يزداد المعنى انْشراحًا " [2] .

وقال القزويني" التذييل تعْقيب الجملة بجُمْلة، تشْمل على معناها للتوكيد " [3]، وأوْردَ له نوْعيْن : ضربٌ يخْرج مخْرج المثل، وضرْبٌ لا يخْرج مخْرج المثل، ومثّلَ للضرْب الأوّل بقول نبينا محمد-ρ- في جُملة ما أمر بتبليغه چ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ چ [الإسراء : 81] . والإطْناب في قوْله [إنّ الباطل كانَ زهُوقًا] وهو تذييل جارٍ مجْرى المثل، وذلك لعدم احْتياجه في فهْم معناه إلى ما قبْله [جاءَ الحقّ وزهقَ الباطل]، وجريانه على الألسنة كما تجْري الأمْثال السائرة على ألسنة البشر [4] .

ومن الإطْناب الذي جرى مجْرى المثل[5]، وكانَ وُرُوده في السياق تذْييلاً قول يوسف- υ- لعزيز مصر في الوقْت الذي وجّهْت إليه التهمة، وهي عمل الفاحشة مع زوْجة العزيز[6] قوله چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ چ [يوسف: 53] [7]،

---

1 - الحسن بن عبد الله بن سهْل بن مهْران العسكري، أبو هلال، عالم بالأدب، له شعر نسبته إلى عسْكر (مكْرم) منْ كور الأهْواز، من كتبه : التلخيص، وشرح الحماسة، توفي سنة 395 ه) ينظر: معجم الأدباء 2 / 562 . رقم الترجمة (319) .

2 - الصناعتيْن ص 413 .

3 - الإيضاح 3 / 204 .

4 - لما كانت دعوة الرسول لإقامة الحق، وإبطال الباطل، كان الوعد بظهور الحق على يد رسوله وفوْزه على أعدائه، واستحفظه الله – جل وعلا – هذه الكلمة حين ألْقاها يوم فتح مكة على مسامع كفار قريش بقوله (جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقًا) (جاء الحق وما يبديء الباطل وما يعيد)← أخرجه البخارى في صحيحه، كتاب التفسير، باب (وقلْ جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقًا) برقم (4720) (د ، ط) ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1420 ه / 1999 م، 3/ 226 ، ومسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير، باب إزالة الأصنام من حوْل الكعبة، برقم 178، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418ه / 1998 م، 3/ 191 .

5 - ينظر : الإتْقان ص 388 .

6 - قيل إن اسمها راعيل وهي حسناء ناعمة في ملك ودنيا، وهي التي راودتْ النبي يوسف - υ - حين بلغ من السن أشدّه، فلما خلا من عمر يوسف - υ - ثلاث وثلاثون سنة أعطاه الله – عز وجل – الحكْم والعلْم . ينظر : تاريخ الطبري 1 / 336 وما بعدها .

7 - وقد اختلف المفسرون : هلْ هو من قول سيدنا يوسف - υ - أو هو من قوْل امرأة العزيز ؟ فيرى الرازي أنّه من قول يوسف - υ- ويرى الزمخشري كذلك أنه من كلام يوسف - υ - ، وعلّل كلامه بأنه " أراد أنْ يتواضع لله، ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيًا ...، وليبين أن ما فيه من الأمانة ليس به وحده، وإنما هو بتوفيق الله وعصمته فقال : وما أبريء نفسي، ويرى ابن عاشور انه مقولة امرأة العزيز، يقول " ظاهر ترتيب الكلام أنّ هذا من كلام امرأة العزيز، مضتْ في بقية إقرارها فقالتْ (وما أبريء نفسي ...) وذلك كالاحتراس مما يقتضيه قولها (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب ...) (يوسف : 52) من أنّ تبرئة نفسها من هذا الذنب العظيم ادعاء بأنّ

والتذييل في قوْله إنّ النفس لأمّارة بالسوء، وقدْ جرى مجْرى الأمْثال لِعدم الحاجة في فهْم معناه إلى ما سبقه، ووقوعه مثلاً يجْري على الألْسنة .

وقد نصّ السيوطي على أنّ الإطْناب قدْ يغيّر ما سبق، فقدْ يكون بِدُخُول حرفٍ فأكْثـــــــــر من حُرُوف التأكيـــــــــد وهـــــــــــــي (إنّ، وإنْ، ولام الابتـــــــــــداء، وواو القسم ...) " [1]، وقال في قوله [إنّ النّفْس لأمّارةٌ بالسوء] " فيه تخييرٌ للمخاطب وتردّدَ في أنّه / كيف لا يبريء نفسه وهي بريئة زكيّة، فأكّده بقوْله: [إنّ النفس لأمّارةٌ بالسوء] " [2] .

والقسْم الثاني الذي يخْرج إليه الإطْناب بالتذييل : " ضرْبٌ لا يجْري مجْرى المثل، فهو لا يسْتقلّ بمعناه، وإنما يتوقّف على ما قبْله " [3]. وقدْ وردَ هذا النوْع من الضّرْب في الحِوار الذي جرى بين يوسف - υ - وامرأة عزيز مصر حينما اتهمتْه بسوء الفاحشةچ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ چ [يوسف : 23] .

فقوله چ ٹ ٹ ٹ ڤ چتذْييل لقوله چ ٹ ٹ ٹ ٹ چ وهو إطْنابٌ بتذْييل غير جارٍ مجْرى المثل، لأنه غير مسْتقل في معْناه عمَّا قبْله ومعناه : ولا يفْلح الظالمون فالله أحْسن مثْوى نبيه - υ - .

فذِكْره - υ - التذييل چ ٹ ٹ ٹ ڤ چ جاء بعْد استيفاء المعنى في قوله چ ٹ ٹ ٹ ٹ چ ، وجاء التذييل بنفْي فلاح الظالمين بأن رد يوسف - υ- المباشر على المراودة السافرة كان هو التأبي المصحوب بتذكّر نعمة الله عليهن وبتذكر حدوده وجزاء من يتجاوزون هذه الحدود ؛ تأكيدًا للمعنى السابق له، لاشتماله على أنّ الأنبياء معصومون من الخطيئة، وأنهم منصورون بنصْرته – جلّتْ وتعالتْ حكْمته – وأنّ الحِوار كان بيْن يوسف – وامرأة العزيز قويًّا لتمثّل امرأة العزيز بالسلطة

نفسها بريئة براءة عامة، ويرى أبو حيان أنّه من كلام امرأة العزيز ... وعلّل قوله " ذلك الإقرار والاعتراف بالحق ليعْلم يوسف أني لمْ أخنه في غيبته، والذّب عنه وأرميه بذنْب بريء " ينظر : التفسير الكبير 18 / 125، الكشاف 2 /452، التحرير والتنوير 13 / 5، البحر المحيط 6 / 288 . وعلى هذا نرجّح رأي الأغلبية فننسبْه إلى يوسف - υ - .

1 - ينظر : الإتقان ص 388 .

2 - السابق .

3 - المعاني في ضوء أساليب القرآن ص: 263 .

والقوّة، وهي متولية تربيته، فجاء ردّه - υ - مؤكّدًا بإنّ التي تفيد التثْبيت لوقُوع العمل، ونفثْ الأخْرى عدم فلاح الظالمين [1].

وقدْ وردَ الإطْناب بالتذييل في قوْل نبينا محمد - ρ - في جُملة ما أمر بقوله چ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ چ [سبأ : 26] .

قال ابن عاشور:" وجملة [وهو الفتاح العليم] تذييل بوصفه تعالى بكثْرة الحُكْم وقوته، وإحاطة العِلْم، وبذلك كان تذييلاً لجملة [يجْمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق] المتضمنة حكمًا جزئيًّا، فذيّل بوصف كلي. وإنما أتْبعَ الفتاح بـــــــ العليـــــــــــــــــم (للدلالة على أن حكمه عدْلٌ محض؛ لأنه عليمٌ لا تحف بحُكْمه أسباب الخطأ والجور الناشئة عن الجهْل والعجْز، واتباع الضعف النفساني عن الجهْل بالأحوال والعواقب " [2] فجاء قوْله [وهو الفتاح العليم] تذْييلاً غير جار مجْرى المثل لاحتياجه في فهْم معناه إلى ما قبْله [ثمّ يفْتح بيننا]، وفي هذا إغْراءٌ لقوْمه على قبول نصيحته، والانضواء تحْت لواء الإسلام؛ لأنّ الله سيجْمع بيننَا يوْم القيامة " ويحْكم بالعدْل فيدْخل المؤمنين الجنّة والكفار النار " [3] .

6 – الإطْناب بالإيغال :

والإطْناب بالإيغال لـغة: " السّيْر السّريع، وقيلَ التّشْديد والإمْعان في السّيْر " [4]، ويرى ابن رشيق[5] أنه مشتق من : " الإبْعاد ... أوْغلَ في الأرْض إذَا أبْعدَ فيهـــــــــــــــــــــا " [6] .

وعرّفه البلاغيون بأنه " تفخيم الأمر وتقويته وتوكيده وشد أواخيه " [7].

وقدْ جعله القزويني منْ أنْواع الإطْناب، وأنّ الإيغال ليْسَ مقْصورًا على الشّعْر بلْ يتعدّاه إلى النّثْر، فقد وردَتْ له أمثلة في القرآن الكريم، واسْتعْمله الأنبياء في حِوارهم أقْوامهم، مُتجاوزين حدّ المعنى الكافي الأصْلي لقصْد المُبالغة في دعْم كلامهم المُوجّه إلى أقْوامهم .

---

1 - ينظر : في ضلال القرآن 4 / 1981 .
2 - التحرير والتنوير . م 11 . ج 22 / 195 .
3 - البحر المحيط 8 / 548 .
4 - لسان العرب (و . غ . ل) 11 / 733.
5 - الحسن بن رشيق المحمدي، والمحمدية إحدى مدائن إفريقيا، كان شاعرًا نحويًّا، لغويًّا، أديبًا، حادقًا عروضيًّا، قال الشعر قبل الحلم، له مصنفات منها : العمدة، الشذوذ في اللغة ... توفي بالقيروان سنة (405 ه وقيل سنة 456 ه) . ينظر : إنباه الرواة للقفطي 1 / 333 . رقم الترجمة (191) .
6 - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، 60/2 ، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط5، 1401 ه / 1981 م .
7 - تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ابن أبي الأصبع 1 / 89 (المكتبة الشاملة)، الإصـــــــــــــــــدار (3. 28) .

ومنه ما عبّرَ به إبراهيم- υ - لقومه مُوغلاً إلى كشْف ما همْ فيه من ضلال وجهالةٍ چ ک ک ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ چ [الشعراء: 75 – 76] .

وصْف الآباء بالأقْدميّة إيغالٌ في قلّة الاكْتراث بتقْليدهم، لأنّ عرف الأمم أنّ الآباء كلّمَا تقادمَ عهدهم كانَ تقْليدهم آكد (1) .

فكلام إبراهيم- υ- ثمّ بقوْله [وآباؤكم]، ثمّ احْتاجَ الكلام إلى فاصلة تُناسب القرينة أو الفاصلة الأولى، لأنّ قومه لا يعْلمون أنّهم في جهالةٍ إلاّ منَ الوصْف الذي وصَفه - υ- لآبائهم بأنّ جهالتهم قديمة قـِـــــــــــــــدَم آبائهم القائلين بالشرْك بالله – تعالى - .

المبحث الثالث: سِيَاقات التقديم والتأخير :

من المعروف أن الكلام يتألف منْ كلمات وأجْزاء، وليس من الطبيعي النّطْق بأجزاء أيّ كلام دُفْعة واحدة، فلا بد من البدْء بجُزْء ثمّ تتابع الأجْزاء، و لابد للمتكلم الفاقه منْ ترجيح ما يبدأ به، وعلى هذا فتقديم جزء من الكلام أوْ تأخيره على قول عبد القاهر الجرجاني عند حديثه عن التقديم والتأخير بقوله " هو بابٌ كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرّف، بعيدُ الغاية، لايزالُ يُفترّ لك عنْ بديعة، ويُفْضي بكَ إلى لطيفة، ولاتزال ترى شعْرًا يرُوقكَ مسْمعه، ويلْطُفُ لديْك موْقعه، ثمّ تنظر فتجدُ أنْ قدّم فيه شيء، وحُوّلَ اللّفظ عمن مكان إلى مكان " (2) .

وهو أحد مُكَوّنات النظم عند عبد القاهر، فهو يرى أنّ النظم هو توخي معاني النّحو والتصرّف في الأبواب النحوية؛ ومما يتصرّف فيه التقديم والتأخير (3) .

---

1 - ينظر : التحرير والتنوير . م 9 . ج 19 / 141 .
2 - دلائل الإعجاز ص: 106 .
3 - ينظر: السابق ص: 81، 82 .

والتقديم والتأخير من أبواب علم المعاني، ويتعلّق بتقديم لفظ على آخر وتحويله عنه على مكان آخر، بحسب ورود السياق، ومراعاة لأحوال المخاطبين، ولإخراج الكلام في صورة أبْلغ وأفْصح .

والتقديم في النظم القرآني له أسْرار وأغْراض، وتقديم اللفظ في موضع وتأخيره في موضع آخر لا يكون إلا لغاية، " والتقديم في نطاق الجملة القرآنية الواحدة يكمن وراءه من الأغراض، والأسْرار ما يستلزم من الدارس أن يصبر لفهمها بتقديم كلمة فيها، وتحويلها عن مكانها، لا يكون إلاّ لتحقيق غرض وللـــــــــدلالة على معنى" (1) .

أولاً : تقديم المعمول على عامِله :

وهو تقديم يقتضيه سياق الكلام ومقامه، ومنه تقديم المفعول على فعله، وتقديم الظرف والجار والمجرور على الفعْل، وتقديم الخبر على المبتدأ، ومثْل هذا التقديم يفيد الاختصاص كذلك : امتحنت زيدًا، يفيد أنّك امْتحنْت زيْدًا، ولا يفيد أنّك خصّصْتَ زيْدًا بالامتحان، بلْ يجوز أنّك امْتحنْت غيره معه، أوْ لمْ يمْتحنْ أحدًا معه. فلوْ قلْت : (زيدًا امْتحنْتُ) أفاد ذلك أنّك خصّصْت زيْدًا بالامتحان، وأنك لمْ تمْتحن أحدًا معه .

ومن تقديم الجار والمجرور على الفعْل لغرض الاختصاص في حِوار الأنبياء قوْل نوح- υ- چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ چ [يونس : 71] .

حيث دلّ تقديم الجار والمجرور على أنه - υ - مُتوكّل على المولى – عزّ وجلّ – وحده لا شريك له في جميع ما يفْعله، " وأنه وإنْ كان بينهم وحيدًا، فذلك لا يوهنه؛ لأنه متوكل على الله، ولأجْل هذا قدّم الجار والمجرور على عامله في قولـــــــــــــــــه : چ ٹ ٹ ٹ چ" (2) . فالتوكّل مقْصورٌ على كونه – سبحانه وتعالى – دون غيره .

وفي قول صالح - υ - لقوْمه بيانًا للمعجزة التي أظْهرها الله على يـــــــــــده چ ئا ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ چ [الأعراف : 73] .

---

1 - من بلاغة النظم القرآني ص: 87 .
2 - التحرير والتنوير . م 6 . ج 11 / 238 .

قال ابن عاشور" [لكم] ظرف مستقر في موضع الحال من [آية]، وأصله صفة، فلما قدّم على موصوف صارَ حالاً، وتقديمه للاهتمام بأنها كافية لهم على ما فيهم من عناد " (1)، وجاءتْ الناقة بيانًا بأنها " معْجزتي إليكم، وإضافتها إلى الله للتشريف والتعظيم؛ لأنها خلقتْ بغير واسطة " (2)، فأدّى اخْتصاص المسْند [لكم] لتقديمه على المسْند [آية] بأنها معجزة رسولهم إليهم بخاصة لا تتعداهم إلى غيرهم؛ عناية بهم وهِداية لهم، لأنّ الله – تعالى – أرْسلها إليهم لتهْديهم إلى صدْق الرّسول لخرْقها الواقع .

ومما أفاد تقْديم المُسْند على المسْند إليه للاختصاص في حِوار النبي محمد - ρ - فيما أمر بتبليغه ﭽ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ﭼ [الأنعام : 150]، حيثُ قدّم المسند على المسند إليه (الجار والمجرور) [لله] الذي وقعَ خبرًا مقدّمًا على المسند إليه [الحُجّة]؛ ليفيد الاختصاص بأنّ الحجّة البالغة بيده – جلّتْ قدرته وتعالت كلمته وحْده - ووقعَ الخِطاب للمشركين الجاحِدين لنعْمة المولى – سبحانه وتعالى -؛ إظْهارًا لعجْزهم عن الخُرُوج عن ملكوت الله – تعالى – وسُلْطانه .

وفي قوله أيضًا ﭽ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ﭼ [الزمر: 44] . جاءَ " تقديم الخبر المجرور وهو [لله] على المبتدأ [الشفاعة] لإفادة الحصْر، واللام للمُلْك، أيْ قصْر مُلْك الشفاعة على الله – تعالى – لا يمْلك أحد الشفاعة عنده " (3) لمّا نفى مُلْك شيء من الموجودات عن الأصْنام، قُوبِل ذلك بقوله (لله الشفاعة) – سبحانه وتعالى - .

ومما جاء التقديم فيه للاختصاص قوله – تعالى – على لسان نبينا محمد - ρ - ﭽ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ﭼ [البقرة : 172] . ﭽ ۆ ۆ ۇ ۇ ﭼ [الكافرون: 6] . ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ [القيامة : 30] .

في آية الكافرون جاء تقديم المسند [لكم] على المسند إليه [دينكم]، وهذا الحِوار مُوجّه إلى كفّار قريش، ومعناه اختصاص المسند بالمسند إليه " أنّ دينكم مقصُورٌ عليكم، وديني مقصور عليّ، أي إذاَ لمْ تتّبعوني فَدعُوني كِفافًا، و لا تدْعوني إلى الشرك " (4) . فالله – سبحانه – سيحاسب كلاّ على فعله سواء أكان خيْرًا أمْ شرًّا، و

1 - التحرير والتنوير . م 5 . ج 8 / 301 .
2 - صفوة التفاسير 1 / 455 .
3 - التحرير والتنوير . م 11 . ج 24 / 28 .
4 - خصائص التراكيب ص: 313 .

لاشكّ أنّ " اخْتصاص النبي - ρ - بدينه وهو التوحيد، واخْتصاص المولى – عزّ وجلّ – بالمساق إليه " [1] .

وقد يكون تقديم الجار والمجرور على عامله لإفادة التقوية والاهتمام، ولرعاية الفاصلة : كقول نوح - υ - ﭽ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ[هود : 34]. جاء هنا تقديم الجار والمجرور على عامله " للاهتمام ولرعاية الفاصلة، وليس للقصر؛ لأنهم لا يؤمنون بالبعث أصْلاً، بلهْ أنْ يزعموا أنّهم يحْضرون إلى الله وإلى غيره" [2] فهو الخالق والمتصرف في شؤونكم وإليه مرجعكم فيجازيكم على أعْمالكم؛ ولهذا قدّم الجار والمجرور [إليه] على عامله في قوله [وإليه ترجعون]، ولمْ يقلْ (ترْجعون إليه) للاهتمام بما يفْعلونه، وأنه مرجعهم ومُحاسبهم على أعْمالهم، كما فيه مراعاة للفاصلة، فالفاصلة القرآنية اقْتضتْ تقديم الجار والمجرور على عامله ليتّسق النّظْم في الفواصل، وذلك لأنّ الآيات السابقة فاصلتها (تجْرمون، يفْعلون) .

وكذلك في قول نوح - υ - ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ[نوح : 2] .

تقدّم الجار والمجرور [لكُم] على عامله [نذيرٌ] " للاهتمام بتقديم ما دلّتْ عليه اللام من كون النذارة لفائدتهم لا لفائدته " [3]، فالنذارة لهم لأنهم جاحِدون لنعمة الله، فجاءتْ اهْتمامًا بهم حتى يرْتدعوا عمّا هم فيه .

ومثله قوله - ρ - مُحاورًا الناس جميعًا ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ [الحج : 49]. ففي تقديم الجار والمجرور للاهتمام " بنذارتهم إيماء إلى أنهم مُشْرفون على شرّ عظيم، فهُمْ أحْرياء بالنذارة " [4] منْ عذاب الله وبأسه وسطْوته فمنْ أطاعني نجَا منْ عِقابه، ومنْ خالفَ فهو مُحاسبه على ما فعَلَ .

وقد يكون تقديم الخبر على المبتدأ لأنه مصبّ الإنْكار كقول إبراهيم - υ - لأبيه : ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ [الأنعام: 74] حيثُ تقدّم قوله " [أصْنامًا] على قوله [آلهة] لأنها المقصودة بالإنكار والاسْتغراب " [5]، ينْكر- υ- عليهم عبادة الأصنام، ويسْتغْرب فعْلهم وتعلّقهم الدائم بالأصْنام التي لا تنْفع ولا تضر، فهي محطّ الإنْكار و الاستغراب .

---

1 - من بلاغة النظم القرآني ص: 89 .
2 - التحرير والتنوير . م 6 . ج12 / 63 .
3 - السابق . م 14 . ج 29 / 188 .
4 - التحرير والتنوير . م 8 . ج 17 / 294 . .
5 - دلالات التقديم والتأخير ص: 345 .

وفي قول موسى - υ - للسحرة ﭽ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﭼ [يونس : 77] .

" تقدّم الخبر [أسحْرٌ] على المبتدأ [هذا] للإيذان بأنه مصبّ الإنْكار، حيثُ أنْكر عليهم ادّعاءهم أنّ معجزات الله سحْرٌ " [1]، حيثُ أيّده الله – سبحانه وتعالى – بمعْجزة ظهرتْ على يده وهي العصا التي أمره الله بإلْقائها أمام السّحرة لإرْهابهم، ورجوعهم عمّا همْ فيه من الكُفْر والجُحُود في قوله تعالـــــــــــــــــى ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼ [طه : 68 – 69] .

وقوْل محمد - ρ - لمشركي مكّة ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ [الأنعام : 40] .

فقد قدّم [أغير الله] على [تدْعون] لأنه أنْكر عليهم عبادة غير الله أصْلاً، ثمّ تمسّكهم بعبادة ما لا يسْمع ولا يبْصر، ولا ينْفع، فكأنّ المشركين دعوا النبي إلى التحاكم في شأن نبوءته بحُكْم ما اقْترحوه عليه من الآيات فأجابهم بأنه لا يعْبد – غير الله – عزّ وجلّ – ولذلك وقعَ الإنْكار عليهم أنْ يعبدوا غير الله – تعالى - .

ثانيًا : تقديم اللفظ على غير العامل :

وهذا النوع من التقديم، يرد على حسب ما يقْتضيه المقام وسياق كلامه، ويُطْلق عليه التقديم للعناية والاهتمام[2]؛ لأنه وردتْ بعض حِوارات الأنبياء ما كان الأصْل فيها التقديم ولا مقتضى للعدول عنه :

وهذا يعني" أن كوْن التقديم هو الأصْل إنما يكون سببًا لتقديمه في الذّكْر، إذا لمْ يكُنْ معه ما يقْتضي العدول عنْ ذلك الأصْل " [3].

من ذلك قول موسى- υ- لفرْعون، ومنْ تبعه ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ [يونس : 82] .

1 - دلالات التقديم والتأخير ص: 420 .
2 - ينظر: الكتاب، سيبويه، أبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر، تح : عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، (د ، ت)، 2/ 143 .
3 - المطول (شرح تلخيص مفتاح العلوم) ص: 253 .

فالسحرة الذين خاطبهـــــــــــم موسى - υ - كانَ إفْسادهم أظْهر منْ إصْلاحهم، ولهذا قدّم الفاعل على مفعوله على الأصْل في الترتيب في قوله:چ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ چ أي الله هو الذي يحقّ الحق لعباده لا غيره .

وقدْ يقع التقديم في السياق لتقوية الحُكْم وتقريره، وهذا على حدّ تعبير عبد القاهر له بقوله " إنّ الاسم لا يؤتى به مجردًا من العوامل إلاّ لحديثٍ قدْ نوي إسْناده إليه ... وعلى ضوْء ذلك يتّضح الفرْق منْ حيثُ تقوية الحُكْم وتقريره بين (هو يعطي الجزيل، يُعْطي الجزيل) " [1]، وذلك في قوْل إبراهيم- υ - چ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ چ [الأنبياء : 52] .

قال الزمخشري" [أنتم] من التأكيد الذي لا يصْلح الكلام مع الإخْلال به، لأنّ العطْف على ضمير هو في حُكْم بعض الفعْل مُمْتنع " [2]. فتقديم المسند إليه[أنتم] على الخبر [عاكفون]، والجار والمجرور [لها] ما يزيد تأكيد النسبة إليهم، بأنهم والأصْنام التي يعبدونها في ضلال بيّنٍ واضحٍ، إذ هي جمادات لا تنفع و لا تضرّ.

وقـــــــــــــــول صالـــــــــح - υ - في حواره لقومه چ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ چ[النمل : 47] ، أي " تخْتبرون أو تعذّبون بذنْبكم " [3]، " وصيغَ الإخْبار عنهم بأنهم مُفْتنون بتقديم المُسند إليه على الخبر الفعْلي لتقوّي الحُكْم بذلك، وصيغَ المسند فعْلاً مُضارعًا لدلالته على تجدّد الفتون واسْتمْراره " [4]، وأفاد بأنّ قومه- υ - جاهِلون عازِفون عنْ فعْل الصّواب والتّمسّك بالخاطئ .

وقوْله - ρ - أيْضًا چ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ چ [يونس: 59]، قال ابن عاشور " استئناف أمر النبي- ρ - بأن يقوله للمشركين، وفيه حكى تكذيبهم بالقرآن ... " [5]، وتقديم اسم الجلالة [الله] وهو مسند إليه على خبره الفعْلي في قوله [آلله أذن لكم]؛ لتقويـة الحُكْم مع الاهتمام[6] بأنّ الله – جلّ وعلا – لمْ يأْذن لهم فيما هم يظنونه، وأنهم مفترون عليه، وفي الآية أيْضًا تقديم المجرور على الفعْل [تفترون] للاهتمام، وتشنيعًا لهم؛ لأنّ الافتراء تعلّق بالله .

---

1 - دلائل الإعْجاز ص: 157 .
2 - الكشاف 3 / 122 .
3 - تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل، وحقائق التأويل، ضبطه وخرّج أحاديثه زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415 ه / 1995 م، 240/2 .
4 - التحرير والتنوير. م 9 . ج 19 / 28 .
5 - السابق . م 6 . ج 11 / 207 .
6 - ينظر : السابق . م 6 . ج 11 / 210 .

وكذلك في قول إبراهيم- υ- لقومه چ ٻ ٻ ٻ ٻ ٱ ٻ ٻ ٻ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ٱ ٻ ٻ چ [الشعراء : 78 – 80] تكرّر تقديم المسند إليه (هو) على الخبر الفعلي لإفادة القصْر، فالخليل - υ - ينْعى على قوْمه عبادة الأصْنام، ويبيّن لهم أنّ إلههم هو الذي يخلقهم ويهْديهم لا غيره، فجـــــــــــاء " تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في قوله : [فهو يهدين] دون أن يقول : فيهدين، لتخصيصه بأنه متولي الهداية دون غيره ؛لأن المقام لإبطال اعتقادهم تصرّف أصنامهم بالقصر الإضافي[1] " [2]. فهو المستحق للإخلاص والخُضُوع، لأنه خلقني وهداني وجميع ما بي من النعم هو منْ فضْل المولى– سبحانه وتعالى-.

وجاء هذا أيْضًا في حِوار سليمان - υ - الوفْد الذي أرْسَلَتْه إليه مَلِكة سبأ (بلقيس)چ ٻ ٻ ٻ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ چ [النمل : 36] . يوبخهم- υ - بفرحهم بهذه الهديّة، وقال أمّا " أنا فلا أفْرح، وليْستْ الدنيا منْ حاجتي، لأنّ الله – سبحانه وتعالى – قدْ أعْطاني منها ما لمْ يُعْطه أحدًا من العالمين " [3]، وجاء " تقديم المسند إليه على الخبر الفعْلي في (أنتم تفرحون) لإفادة القصْر، أي أنتم " [4] لا أنا؛ لأنّ الفرح والمتعة هو مبْلغ همتكم، وأنتم مقْصُورُون عليه لا يتعدّاكم الفرح به إليّ، أمّا أنا فحالي مُخالفٌ لحالكم، فهذا بيان منه- υ - بأنه ملك أعطاه الله – تعالى – المُلْك والسّيْطرة، لا يحتاج إلى هدايا منهم، حتى ولوْ كانتْ بلقيس نفْسها مِلِكةً، فجاء الحِوار معها أكْثر صلابةً وأعْظم تأكيدًا .

المبحث الرابع : سياق الحذْف :

1 - القصر الإضافي : وهو قصر بالإضافة إلى موضوع خاص يدور حول احتمالين أو أكثر، ويستدل عليه بالقرائن وهو ضد القصر الحقيقي، وهو أيضًا تخصيص أمر بصفة دون أخرى أو مكان آخر، أو تخصيص صفة بأمر دون آخر أو مكان آخر . ينظر: الإيضاح ، القزويني، ط4، دار إحياء العلوم، بيـــــــــــروت، 1/ 118،(المكتبة الشاملة)، الإصدار (3. 28) .
2 - التحرير والتنوير . م 9 . ج 19 / 142 .
3 - فتح القدير 4 / 194 .
4 - التحرير والتنوير . م 9 . ج 19 / 269 .

تناول البلاغيون في مباحثهم البلاغية سياقات الحذْف والذكْر، التي يرد فيها حذْف أطْراف الإسناد، انطلاقا من أنّ النظام اللغوي يقتضي في الأصل ذكْر هذه الأطْراف، ولكنه أحْيانًا أخْرى قدْ يسْقط أحدها اعْتمادًا على دلالات السياق المقالية أو الحالية [1].

وللحذْف في البلاغة العربية قيمة كبيرة أشاد بها البلاغيون، ومن ذلك ما قاله عبد القاهر الجرجاني: " الحذْف بابٌ دقيق المسْلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمْر، شبيه بالسّحْر، فإنك ترى به ترْك الذكْر أفصح من الذّكْر، والصّمْت عن الإفادة أزيد إذا لمْ تُبِنْ " [2]، وأطْلق عليه السكاكي[3] الحذْف الوارد على الاستعمال، وهذا الذي جعَلَ النّظم القرآني يمتاز بالفخامة والجزالة والبلاغة العالية، والحذْف يلْحق المسند إليه، وكذلك المسند [4].

ومعناه لغـــــــــــة : " حَذَفَ الشيء يحْذفْه حَذْفًا قَطَعهُ منْ طَرفه ... وحذْفُ الشيء إسْقاطه " [5].

والحذْف عند العلوي[6] "هو عبارة عن التجنب لبعْض حروف المعْجم عن إيراده في الكلام ... " [7].

وقال الحموي [8] " عبارة أن يحذف المتكلم من كلامه حرْفًا منْ حروف الهجاء، أوْ جميع الحروف المهملة بشرْط عدم التكلّف والتعسّف [1].

---

1 - ينظر : البلاغة والأسلوبية ص: 313 .

2 - دلائل الإعجاز ص: 146 .

3 - أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، بن محمد، بن علي، السكاكي، الخوارزمي، الحنفي، عالم بالعربية، كان علاّمة بارعًا في فنون شتى خصوصًا المعاني والبيان، له مؤلفات منها : مفتاح العلوم، ورسالة في علم المناظرة توفي بخوارزم سنة (626 ه) وقيل إنه ولد سنة (555ه) ينظر : بغية الوعاة 2 / 364 . رقم الترجمـــــــــة (2204) .

4 - ينظر : مفتاح العلوم، السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1403 ه / 1983 م، ط 2، 1407 ه / 1987 م، ص: 164 .

5 - لسان العرب (ح . ذ . ف) 9 / 39 .

6 - يحي بن حمزة بن علي، بن إبراهيم الحسيني، العلوي، الطالبي، من أكابر أئمة الزيدية وعلمائهم في اليمن، ولد في صنعاء، وأظهر الدعوة بعد وفاة (المهدي)، وتلقّب بالمؤيد بالله، من تصانيفه : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز – الشامل في أصول الدين ...) توفي (سنة 745 ه) . ينظر : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، تح : خليل المنصور جمعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418 ه / 1998 م . 2/ 188 رقم الترجمة (580) .

7 - الطراز 3 / 175 .

8 - أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري، تقي الدين ابن حجة : إمام أهل الأدب في عصره، وكان شاعرًا جيد الإنشاء، حافظًا للقرآن الكريم، من أهل حماة بسورية، زار القاهرة والتقى بعلمائها، واتصل بملوكها وكان طويل النفس في النظم والنثر، حسن الأخلاق والمروءة، من مصنفاته : خزانة الأدب، كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام. ينظر : الضوء اللامع م 6 . ج 11 / 53، 54 . رقم الترجمة (144) .

ولابد أن توجد مقتضيات ودواعٍ بلاغية تُرجّح الحذف على الذّكْر، ومن أنواع الحذف في حِوار الأنبياء أقوامهم :

أوّلاً : حذف المبتدأ :

قدْ يحذف المبتدأ؛ لأنّ في حذْفه صيانة له، وهذا واضحٌ في الحِوار الذي جرى بين موسى- υ - وفرْعوْن فيما حكى القرآن الكريم : ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ .
ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ . ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ . ﮁ ﮂ
ﮃ ﮄ ﮅ .ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ . ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ
ﮙ ﭼ [الشعراء: 23 – 28] . قال الزركشي[2] " حذف المبتدأ في ثلاثة مواضع: قبْل ذكْر الربّ، أي هو ربّ السماوات – والله ربكم – والله رب المشرق؛ لأنّ موسى - υ - اسْتعْظم حال فرعون (وأنه يشكّل لنفْسه المُلْك، فأقْحمه بالحجة والدليل) لإقدامه على السؤال تهيبًا وتفْخيمًا، فاقْتصَرَ على ما يستدل به منْ أفْعاله الخاصة به؛ ليعرّفه أنّه ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير " [3] .

فجاء خبر موسى - υ - في ذلك الحِوار في مِعْرض الجواب عن تعجّب فرعون من حقيقة الرّب، فنزل بهم إلى الاستدلال بأنفسهم وبآبائهم، " إذْ أوجدهم الله بعْد العدم، ثمّ أعْدم آباءهم بعْد وُجودهم " (4)؛ لأنّ النظر إلى أحْوالهم وأحوال آبائهم أقرب إليهم وأبْسط استدلالاً على خالقهم ؛ فلهذا حُذِف المبتدأ الذي هو على التوالي [الله رب السماوات، والله ربكم، والله ربّ المشرق]؛ وذلك كلّه صيانة عنْ ذكْر اسم المولى – عزّ وجلّ – وانه واحدٌ احدٌ لا يشاركه في ملْكه شيء، وهو الله الذي لا إله إلاّ هو ربّ العالمين .

وقد يحتمل الكلام حذْف المبتدأ والخبر معًا، وبذلك تتعاضم الدلالات وتتكاثر في الجملة، وذلك فيما حكاه القرآن في قول يعقوب- υ - محاورًا أبناءه ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ [يوسف : 83] .

وقول محمد - ρ- فيما أمر بتبليغه ﭽ □) [النور : 53] .

---

1 - خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي2/ 448، (د ، ط) ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2004 م، 2/ 448 .

2 - بدر الدين أبو عبد الله المصري الزركشي الشافعي، فقيه، أصولي، مفسر، تركي الأصل، من مصنفاته : البرهان في علوم القرآن)، توفي سنة (794 ه). ينظر : طبقات المفسرين، للداوودي 2 / 162 ، رقم الترجمة (504) .

3 - البرهان 3 / 107 .

4 - التحرير والتنوير . م 9 . ج 19 / 119.

فكل من قولي يعقوب ومحمد – عليهما الصلاة والسلام – " يحتمل حذْف المسند إليه أو المسند، والتقدير : فأمْري صبْرٌ جميلٌ، أوْ فصبْرٌ جميلٌ أجْمل، وأمْركم الذي يطْلب منكم طاعة معروفة لا يشك فيها، أو طاعة معروفة أمْثل لكم " [1] .

قال الزركشي في قول يعقوب - υ - " [فصبْرٌ جميلٌ] يحْتمل حذْف الخبر، أي أجْمل، أوْ حذف المبتدأ أي : فأمري صبْرٌ جميل، وهذا أولى لوجود قرينة حالية دالة على المحذوف – هي قيام الصبر به -، وعدم قيام قرينة حالية أو مقالية تدلّ على خصوص الخبر، وأن الكلام مسوق للإخبار بحصول الصبر له، وحذْف المبتدأ يحصّل ذلك دون حذْف الخبر؛ لأن معناه أنّ الصبر الجميل أجمل ممن؛ لأنّ المتكلم متلبس به، فإذا حُمِلَ على حذْف المبتدأ فقد أُجْرِيَ على أصْل معْناه؛ من استعماله خبرًا، وإذا حُمِلَ على حذْف الخبر فقد أخْرج عنْ أصْل معْناه " [2] .

وقول النبي محمد - ρ - [طاعة معروفة] " أي أمْثل، أوْ أوْلى لكم من هذا، أوْ أمْركم الذي يطْلب منكم " [3]، فعلى حذْف الخبر قوله : أمْثل، وعلى حذْف المبتدأ قوله الذي يطْلب منكم، والمعنى:لا تقسموا هذا القسم، أي الخُروج منْ دياركم وأموالكم، لأنّ الله لا يكلفكم الطاعة إلاّ في المعروف وفِعْل الخيْر .

ثانيًا : حذْف الفعْل :

كما حُذِفَ المسند إليه (المبتدأ) في حِوار الأنبياء أقْوامهم لأسْرارٍ بلاغية بارعة، حُذِفَ المسند (الفعْل) أيضًا في حِوارهم أقوامهم .

وقدْ يكون الحذْف احْترازًا عن العبث بناء على ظاهر السياق، ويكون ذلك بعدم ذكْر مالا ضرورة لذكْره وهذا منْ شأنه أنْ يكْسب الأسْلوب قوّة، ويُضْفي عليه جمالاً وبهْجة . وهذا ما جرى في قوله - ρ - فيمـــــــــــا أمره الله

1 - المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم ص: 154 ، 155 .
2 - البرهان 3 / 142، 143 .
3 - البرهان 3 / 142، 143 .

بقولـــــــــــــــــه چ ڳ ڳ گ گ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک گ گ چ [الإسراء : 100] . والشاهد فيه چ گ گ گ گ چ .

والسر البلاغي لهذا الحذف " أنْ يبرز الكلام في صورة المبتدأ والخبر، فيكون فيه دلالة على أن الناس همْ المختصون بالشح والإمْساك " [1]، والمعنى : لوْ أنتم اخْتصَصْتم بملك خزائن رحمة الله دون الله لما أنْفَقْتمْ على الفقراء شيئًا " وذلك أشدّ في التقريع وفي الامتنان بتخييل أن إنْعام غيره كالعدم " [2] ؛ وبهذا أضمر (تملكُ) الأوّل إضْمارًا على شريطة التفسير، " وبهذا انفصل الضمير أنتم " [3]،لأنّ المقصود إذًا لأتّصفْتُم بالإمْساك، أي البخْل والشح، ولا يقْصد أنه مُمْسك شيْئًا معيّنًا عنهم، لذلك حُذِف مفْعول الفعْل الأوّل المضْمر المفسّر بالثاني .

وقدْ يُحْذف الفعْل أيْضًا في مقام التحذير والإغراء لضيق المقام : وذلك مثْل قول صالح-υ - في شأن الناقة التي خرجتْ من بين الصخور چ ى ى ې ې ۉ ۉ ۋ ۋ ۅ ۅ چ [الشمس : 13] . أي :" احذروا . فحُذف الفعْل لما ذكر – للاختصار – مع كثرة المعنى " [4] . وسرّ هذا الحذْف " التنبيه على أن الزمن يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف، وأنّ الانْشغال به يفْضي إلى تفْويت المُهمّ من التّحذير والإغراء " [5] .

وهذا يبيّن مدى حِرْص صالح - υ - على هداية قومه، ونجاته من الهلاك العاجل، والعذاب الذي سيصيبهم فوْرًا لوْعـقروها وأصابها منهم أذًى .

ثالثًا : حذْف المفعول به :

المسند إذا وردَ على صورة الفعل قد يتبعه قيود من مفعولات وغيرها، وقد يتجرد منها، وكلما زادتْ القيود زادت فوائد الإسناد، لأنّ المفعول هو ما وقعَ عليه الفعْل، والظرف يبين وقْت الفعْل أو مكانه، والحال يبين هيئة صاحبه وهكذَا، وإذا أريد إثبات المعنى للفاعل من غير نظر إلى تعلقه بمفعول، ويكون المتعدي حينئذٍ كاللازم، فلا يذكر المفعول، لئلا يتوهم أنّ الغرض إثبات الفعْل للفاعل من حيثُ تعلقه بمفعول [6]؛ ولهذا يتعلّق بحذْفه أغْراض بلاغية عديدة، وله سياقات يترجح فيها الحذْف، ومنْ هذه السياقات البلاغية :

---

1 - من بلاغة النظم القرآني ص: 121 .
2 - التحرير والتنوير . م 7 . ج 15 / 223 .
3 - من بلاغة النظم القرآني ص: 121 .
4 - خصائص التعبير القرآني 2 / 27 .
5 - من بلاغة النظم القرآني ص: 124، من بلاغة القرآن ص: 97 .
6 - ينظر : المعاني في ضوء أساليب القرآن ص: 155 .

تنْزيل الفعْل المتعدي منْزلة الفعْل اللازم . وفي هذا قال الجرجاني " اعْلم أنّ أغراض الناس تختلف في ذكْر الأفْعال المتعدية، منْ غير أن يتعرضوا لذكْر المفعولين، فإذا كان الأمْر كذلك، كان الفعْل المتعدي كغيْر المتعدي، مثلاً : في أنّك لا ترى له مفْعولاً لا لفْظًا ولا تقْديرًا " [1] .

وينزل الفعْل المتعدي منزلة الفعْل اللازم، لأنّ المقصود هو إفادة مجرّد إثْبات الفعْل للفاعل أوْ نفيه عنه، وقد ورد ذلك في حوار الأنباء أقوامهم كقـــــــــول محمـــــــــــــــد - ρ - فيما أمره الله به چ ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی ی چ [الزمر: 9] . والمعنى " هلْ يسْتوي منْ له علْمٌ، ومنْ لا علْم له؟ بغضّ النظر عن المعلوم أيًّا كان نوعه " [2]، فحذف المفعول لتعلّق الغرض بإثْبات أصْل العِلْم لهم بغضّ النظر عنْ معيّن .

وقد يكثر حذف المفعول به أيْضًا في الفواصل نحو (يضرّون) من قوله – جل شأنه – حكاية لما جرى في حِوار إبراهيم - υ - قومه بشأن أصنامهم التي كانوا لها عابدين چ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ چ [الشعراء: 72 – 73] فحذف المفعول من هذا الحِوار منْ فعْل (يضرون)؛ وذلك " حِفاظًا على وحدة الحرف الأخير من الفواصل، والذي ينْزل في النّثْر المسْجوع منْزلة حرْف الرويّ في الكلام المنظوم " [3]، وهذا بُرْهانٌ قاطعٌ على بطْلان إلهية ما أدّعوه من الأصْنام، لأنّه تبرّأ منها وتنقّص؛ فلوْ كانتْ تضرّ لضرّتْه أو تؤثّر لأثّرتْ فيه لأنّه لمْ يرْع لها اهْتمامًا .

وقدْ يحذف المفعول لغرض الدلالة على إثبات المعنى في نفسه للفاعل دون نظر إلى مفعول معين، وهذا كثير في النظم القرآني كما في قوله تعالى[4] حاكيًا ما جرى بين إبراهيم - υ - والملك الجبار المتمرد، الذي ادّعى لنفسه الربوبية، فأبطل الخليل عليه دليله بقوله چ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ چ [البقرة : 258]، حذف المفعول في هذه الآيات [5] للدلالة على أنّ المراد إثبات معنى الفعل للفاعل دون التفات على مفعول معيّن يقع عليه الفعل، إذْ المراد هو الذي يكون منه الإحياء والإماتة دون نظر إلى منْ أحيا ولا إلى منْ أمات، فإنّ الذي يحي ويميت هو الذي يفْعل ما يشاء، ولا يمانع ولا يغالب، بل قد قهر كل شيء، ودان له كل شيء .

---

1 - دلائل الإعجاز ص: 154 .
2 - المعاني في ضوء أساليب القرآن ص: 155، علم المعاني ص: 130، دلائل الإعجاز ص: 154 .
3 - علم المعاني ص: 131 .
4 - ينظر : من بلاغة النظم القرآني ص: 131 .
5 - السابق ص: 131 .

المبحث الخامس : الذكْر :

كما قدْ يقع في الكلام حذْفٌ لأحد طرفي المُسْند والمسند إليه، فإنه قدْ يتناوبهما أغْراض جليلة تلْزم ذكْر أحد طرفي الإسْناد دون الآخر .

أوّلاً : ذكْر المبتدأ :

كما يحْذف المبتدأ في سياق الكلام، فإنّ المبتدأ يُذْكر لغرض بلاغي يقْتضيه السياق، قدْ يكون زيادة في التقرير والإيضاح كقول نوح- υ - چ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ چ [هود : 28] .

فذكْر المبتدأ [أنْتم] زيادة في التقرير وتوْضيح ودعْمًا لنسْبة كرْهها إليهم، بأنهم صادّون أوْ واقفون في وجْه ما أمرهم به رسولهم . بمعنى كوْن الإلْزام والكراهيـــــــــة موجودة أصْلاً " أي لا نكرههم على قبولها، فعلّق الإلْزام بضمير البينة أو الرّحْمة " [1] .

وقول نوح أيْضًا - υ - لقومه چ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ چ [هود : 34] . ذكر المبتدأ [هو] " لأنّ القوْم لا يؤمنون بالبعث أصْلاً بلْهَ أنْ يزعموا أنّهم يحضرون إلى الله وإلى غيره " [2] .

ففي ذكْر المبتدأ [هو] زيادة تقرير وإيضاح لانفراد الله – سبحانه وتعالى – بالمُلْك والسّلْطة على غيره، فهو خالقهم وهُمْ إليه راجِعون .

---

1 - التحرير والتنوير . م 6 . ج 12 / 51 .
2 - السابق م 6 . ج 12 / 36 .

وقول شعيب - υ - لقومه ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼ [هود : 86] .

ذكر ضمير المتكلم (أنا) وهو المسند إليه لزيادة بيان أنه ليس مكرههم ومجبرهم على فعْل شيء هم لا يريدون فعْله .

وأفاد خبره - υ - لقومه أنّ ما يقترفونه متاع زائلٍ وما يدْعوهم إليه حظّ باقٍ غير زائل [1] وبقاؤه دنيوي وأخروي، وأنّ نِعم الله أضْمنَ وبقاءها دنْيوي وأخروي .

ومما ذكر فيه المسند إليه قوْل عيسى - υ - لقوْمه ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ [الزخرف : 64] .

فذكر المسند إليه [هو] بقصْد ضعْف التّعْويل على القرينة وذلك لأنه إذا ثبت تفرّده بالربوبية توجّه الأمْر بعبادته إذْ لا يخاف الله إلاّ منْ اعْترف بربوبيته وانْفراده بها[2]، وإعْلامهم أنه جاءهم بالحكْمة والبيان؛ وذلك ترْغيبًا لهم في وعْي ما سيلْقيه عليهم منْ تفاصيل الدعوة، وأدْخل نفسه معهم بقوله [هو ربي وربكم] .

وكقول صالح- υ - لقومه ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ [الأعراف : 73] .

ففي بيان اسم الإشارة [هذه] زيادة تقرير وتمييز وإيضاح، " وأضافها إلى الله للتشريف والتعظيم، لأنها خُلقتْ بغير واسطة "[3]. ولما أضافها إلى الله أضاف محلّ رعْيها إلى الله، لأنّ الأرض وما أنبت فيها مُلْكه – تعالى – لا مُلْكُكم ولا إنْباتكم، وفي ذكْر اسم الإشارة [هذه] دلالة على أنّ هذه الناقة نعْمة من الله، ينال خيْرها منْ غير مشقّة أوْ تكلّف في رعْيها وأكْلها .

ثانيًا : ذكْر الخبر :

الخبر كالمبتدأ الأصْل فيه الذكْر، ولهذا لا يعْدل عنه إلاّ لقرينة في الكلام تُبْرز حذْفه، ومما رُجّح ذكْره على حذْفه في حِوار الأنبياء أقْوامهم الاحْتياط لضعْف القرينة وعدم التعْويل عليها، كقول نبينا محمد- ρ ﭽ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ [فصلت : 6] .

1 - ينظر : التحرير والتنوير . م 6 . ج 12 / 139 .
2 - ينظر السابق . م 12 . ج 25 / 248 .
3 - صفوة التفاسير 1 / 455.

جاء ذكْر الخبر [بشرٌ] على اعْتبار كونه بشرًا ؛إبْطالاً لزعمهم المشْهور عندهم، وهو أنّ كونه بشرًا مانعٌ منْ إرْساله عن الله – تعالى – " وبيّنَ مما تميّز به عنهم على وجه الاحتراس من أن يتلقفوا قوله [إنما أنا بشرٌ مثلكم] تلقّفَ من حصّل على اعتراف خصْمه بنهوض حجته بما يُثْبت الفارق بينه وبينهم في البشرية، وأنه مقْصورٌ على البشرية دون التصرّف في قلوب الناس " (1) .

فذَكَرَ المسند (الخبر) – لعدم تعويله - ρ - على ظنّ قومه، ترْغيبًا في عبادتهم الله – الواحد – الذي لا شريك معه، فأفاد ذكْر كوْنه بشرًا أنّه واحدٌ منهم، والفرْق بينه وبيْنهم أنّه مُكلّفٌ عن المولى – عزّ وجلّ – وفي هذا من الاستـــــــــــــدراج لهم، بمعنى " إذا صحّتْ نُبُوّتي وجبَ عليكم اتّباعي، وفيما يُوحى إليّ: أنّ إلهكم إله واحـــــدٌ " (2) .

وقد يذْكر المسند تعْريضًا بغباوة السامع وذلك كقول إبراهيم-υ - لقومه في الحِوار الذي جرى بينه وبينهم ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ * ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼﭼ[الأنبياء: 62 – 63].

فالمسند [فعلَهُ] قد اقتضى المقام ذكْره " تعْريضًا بغباوة السائلين وبأنّ الدافع على تكسير الأصنام هو غيظ إبراهيم من كبيرهم هذا الذي يخصّونه بتعْظيم أكْثر " (3) .

ولمْ يدعْ- υ - أنّه شاهدَ ذلك، ولكنه جاءَ بكلام يفيد ظنه بذلك حيْثُ لمْ يبْق سليمًا من الأصْنام إلاّ الكبير، وذلك تعْريضًا بغباوتهم، كما يظنون أنه الكبير والمسؤول عن أصْنامهم، فلماذا لمْ يدافع عن الأصْنام وقْت تحطيمها ؟ فذَكرَ المسند [فعَلهُ] تعْريضًا بجهْلهم وغباوتهم؛ لاعْتقادهم بإلهية أصْنامهم، علاوة على ما فيه من السخرية والتهكّم بأصنامهم .

وقد يكون إثبات المسند (خبرًا) ، وقد يذْكر المسند لزيادة تقرير الكلام وتثبيت معناه، وتوضيحه حين يتعلّق الغرض بهذا، وقد يكون المقصد من ذكره هنا زيادة تقرير خلق للسماوات والأرض (4) وقدْ جاء ذلك فيما أمر الرسول- ρ - أن يقوله لمنْ سأله عن الشهر الحرام : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ [البقرة : 215] .

1 - التحرير والتنوير . م 11 . ج 24 / 237 .
2 - الكشاف 4 / 191 .
3 - ينظر : خصائص التراكيب ص: 290 .
4 - ينظر : السابق ص: 290، 291 .

يتضح هنا أن المسند [أكبرُ] قدْ أثْبتَ للمبتدأ إخْراج أهْله منه، و [الفِتْنَةُ] وذلك نتيجة " أن هذا السؤال كان من الكفار قالوا : سألوا الرسول – عليه الصلاة والسلام – عن القتال في الشهر الحرام " [1] .

وبيّن الفخر الرازي أن [قتالٌ فيه] مبتدأ، وكبيرٌ خبره " وقوله [قتالٍ] وإنْ كان نكرة إلاّ أنّه تخصّص بقوْله [فيه] فحَسُنَ جعْله مبتدأ ... " [2]، وبيّن أنّ القتال الذي يكون كبيرًا ليْس القتال الذي هو محطّ السؤال؛ بلْ هو القتال الذي يكون غرضه تحْطيم الإسْلام وكسْر شوْكته، فهذا هو القتال الكبير " إلاّ أنه – تعالى – ما صرّح بهذا الكلام لئلاّ تضيق قلوبهم؛ بلْ أبْهم الكلام بحيْثُ يكون ظاهره كالموهم لما أرادوه، وباطنه يكون مُوافقًا للحق، وهذا إنما حصَلَ بأنْ ذكر هذيْن اللفظيْن على سبيل التنكير" [3]، فلهذا ذكر المسند [كبيرٌ] ردًّا على السائلين، لبيان كسْر شوْكة الظلم والبغْي .

ومما جرى على مثل السياق السابق في جملة ما أمر بقوله رسول الخلق أجمعين، ومما ورد جوابًا على السؤال الوارد عن الإحياء قوله چ گ گ گپ گپ گپ گ گ گ ں ں. ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ چ[يس : 78–79] ، فذكْر المسند في قوله چ ڻ ڻ ۀ وقُصد من ذكْره أن يتقرّر أنّ الله أحياها، وقادر على فعْل أيّ شيء، وفيه إشارة أخرى أنه لا يسأل عن الإحياء بعد الموْت – أعنى عنْ مكانه – سؤال مستبعد منكر إلاّ منْ في عقْله غشاوة تحجبه عن الإدْراك النافذ والرؤية الصادقة، ومثله لا يعول في خطابه على ذكاء [4]، فذكْر المسند بصيغة الموصول قرّر قضية الإحياء والإماتة، وأدْمجَ القضية ودليلها في أنْفذ عبارة وأبينها، وكأنه يجمع بين الإيجاز الشديد، وذكْر ما يمكن حذْفه، وفيه دليلٌ على أنّ الإحياء والإماتة بيد المولى – عزّ وجلّ- [5] .

---

1 - تفسير الفخر الرازي م 3 . ج 6 / 27 .
2 - السابق .
3 - السابق .
4 - ينظر : خصائص التراكيب ص: 291 .
5 - ينظر : السابق .

الفصل الرابع : التصوير البياني :

للتصوير في القرآن الكريم جمالياته الفنية التي تؤثر في العقل والقلْب معًا .

فهي تخاطب الأذْهان في مستوياتها الفكرية مُخْترقةً بواطن الوِجْدان حتى يكون صافيًا ونابضًا بالحياة والحركة .

والقرآن الكريم يرسم الصورة، ويعْرض المشهد موفّرًا الجمال في تناسق فني، فتتآزر الكلمات والعبارات مع بعض لتحقيق المقصد الديني والوجداني في وحْدة تصويرية واحدة .

والتصوير في القرآن منْهج كامل وطريقة متبعة لا تخطئها العين، مما يصبح ظاهرة أدبية لها تميزها وتفردها ومجالها الخاص . إنه يحول الألفاظ والتراكيب على صورة عامرة بالحياة والحركة [1] . ولا يقف التصوير الفني عند حدوده البلاغية المعروفة من تشبيه أو مجاز أو استعارة، أو غيرها، وإنما يتعدى ذلك كله إلى كلية الصورة التي يردفها الجرس اللفظي والتآلف الصوتي، والتطريب النغمي، وموسيقى السياق كله [2].

فالتصوير البياني الفني هو تصوير باللّون وبالحركة، وبالإيقاع، وكثيرًا ما يشترك الحِوار واصفًا الموْقف داخل السياق في إبراز صورة من الصورة تتملاها العين والأذن والحسّ والخيال مُصوّرة المشهد أفْضل تصْويرٍ وأعْذب تنْسيقٍ .

وجاءت حوارات الأنبياء– عليهم السَّلام – مصورة اشتداد الصراع بين الحق والباطل متضمّنة التصوير البياني، في تصوير الموضوع الذي يهدف إليه السياق .

ومن نماذج التصوير البياني التي وردتْ في حِوار الأنبياء أقوامهم :

1 – التصوير الحسي والتجسيم .

2 – رسْم المشاهد في صورة حيّة متحرّكة .

3 – التشخيص .

---

1 - من جماليات التصوير في القرآن الكريم، محمد قطب عبد العـــــال، ط 1، 1993 م، ط 2 ، 2006 م، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص: 56 .

2 - السابق .

4 – **التلويح والإيحاء .**

المبحث الأول : التصوير الحسي والتجسيم :

إنّ التصوير الحسي جانبٌ عظيم في التعبير القرآني، يهدف إلى رسْم الصورة كما تحسها النفس، وهو وسيلة لتقريب المعنى إلى النفس، و " عقْد علاقات متخيلة بيْن محاور حسيّة أوْ معنوية " [1] . وإن التشبيه هو الذي يدور عليه هذا المعنى، فالمعاني والحالة التشبيهية تبدُو صورًا وهيئات داخل إطار حسي مجسّم يقترن به الخيال، لتشكّل دلالة واضحة .

ولقد برزتْ الصورة في القرآن الكريم مُبْرزة تلْك الدلالات على اختلاف الأنواع، لتلقي للسامع عن طريق التشبيه الحسي صورةً مجسّمة مؤثرة في النفس تفيض بالحركة التي يسير عليها التصوير في القرآن الكريم .

والتصوير عن طريق التجسيم يتضح في التشبيه الحسي، ويتجلى في تجسيد المعنى المطلوب، تحقيقًا للغرض المقصود .

وهذا اللون من التصوير يستمد عناصره من الطبيعة من نبات وحيوانٍ وجمادٍ، وتمتزج فيه امتزاجًا كليًّا، بحيْث يبدو طرفَا الصورة متحدين لإبراز المعنى المطلوب وتقويته، وتهدف إلى التأثير في النفس، وتمثيل الغائب حتى يصبح حاضرًا، وتقريب البعيد حتى يبدو قريبًا [2] .

ومن النماذج التي وردتْ في حوار الأنبياء أقوامهم تصوير المعاني الذهنية تصْويرًا حسيًّا يُجسّمها ويجْعلها ماثلة للمشاهد .

ومن التصوير الحسي تجسيم المعنويات على وجه التصيير والتحويل، فإذا الأمر المعنوي المجرّد يبدو صورة حسيّة مجسّمة بالتخييل الحسي وهذا ما بلغَ ذروته فيما أمر به محمد - ρ - بتبليغه چ ي ٻ ٻ ٹ چ [الأعراف : 29] .

فقد " شبه سبحانه – الإعادة بالإبداء تقْريرًا لإمكانها والقدْرة عليها "[3]. حيثُ ورد التشبيه بأداته (الكاف)، لأن من يُعيد الشيء كأنه يبدؤه مرّة تلْو المرّة، وهذا دليلٌ على أنه - سبحانه وتعالى – الذي أنشأ الخلْق وإليه يرجع خلقه قادرٌ على البعث، والكاف في چ ٹ ٹ ٹ چجاءتْ لتشْبيه عود خلقهم ببدئه، (ومَا) هنا مصدرية،

1 - من جماليات التصوير في القرآن الكريم ص: 117 .
2 - ينظر : من جماليات التصوير في القرآن الكريم ص: 118 .
3 - الجدول . م 4 . ج 8 / 391 .

والمعنى : تعُودُون عوْدًا جديدًا كبدئه إياكم، أظهر الرسول- ρ - إعجاز الله – سبحانه وتعالى – في خلقه، وبين ذلك لقومه إذْ ناسبَ الكاف الخاطفة في هذا التشبيه السريع خِفّة الإعادة وعدم تصعبها على الخالق القادر – عز وجل – ولذلك خلا الكلام من صور التوكيد، فكأنّ الكاف أحد هذه العناصر المقصودة، لتتناسق مع النظم القرآني، وجاء ذلك رغبة منه - ρ - وإلحاحًا على غرس عقيدة التوحيد، والإيمان بالبعث، وعبادتهم لله – وحده – وترك عبادة الأصنام .

وكقول صالح - υ - في وصف النعيم الذي أنعم الله بـــــــــــه على قومـــــــــه (ثمود) [1] محاورًا لهم في أبدع تصوير قوله چ ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ چ [الشعراء : 146 - 148] .

هنا يخبر صالح - υ - قومه بأن الله جَعَلهم خُلفاء منْ بعد قوْم عادٍ، وأباحَ لهم الأرْض، وما أحلّ لهم من النعم، وما في هذا الحِوار من الوعْظ لهم بعبادة الله – تعالى – وحده، وإياهم والمخالفة عن طاعته .

فيأخذ نبيهم في تصوير هذا المتاع لهم، ليتأملوه ويتدبروا فيه عظمة الخالق، ويخافون زواله، وفيما قاله لمسات تُوقظ القلوب الغافلة المقْفلة، تنبيهًا للحرْص والخوْف مما هو آتٍ، أتضنون أنكم متركون لهذا الذي أنتم فيه من دِعةٍ ورخاءٍ ومتْعة ... " وسائر ما يتضمنه هذا الإجمال منْ تفخيمٍ وتضْخيمٍ ... أتتْركون في هذا كله آمنين لا يروعكم فوْتٌ، ولا يزْعجكم سلْبٌ، ولا يُفْزعكم تغيير ؟ " [2] .

والمعنى : أتتركون في هذا كله من جنّات وعيونٍ وزرُوعٍ متنوعات، ونخْلٍ جيّدة الطّلْع، سهْلة الهضْم حتى كأنّ جناها مهْضومٌ لا يحتاج إلى جهْدٍ في البطون، وتتركون في البيوت، وتنحتون من الصخور بمهارةٍ وبراعةٍ، وفي آناقةٍ وفراهةٍ ...[3] (

فوصفَ- υ - طلْع النّخْل بالهضيم الذي ينتج أفْضل الثّمْر وأطيبه، وهو محْسوسٌ أمام أعينهم؛ لأنه موجُودٌ في الجنات التي ينعمون بها، وأفْرد " النخل لفضْله على سائر أشجار الجنات " [4]، ولأنه ماثلَ أمام أعينهم ينعمون بظله ويتلذذون بثمره، وفي

---

1 - قيل هو اسم عجمي، وقيل هو اسم عربي، وترك صرفه لكونه اسم قبيلة، وهو فعُولٌ من الثمد، وهو الماء القليل الذي لا مادة له، ومنه فُلانٌ مثْمودٌ إذا كثر عليه السؤال حتى فقد مادة ماله . ينظر : معجم مفردات القرآن ص: 91، 92 .

2 - في ضلال القرآن 5 / 2611 .

3 - ينظر : السابق .

4 - إرشاد العقل السليم 6 / 258 .

هذا الوصف دلالة على عظمة الخالق في جعْل نخيلهم منْ أطْيب الثمر وألذّه، وفي هذا من أخذ العبرة والعظمة من قدرته – جلّتْ وتعالتْ – حكمته .

وقدْ تندمج الصورة الحسيّة بالعقل لتكوّن تصْويرًا بليغًا، وهذا ما ورد في جملة ما أمر بقوله - ρ - چ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی ی □ □ □ □ چ [الكهف : 109] .

فالسياق يعرض البحر بسعته وغزارته في صورة مِداد يكتبون به كلمات الله الدالة على علْمه، فإذا البحر ينْفذ، وكلمات الله لا تنْفذ .

و " بهذا التصوير المحسوس والحركة المجسّمة يَقْرب إلى التصوير البشري المحدود معنى غير المحدود، ونسْبة المحدود إليه مهما عظم واتّسع " (1) .

والبحر هنا يمثل علْم الإنسان الذي يظن أنه واسعٌ غزيرٌ، ولكنه على سعته وغزارته فهو محدود، مقارنةً بكلمات الله التي تمثّل العلْم الإلهي الذي لا حدود له، والذي لا يستطيع البشر إدراك نهايته، ولا يستطيعون تلقيه وتسجيله .

وفي ظل هذا المشهد يتضاءل فيه علْم الإنسان أمام علم الله ؛ لأنه يمثّل نسبة المحدود إلى غير المحدود؛ لأنّ البحر سينفذ، وكلمات البحر لمْ تنفذ، ولوْ أمدّه المولى– عز وجل – ببحْرٍ مثله، فسينتهي منْ بين يديه، وكلمات الله باقية خالدة .

فتشبيهه - ρ - لماء البحر بالمداد الذي يمدّ لكتابة كلمات الله هو منْ باب تشبيه المعقول بالمحسوس) بأن أعظم ما يتصور حجمه فهو يتناهى، ويتضاءل أمام كلمات الله المعجزة، وما في ذلك من صلابة وشدّة الموقف الناظر أمام أعينهم، وفي هذا من التدبّر والرسوخ في العلْم، فإذا البحْر قريبٌ محدود بقياسه بالأفق الأعلى الذي تنْحسر دونه الأنظار .

1 - في ضلال القرآن 1 / 4579 .

المبحث الثاني : رسْم المشاهد في صورة حية متحركة :

في هذا الجانب تبرز الصورة الفنية بحيْث تكوّن سمة عامة فيما تتّصل بالمشاهد الحية، والتي تتناول موقفًا من المواقف، ويتحوّل المكان المشخص إلى حياة كاملة تتنفّس وتحيا وتتفاعل ... [1]. ويتّضح ذلك في بعض حِوارات الأنبياء أقوامهم، وفي مشاهد المواجهة بين الرسل لأقوامهم، كقول هود - υ - لقومـــــــــــــــــــه

چ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ

[هود : 56] .

وردَ هذا المشهد في الجدال الذي دارَ بين النبي هود - υ - وقومه المتمسكين بعبادة غير الله، فبيّن لهم نبيهم أنّ الله هو خالق كل شيء، وهو المقصود بالعبادة والطاعة لا عبادة غيره .

وهي هنا صورة محسوسة للقهر والغلبة، والقدرة العظيمة .

1 - ينظر : من جماليات التصوير في القرآن الكريم ص: 70 .

فصوّرتْ قدرة الله – تعالى – بأنها آخذة بناصية كلّ دابّة على سطْح الأرْض، شاملة جميع البشر، والناصية هي مقدمة الشيء " وما انسدلَ على الجبهة من شعْر الرأس، والأخذ بالناصية هنا تمثيل للتمكين " (1) .

فالتعبير بالناصية أبْرزَ القهْر والهيمنة على الشيء في صورة محسوسة تُناسب موقف القوْم الجاحد لنعم الله عليهم، مناسبة لصلابة أجسامهم، وقوّة بنيتهم، مقرّرة الاستقامة من جانب المولى – عز وجلّ - .

وفي تشبيهه- υ - تمْكين قدرة الله – سبحانه وتعالى – من كلّ مخلوقٍ بالإمساك بالناصية، وأنّ الممسك لا يسْتطيع انفلاتًا، وسرّ هذا التصوير في وصف قدرة الله – سبحانه وتعالى – التي أيّد بها رسله بيان شدّة التمكّن وإظْهار عجْزهم، علاوة على ما فيه من الخضوع لأمْر الله باتباع ما أُمر به نبيه - υ - وترْك ما نهى عنه نبيه - υ - وأنه متوكّل على ربه، لا يخشى بأسهم، فهو المالك والقاهر لكل شيء، فمُلْك المولى – عزّ وجلّ – يعني " أن لا يفوته أحد منهم "(2)، وقهْره – جلّ وعلا- " لا يعجزه أحدٌ منهم " (3) .

فيرسم هود - υ - الاستقامة لطريق ربه، وأنه طريقُ مستقيم لا اعوجاج فيه بقوله ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ .

فتأمل قوة الكلمات والتي تعني (القوة والعظمة والاستقامة)، والتي تبيّن سرّ التحدّي في أخْذ الخالق بالناصية، وهو يرسم الحقيقة عند ربه ويجدها واضحة في قوله لقومه ... وحتى وإنْ كانوا أشداء في الأجسام، فالله قاهرهم ومسيطر عليهم، فما بالك باتخاذهم طريق غير طريق ربهم الذي صوّره بالمستقيم .

فيُبرز- υ - الحقيقة المنشودة في نفْسه، ويُخْبر بها قومه وهي حقيقة الألوهية كما تجلّتْ في نفسه - υ - وبهذه الحقيقة القوية، وهذا التحدي الهائل يُبْرز القوة الإلهية في صُورة قاهرة حاسمة تُنْذر القوْم وتُرْهبهم وتَعِدْهم بالخيبة والوبال .

وقدْ رسمتْ صورة الإنسان الكافر بمنْ تاه في صحراء خالية لا يعْرف طريقًا يسلكه . وهذا وارد في السياق الحِواري لمحمد - ρ - في جملة ما أمـــــــــر بقوله : ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ

1 - التحرير والتنوير . م 6 . ج 12 / 100 .
2 - التحرير والتنوير . م 6 . ج 12 / 100 .
3 - السابق .

ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [الأنعام : 71] .

فالرسول- ρ- يُصوّر الحالة التي يكون عليها منْ يُشْرك بالله ويكذّب رسولــه " بحال من أضلّه الشياطين في الصحراء، وله أصحاب يدْعونه إلى الهدى وينادونه : ائتنا، وهو بين الاستهواء وهذا الدعاء حيْران لا يدْري أيّ الفريقين يُجيبُ " (1) .

فالمشهد الشاخص المتحرك يأخذ بجماع القلوب، فهو مشهد حي متحرك يشخّص الضلالة والحيرة التي تسْكن من يشرك بالله بعد التوحيد، ومنْ يجْعل قلْبه بين عبادة الله، وبين عبادة آلهة أخرى، ويتوزّع تفكيره بين الهداية والضلال، فيتوه ويضيع في طريقه .

وازدادتْ الصورة وُضُوحًا وزُخْرفًا بتلْوينها بحرْف الكاف التي بيّنتْ " تمثيل بهيئة متخيلة مبنيّة على اعتقاد المخاطبين في أحوال الممسُوسين أي حال كوْننا مشبهين للذي استهوته الشياطين بالمرتد على أعقابه " (2) . إنه مشهد ذلك المخلوق الذي استهوته الشياطين في الأرض " ولفظ الاستهواء لفظٌ مصوّرٌ بذاته لمدلوله وياليته يتْبع هذا الاستهواء في اتجاهه، فيكون له اتّجاه صاحب القصْد الموحّد ولوْ في طريق الضلال " (3) .

ورسمت الصورة تشبيهًا قويًّا تحت ما يسمى بالتشبيه التمثيلي، حيثُ شبّه " حال الملازمين للشرك برغْم دعائهم إلى الإيمان بحال الذي يضل الطريق برغم دعوة أصحابه ووجْه الشبه هو الهيئة الحاصلة من اتّباع طريق الغي والضلال مع وضوح طريق الرشاد والهداية " (4) .

ووقُوع الأصحاب في الجانب الآخر، وهُمْ أصحاب مهتدون يدعونه إلى الهدى، وينادونه أن ينضم معهم، ولكنه بين الاستهواء والدعوة (حيران) تائه لا يدري أيْن يتجه، ولا مع منْ ينضم فيُبْرز العذاب النفسي له ويتحرك حتى لتحسّ به وتلمسه من خلال التعبير .

وفي بقاء المشهد الشاخص يصْبغ النّفس بالخوف من المصير المؤلم الذي يُحيط بالتائه، فيظل واقفًا في مكانه لا يستطيع الحركة، ولا يهتدي إلى سبيل، والعياذ بالله من الضلال ووُلُوج طريق الغيّ والفساد .

---

1 - البيان في ضوء أساليب القرآن الكريم ص 43، عبد الفتاح لاشين، (د ، ط) ، دار الفكـــر العربي، 1464 ه / 2004 م .
2 - التحرير والتنوير . م 4 . ج 7 / 301 .
3 - في ضلال القرآن 3 / 80 .
4 - القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين ، ط 2، 1405 ه / 1985 م، ص: 66

وبعد هذا المشهد المؤلم يأتي البرهان القوي المؤيد بالحجة، فالنفس التي ترسم صورة الحيران، والعذاب الذي يحيط به من جرّاء الحيرة والضلال، تكونُ قريبة إلى استقبال القرار المؤيد بالبرهان، وهو ينصّ على الراحة والتسليم إلى عبادة الرّب، وحده لا شريك له بقولـــــــــــــه چ ھ ے ۓ ۓ ﮲ ﮳ ﮴ ﮵ ﮶ چ .

وفي رسم صورة الحيران إغراء لكفار مكة ومشركيها بالإقلاع عن عبادة الأصنام، والتمسك بعبادة الله وحده – لا شريك له – فجاء الحِوار قويًّا لأنهم رؤساء مكة، ويمثلون لأنفسهم الجاه والسلطة، فأوقع التشبيه القوي الذي يُخْلع القلوب ويُجلْجل النفوس، حتى تكون لهم العِظة والعبْرة .

المبحث الثالث : التشخيص وجمالياته التعبيرية (الحياة الشاخصة) :

إن الأداة المصوّرة منْ أعْظم فعاليات التعبير في القرآن الكريم، بحيثُ تبدو المعاني الذهنية والمشاعر الإنسانية من خوْفٍ، وفرحٍ، وهزيمةٍ – والمواقف البشرية والمشاهد الكونية في إطار حسّي مُشاهد يموج بالحركة والفعْل [1] .

وإنّ هذه الأداة التصويرية تحوّل المواد والظواهر والانفعالات إلى كائن بشري تموجُ بالعواطف والانفعالات والخلجات النفسية .

ولقدْ توصّل التعبير القرآني إلى جانب التشخيص عن طريق استعارة بعض الأشياء لبعْضٍ، وتصوّر الصورة وتنقلها نقْلاً للعين، والأذن، وتجْعل الأمْر المعنوي ملمُوسًا محْسوسًا .

والأداء القرآني في استخدامه للجانب التعبيري " يدرك حاجة المتلقي النفسية إلى تصوّر الأشياء والمشاعر شُخُوصًا متحرّكة بحيْثُ يبدو المجال مؤثّرًا ومتغلغلاً في الذات وبحيْثُ تتبدّى لنا الأشياء التي نراها ساكنة حيّة منطلقة واعية، وكأنما تشارك الإنسان حياته وتواصله، ووجدانه " [2] .

فالأداء التصويري المشخّص يَهِب للجمادات عقْلاً وحياةً، زيادةً في تصوير المعاني وتمثيلها للنفس حاملةً الاقتناع الذهني والنفسي في أجمل تعبير، ويسلّم

1 - ينظر : من جماليات التصوير في القرآن ص: 87 .
2 - السابق ص: 89 .

التصوير المشخّص المتلقي " إلى عالم من الخيال يتناسب مع حِدّة شعـــــــــوره وانفعاله " (1) .

إن التشخيص في الجمادات يكْمن تأثيره العميق في النفس البشرية ليربط النفس بالطبيعة ارتباطًا وثيقًا لقدرته على الإيجاز، والتكثيف والوُلوج داخل النفس الإنسانية .

وقدْ وردَ التشخيص في القرآن الكريم منْ خلال حِوار الأنبياء أقْوامهم ودعوتهم إلى اتباع الطريق الصحيح، وترْك ما هو باطلٌ وضلالٌ .

ومن التعبير الاستعاري ما وردَ في حِوار نوح - υ - وإخبار قومه بحقيقة تكوينهم وخلقهم، حاكيًا القرآن ذلك قوله ﭽ ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ . ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ [نوح : 17 – 18] .

وجّه نوح - υ - قومه إلى حقيقة مفادها النظر في أنّ نشأتهم من الأرض وعوْدتهم إليها بالموت، وفي هذا تقرير لحقيقة البعْث .

والمتدبر في آيات الله – تعالى – سيرى أنّ هناك كثيرًا من الآيات تبيّن نشأة الإنسان وخلْقه من الأرض، ولكنّ تعبير نوح - υ - أفاد أنّ نشأة الإنسان من الأرض كنشأة النبات من عناصرها الأولية يتكوّن، ويتغذّى، وينمو، فكأنه نباتٌ من نبات الأرض، فوهب الله للإنسان الحياة كما وهبَ للنبات الحياة .

واللفظ المستعار في قوله [أنبتكم] حيث " أستعيـــــــــر الإنبات للإنشاء لكونه أدل علي الحدوث، والتكون من الأرض، لكونه محسوســــــا وقد تكرّرَ إحساسه، وهم إن لم ينكـــــــروا الحدوث جُعِلوا بإنكـــــــار البعث كمن أنكره ،ففي الكلام استعارة مصرحـــــــة تبعيـــــــة " (2) . " والمعنى: أنبتكم فنبتم نباتًـــــا " (3) .

فشبه خلق الإنسان بالإنبات بجامع الحدوث في كلّ، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به (النبات) للمشبه (خلْق القوْم) على سبيل الاستعارة التصريحية وقرينتها حالية تُفْهم من السياق الحِواري، وهي أنّ مراحل تكوين الإنسان معلومة ليْستْ إنْباتًا حقيقيًا .

1 - القرآن والصورة البيانية ص: 175 .
2 - الجدول . م 15 . ج 29 / 102 ، 103 .
3 - الكشاف 4 / 621 .

ويرى بعض البحاث أنّ الأصْل ليسَ نباتًا بلْ إنْباتًا، والسرّ في العدول عن الأصْل أمران " لفْظي وهو التخلّص من كسْرتيْن يؤديان إلى نوع ما من الثّقل... ومعنوي، لأن المصدر (إنباتًا) يدلّ على مجرّد الحدث، أما اسمه (نباتًا) فيدل على صورة النبات بعد خلقه وترعرعه ... والمقام هنا يقتضي ذلك لأنه بيان لقدرة الله – سبحانه – " [1]، وفي توجيه نوح - υ - قومه إلى هذه الحقيقة لتستشعر قلوبهم يد الله– تعالى – وهي تُنْبتْهم من الأرْض نباتًا، وتعيدهم إلى الأرض مرّة أخرى .

ولنَنْتقل نقلة إلى جانب آخر من جوانب التشخيص في ما يعبده الجهلة للأصنام، ما صوّره إبراهيم - υ - للأصنام قوله ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [العنكبوت : 17] .

إن الصورة التعبيرية المستعارة في الفعل [تخلقون]،" والمراد أنكم خلقْتم من الأصنام صِورًا ... وهي بمعنى تصنعون الكذب على مواقع إرادتكم وتضعونه مواضع شهواتكم " [2]؛ ولأن اللفظ المستعار (فعل مضارع – حيْثُ شبّه القوم في افترائهم وكذبهم بمنْ يخْلق شيْئًا بجامع الإنشاء والابتكار في كلٍّ، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به – وهو (الخلْق والإيجاد) – للمشبه وهو – (افتراء الكذب بأحقية الأصنام بالعبادة – عبادة الأصنام)، ثمّ اشتق من الخلْق بمعنى الإيجـــــــــــــاد الفعْل ([تخْلقُون] بمعنى تفترُون وتصْنعُون وتكوّنون وتعبُدُون أصْنامًا ما لا تنْفع ولا تضرّ

وأنهم بعبادتهم هذه لا يستندون إلى برهان أوْ دليلٍ، وإنما يخلقون إفْكًا وينشئون باطلاً بلا دليل و لا هدف، بل الإنشاء يكون منْ عنْد أنفسهم بلا قاعدة أساسية .

فالتعبير القرآني بعثَ في الجماد حياة ، بإسناد فعْل الخلْق لسوء جهْلهم وضلالهم لكذبهم وافترائهم على الله بصنْع أصْنامٍ لا نفْع لها ولا ضرر، فقصرتْ عبادتهم على أوثانٍ، وأكّد لهم بـــــ(إنّ)؛ لأنّ قومه مُتشككون فيما يدْعوهم إليه، وأنّ عبادة الله يجب أنْ تكون لله له وحده – لا شريك له – خالصةً من تشْريك الأوثان وما يتعلّق بها .

وآثر الخليل (إنما) في هذا المقام، ليُشْعرهم بأنّ ذلك الخلل في عبادتهم وانحرافهم إلى الأوثان وضلالهم عن طريق الرحمن أمْرٌ بيّنٌ مُسلّمٌ لا مُشاحة فيه، و لا إنكار له

---

1 - خصائص التعبير القرآني 2 / 71 .

2 - تلخيص البيان في مجاز القرآن، للشريف الرضي، تح : علي محمود مقلّد، (د ، ط) ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1986 م، ص: 230 .

... وهذه طبيعة (إنما) التي قرّر عبد القاهر أنها تسْتعْمل في الأمْر لاينكره المخاطب و لا يشك فيه، بلْ إنها توجي بمعنى التّأكيد للتسْليم بالأمر .

والحِوار الذي دار بين إبراهيم - υ - وقومه، أنشأَ لنا صورة وضّحتْ الموقف تمامًا ومثّلتْه، فإبراهيم يبين لهم أنّ ما يعبدونه هو افتراءٌ وكذبٌ على الله، وأنّ فعلهم هذا هو مصْنوعٌ ومخلوقٌ عندهم، وانه لا ينفعهم ما يخلقون بدليل ما أردف به صورته الاستعارية قوله ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ [العنكبوت :17] .

ولننظر إلى لون آخر من التشخيص الوارد في قول نبينا محمد - ρ - في جملة ما أمر بقوله :ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ [سبأ : 24] .

لقد شخّص الحِوار (الحقّ والباطل)، كأنهما شخصان بارزان واضحان، وهذا ما سنفهمه منْ خلال لغة السّياق . فاستعمل الحرف (على) مع الهداية، والحــــــــــرف (في) مع الضلال، وقد وردَا في السياق كلٌّ في مكانه الأشكل به، و" خولف بينهما في التلبّس بالحق والباطل، وذلك من جهة أنّ صاحب الحقّ كأنّه لمزيد قوّة أمْره وظُهور حجته راكبٌ لجواد يصْرفه كيْف شاء بخلاف صاحب الباطل فهو لمكابرته و فشله وتخبطه كأنّه منغمس في ظـــــــــلمة ليس فيها بصيصٌ من نور، فعبّر في الأول بلفظ (على) الدال على الاستعلاء، وعبر بلفظ (في) التي تدل على الظرفية والانغماس في الشيء " (1) فأخرج الكلام مخْرج الشّك والاحتمال " (2) .

فبالغ- ρ- بخبره الذي أكّده بـــــــ(إنّ) ولام الابتداء؛ لإقامة الشّك في نفوس المشركين، وبيّن لهم أنّ عبادة الله وحده – لا شريك له – هي الطريق المستقيمة، وعُبّاد الأصنام (المشركين) في حيرة وضلال دائم، وجاء في وصف من آمن بحرف على " لأنّ صاحبه ذُو اسْتعْلاءٍ وتمكّنٍ، وجاء في الضلال بـــــ(في) لأنه مُنغمس في حيرة مُرْتبك فيها لا يدْري أيْن يتوجّه " (3) .

فانظر إلى التَّشْخيص الذي أحْدثه الحرف (علَى)، والحرف (في)، فاختصّ صاحب العلوّ الذي نطقَ به حرف (علَى)، في حين اختصّ صاحب الباطل

---

1 - ينظر : القرآن والصورة البيانية ص: 193 .
2 - البحر المحيط 8 / 547 .
3 - السابق .

بالانغماس الذي نطقَ به حرف (في) والفرْق واضحٌ بيْن الشّخْصيْن، من خلال سياقهما بحرْفيْن مختلفيْن .

فالحرف الأول (عَلى) دالٌّ على الظهور والرّفْعة، في حين يدلّ الثاني على الانغماس في الشيء لا يتخلص منه .

وكلامه- ρ - غاية في النصفة والاعتدال، ويُبْرز أدبه - ρ - وفحْوى كلامه لا بد وأن يكون أحد الفريقين على هدى والآخر على باطلٍ وضلالٍ، ثمّ يترك القوْم لتحديد ذلك، ليتدبروا ويتفكروا في تحديد المهتدي من الضّال . وفي هذا إرْشادًا لهم لا إذلالهم وإفحامهم بالباطل . وفي هذا من الأدب الرفيع في خلْقه - ρ - .

المبحث الرابع : التلويح والإيحاء :

لعلّ مما سبق ندرك أنّ المفردة القرآنية لها جمال مميز في وقعها النغمي وتآلفها المعجز مع العبارة والسياق، والمعنى المقصود ... بحيثُ يكون من الصعب إيراد كلمة مُرادفة لها .

فألفاظ القرآن الكريم– لا يقوم مقامها لفظٌ آخر مهما كان فصيحًا أو بليغًا، ولكنّ التصوير يقرّب المعنى المراد للكلمة المقصود، وقدْ يعدوها إلى التلويح والإيحاء، وهذا واضح في المجال الكنائي الذي استخدم كثيرًا في القرآن، وعدم

التصريح باللفظ المقصود، بلْ يتعداه إلى معنى آخر عن طريق التكنّي والتّخفّي ... لإظهار الحقيقة .

" وتكنى وتحجّى؛ أي تستّرَ، من كنّى عنه إذا ورّى " [1] .

والأسلوب الكنائي في اصطلاح البلاغيين هو " ترْك التصريح بالشيء إلى ما يساويه في اللزوم، لينتقل منه إلى الملْزوم كما يقال (فلانٌ طويل النجـاد) أي طويـل القامـــة " [2] فورود التكنّي في السياق لعرْض المعنى " مصحوبًا بالدليل ومقْرونًا بالبرهان " [3] ، ولهذا يكون المعنى أبْلغ من مجرّد الإبانة عن الشيء؛ لأنّ إبراز الدليل للمعنى يكون له وقْعه في نفوس السامعين تعبيرًا عن المعنى بالدليل الملموس ليزداد قوّةً وتمكّنًا وجمالاً .

وورَدَ التكنّي تلويحًا بالمعنى المقصود في قول هود - υ - في حواره لقومه في إشراكهم بالله – سبحانه وتعالى- ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ [هود : 57] .

ففي قوله [ما أرسلتُ] " كناية عن الإنذار، بتبعيّه التولّي عليهم، ونزول العقاب بهـــم " [4] قاصدًا أنه مبلغ الدعوة عن الله – سبحانه وتعالى – منذرًا لهم بعذاب يوم عظيم، ولكنه عَدَل عن التصريح بهذه الصفات إلى الكناية عنها؛ لأن كونه رسولاً يستلْزم أن يُنْذرهم ما هو خطرٌ، جاء التحذير عن ربه – جل جلاله – وهكذا فإن المعنى الكنائي قدْ حملَ عبر وسائط متعددة مرّ بها وهي كونه رسولاً من الله ← إلى قومه ← هاديًا للقوم ← مُنْذرًا لهم ← ومبلّغًا رسالة ربهم إليهم .

فعبّر عن المعنى المكني عنه، وعُبّر عنه بأحْسن عبارة، فوقعتْ في نفوس السامعين كالبرهان الساطع الذي شاع نوره، وملأ أرْجاء الأرض، وأنه لا حيلة في توليهم، كأنه يقول " فإن تولوا عما جئتكم به من عبادة الله ربكم وحده – لا شريك له – فقد قامتْ عليكم الحجة بإبلاغي إيّاكم رسالة الله التي بعثني بها " [5] .

1 - لسان العرب مادة (كني) 15 / 233 .
2 - التبيان في البيان ص: 406 .
3 - البيان في ضوء أساليب القرآن ص: 279 .
4 - التحرير والتنوير . م 6 . ج 12 / 102 .
5 - تفسير ابن كثير 2 / 221 .

قال أبو حيان في البحر المحيط : " المعنى أنه ما عليّ كبيرُ همٍّ منكم عنْ إنكم تولّيتم، فقد برئت ساحتي بالتبليغ، وأنتم أصحاب الذنب في الإعراض عن الإيمان " (1) .

وهذَا كلّه صبّ في قالب الإنذار الشديد لهم، ومنهم استخلاف قومٍ آخرين غيرهم، وذلك ترهيبًا حتى يتبعوا رسالـــــــــة نبيهم، ويتركـــــــوا مـــــــــــا هم فيه مـــــــــن الشرك بالله – عز وجل - .

وبلغَ المعنى الكنائي في جملة ما أمر بقوله - ρ - كناية عن النّصـــــــــــــــر چ ئې ئې ئې ئى ئى ئد ىى يې يې □ □ □ □ □ □ □ چ [يونس : 20] .

قصدَ – عليه الصلاة والسلام – من وراء إجابته لكفار قريش أن يُشْعرهم بأن الله سيُنْصره عليهم، وسينْتظر معهم حُكْم الله الذي سيحْكم به بينه وبين قومه، ولكنه عدلَ عن التصريح بانتظار النّصْر .

قال ابن عاشور " وهذَا مسْتعْمل كناية عن ترقّبه النّصر، إذْ لا يظنّ به أنّه ينتظر منْ ذلك ضدّ ما يحْصل لهم " (2)، لأنّه يلْزم من الانتظار الإيمان، ويلْزم من الإيمان صبْر صاحبه، ويسْتلْزم الصّبْر دعوته قومه إلى الإسلام، وانتظار النّصر لمن آمن بالله، والعقاب لمن عصى الله ورسوله، هكذَا :

الانتظار ← الإيمان ← الصبر ← دعوة قومه إلى الله ← نصْرٌ لمن آمن، وعقاب لمن عصى .

ولهذا فقد نصّ- ρ - على الكناية بقولهچ □ □ □ □ چ وهذا الجواب يوحي بالإمهال، والتهديد، وفيه بيانٌ لحدود العبودية في جانب الألوهية ومعنى أنه- ρ - من المنتظرين " ما يفْعل الله تعالى بكم لعنادكم وجحْدكم الآيـــــــــــــات " (3) .

فأبْرزتْ الكناية في حواره - ρ - بتصوير ما كان مكتوبًا في صدْر سيد الخلْق أجمعين أجْمل تصويرٍ، فأعْطى الحِوار تشْويقًا لسامعيه بأنه سينْتظر وقُوع العذاب معهم، وهذَا ما لا يُهوّله التّصْريح داخل السياق .

وفي أمرهم بالانتظار تهديد، والتهديد بيان لعِقَاب عابدي الأصنام لعلّهم يَرْتدعون عمّا همْ فيه، وفي أمره - ρ - لكفار مكة " أقام الدلالة القاهرة على أن القرآن معجزة

---

1 - البحر المحيط 6 / 169 .
2 - التحرير والتنوير . م 6 . ج 11 / 298 .
3- البحر المحيط 6 / 29 .

قاهرة، لأنّه صلوات الله وسلامه عليه نشأ بينهم " [1] . فقد جاء التهديد لهم لجدالهم بالباطل بتعلّقهم بعبادة الأصنام والأوثان التي لا تنْفع ولا تضر .

وقدْ يتضمن التلويح الكنائي معنى التعريض والإيماء، وهذا ما برزَ في قول يوسف - υ - في شأن المؤامرة التي دبرتها له زوجة عزيز مصر چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ [يوسف : 52] .

التعريض في قوله چ □ □ □ □ □ □ □ چ " وأنه تعريضٌ بامرأة العزيز في خيانتها أمانة زوجها، وبه في خيانته أمانة الله – تعالى – حين ساعدها بعْد ظهور الآيات على حبْسه، ويجوز أن يكون تأكيدًا لأمانته، وأنه لو كان خائنًا لما هدى الله كيده ولا سدّده " [2] .

وفي هذا تعريض بالمكيدة التي دبّرتْها له زوجة العزيز، وكيف أنه - υ- يذْهب ضحيّة ظُلْم باطل، وأنّ أصْل هذا الظلم الذي وجّه إليـــــــــه هو مراودتها إياه عن نفسه، وما برزَ في تعريضه من شيوع الأدب من نفسه - υ - مع ما فيه من حياء عزيز مصر؛ لأنه لمْ يفْضح مكيدة زوجته، مُراعاة؛ لأنه رباه صغيرًا، وأفاض عليه من نعمه الكثيرة، ومراعاة للأدب مع المولى – عزّ وجل – لأنه بشّره بالرؤيا التي سيكون بها نبيًّا، والحِوار الذي جرى بينهما كان شفاءًا لغلّته من عزيز مصر وزوجه، غير أنه لمْ يصرّحْ به فاختار التعريض مُراعاة للذّوْق العام .

وقد ورد التعريض في حِوار نبينا محمد - ρ - في جملة ما أمر بتبليغه ردًّا على المنافقين الذين تخلفوا في غزوة تبوك إذْ قال چ چ چ چ چ چ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ چ [التوبة : 81] .

التعريض هنا في قوله چ ڈ ژ ژ ڑ چ ، فما هو معروف أنّ جهنّم شديدة عسيرة على الكافر والعاصي، وهو معْلومٌ للمؤمنين الذين ساروا مع الرسول في الغزوة .

فيرى الزمخشري أن قوله " چ چ ڈ ژ ژ ڑ چ استجهال لهم؛ لأنّ من تصوّن من مشقة ساعة، فوقعَ بسبب ذلك التصوّن في مشقة الأبد، كان أجْهل من كلّ جاهلٍ " [3] . ولكن الغرض التعريضي " هو التعريض بهؤلاء المتخلفين عن القتال

1 - اللباب في علوم الكتاب 10 / 288 .
2 - الكشاف 2 / 452 .
3 - الكشاف 2 / 282.

المعتذرين بشدّة الحرّ، بأنهم سَيَردُون جهنّم، ويجِدون حرّهـــــــــــــا الذي لا يوصف " [1] .

وبهذا أثارَ التعريض في قُلُوب المتخلفين عن السّيْر في المعرفة الرّعْب والخوْف منْ هوْل نار جهنّم، الذي لا يضاهيه حرّ الدنيا بأسرها، فوقع الترهيب في القلوب بما يحقّق الغرض قوّةً وبيانًا .

1 - البيان في ضوء أساليب القرآن ص: 276 .

الفصل الخامس : ذاتية الحسْن البديعي المعنوي :

البديع هو تحسينٌ للمعنى ووقْفٌ عليه، والبديع في اللغة مأخوذٌ من " بَدَعَ الشيء يبدَعُه بدْعًا وابْتدعَهُ أنْشَأهُ والبديعُ والبِدْعُ : الشيءُ الذي يكُـــــــــــــونُ أوّلاً " [1] والبديعُ " المحْدث العجِيبُ، والبديعُ من أسماء الله – تعالى – لإبداعه الأشياء وإحداثه إياهَا " [2]، فالبديع هو الجديد، وهو ضدّ القديم، واختراع الشيء وصنَعه جديدًا على غير مثال سابق .

1 - لسان العرب، مادة (ب . د . ع) 8 / 6 .
2 - شروح التلخيص، ط1، 2 / 423 .

وقدْ وقعَ لفظ البديع في التنزيل الحكيم في قوله تعالىچ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گگ گ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ چ [الأحقاف : 9] .

الخطاب مُوجّه إلى رسول الخلق أجمعين - ρ - بأنه ليس أوّل رسول بعثه الله إلى أهل الأرض؛ بلْ سبقه رسلٌ كثيرون، وأنه آخر الأنبياء– عليهم أفضل الصلاة وأزْكى السلام - .

والبديع في اصطلاح البلاغيين هو عِلْمٌ يعرف به وجُوه تحْسين الكلام، بعْد رعاية المطابقة ووضُوح الدلالة [1] .

وقدْ شاع هذا النوع البلاغي في الأدب العربي، فقد ألّف الخليفـــــــــــة العباسي ابن المعتز [2] كتابًا سمّاه البديع .

وكان الجاحظ من أوائل من اعتنى بعلم البديع، حيثُ كان مما جاء في ردّه على الشعوبية قوله " والبديع مقْصورٌ على العرب، ومن أجله فاقتْ لغتهم كلّ لغة، وأربتْ على كلّ لسان " [3] .

إنّ تحسين المعنى راجعٌ إلى المعنى أوّلاً وبالذات، أي أنّ حُسْن المعنى مقصُودٌ أوّلاً، وقدْ يتْبعْه حُسْن اللفظ " ويعرف هذا النوع من الآخر بأنه لوْ غيّرَ اللفظ بما يرادفه لبقي المُحسّن كما كان قبْل التغيير " [4] .

وبلغتْ المحسّنات المعنوية ذِرْوتها في حِوار الأنبياء أقوامهم، وزيّنَتْ المعنى في جمال تركيبي يكون في حُسْن معناه مع جوْدة لفْظه .

المبحث الأول : البنية التقابلية :

إن هذه البنية تستمد تشكيلها الرئيس منْ بنْية التقابل التي تعتمد في الأصْل على تقابل طرفيْن بطرفيْن آخريْن .

---

1 - ينظر الإيضاح 6 / 4، وينظر: المطول ص: 640، وينظر: التبيان ص: 421 .
2 - أبو العباس عبد الله بن المعتز المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، كان أديبًا بليغًا شاعرًا، مطبوعًا، مقْتدرًا على الشعر قريب المأخذ، سهْل اللفظ، جيد القريحة، حسن الإبداع للمعاني، من تصانيفه : كتاب البديع، وطبقات الشعراء، توفي سنة (296 ه) . ينظر : فوات الوفيات والذيل عليها، محمد بن شاكر الكتبي، تح: إحسان عباس، (د، ط) ، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (د ، ت)، رقم الترجمة (239)، 2/ 239 ... ومابعدها .
3 - البيان والتبيين، الجاحظ ، تح : عبد السلام هارون، (د ، ط)، دار الجيل، بيروت، (د ، ت)، 1/ 51 .
4 - البديع في ضوء أساليب القرآن ، عبد الفتاح لاشين ص: 23 .

والمقابلة في اللغة :" المواجهة، والتقابل مثْله، وهو قِبالُكَ، وقُبَالَتُكَ أي : تُجَاهك " [1] وفي اصطلاح البلاغيين : " المقابلة وحاصلها مقابلة اللفظ بمثله، ثم هي تأتي على وجهين: أحدهما مقابلة المفرد بالمفرد، وثانيها مقابلة الجملة بالجملة " [2]، أي في مقابلة الشيء لآخر يخالفه معنى وهكذَا.

فالمناسبة جليّة بين المعنى اللغوي للمقابلة والمعنى الاصطلاحي في أنهما يلتقيان في تحقيق المواجهة بين معانٍ وأُخر لهما صِلة قويّة بأصْل ما أنشئ له الكلام من أغراضه .

وقد جاءت المقابلة في خِطاب الرسل أقْوامهم، ومن ذلك ما جاء في حِوار النبي – عليه الصلاة والسلام – المشركين الذين حاورُوا الرسول - ρ - قائليـــــــــــــن چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ [الإسراء: 49] .

جاء الرّدّ چ پ پ پ ڀ ڀ ڀ چ [الإسراء : 50] . فقد قابلَ - ρ - العِظَام والرّفات البالية بالحجارة والحديد الصّلب .

وسرّ هذا التقابل في " أن وهن الجسم مُساوٍ لصلابته بالنسبة إلى قدرة الله على تكييفه كيف يشاء " [3]، وكـــــــــــان جواب رسول الخلْق المأمور به من عند الله – سبحانه وتعالى – بيانًا لضعف حجتهم الباطلة التي تتساءل : إذا أصبحوا تُرابًا فكيف يحيون مرّة أخرى ؟ فأجيبوا بالحجارة والحديد " إذْ هما أشدّ امتناعًا من العظام والرّفات " [4] ، ومع ذلك هي لا تعْجز القدرة المطلّقة عند الخالق – جلّ جلاله - .

ولاستبعاد المشركين عوْدة أنفسهم إلى الحياة بعد الموت لمْ يتفكّروا في عظْم الأمور منْ حوْلهم، وأنّ الله قادرٌ على فعْل كلّ شيء، فلفتهم رسولهم – عليه الصلاة والسلام – " بأنها لوْ كانتْ منْ أقْوى الأجْسام لأعيدتْ لها الحياة [5] .

ونتجَ من تلْك المقابلة ظُهور قوّة – الخالق وحده لا شريك له – إذْ عبّر في مقابلة معانيهم المستبعدة للبعْث بالحجارة والحديد؛ لصرامة الحديد والحجارة في القوّة وما فيه من الدلالة على عظمة الخالق وسُلْطان القوّة .

---

1 - لسان العرب (ق . ب . ل) 11 / 534 .
2 - الطراز، للعلوي 3 / 200 (المكتبة الشاملة)، الإصدار (3 .28) .
3 - التحرير والتنوير م . 7 . ج 15 / 124 .
4 - تفسير ابن كثير 2 / 378 .
5 - ينظر : التحرير والتنوير . م 7 . ج 15 / 125 .

ووردتْ بنية التقابل في قوله – تعالى – فيمـــــــــــــــا أمر به سيّد الخلْق أجمعيـــــن  [الشورى : 15] .

وقعتْ المقابلة بين اثْنين باثنين، فالأطراف المتقابلة في هذا الحِوار هي :

[لنا أعمالنا] من ناحية، [ولكم أعمالكم] من ناحية أخرى، وهي تكون نسَقَيْن متقابليْن بحيثُ يشمل كلّ نسقٍ منها طرفين هما :

النسق الأول : 1 – لنا 2 – أعمالنا

النسق الثاني : 3 – لكم 4 – أعمالكم .

إنّ العلاقة بين النسقين الأوّل والثاني هي علاقة التـــــــــقابل .

وفي ذلك " دعْوة إنصاف، أي أنّ الله يجازي كلاًّ بعمله ... وهذا تعْريضٌ بأنّ الجدَال معهم ليْسَ بذِي جدْوى " (1)، فأفادتْ المقابلة قطْع الحِوار معهم، أيْ أنّ كلّ فريق له أعماله التي سيحاسب عنها، سواء أكانتْ خيرًا أمْ شرًّا، وأنّي سأتْرك حِواري معكـــــــم؛ لأنه ليسَ وراءه طائلٌ، فعقُولهم وقُلُوبهم مقْفلة عنْ ذكْر الله – سبحانه وتعالى – فخاطبهم بلغة الإنْصاف التي تقْضي المقاطعة وعدم التّدخّل .

المبحث الثاني : بنيتا الجمْع والتّقْسيم :

أوّلاً : بنية الجمْع :

تخْتصّ بِنْية الجمْع بتجْميع الأشياء المتناثرة، مع بعضها البعْض في قرْنٍ ملائم لمعناها، بحيْثُ يبدو التجميع منْ خلال وُرُود عناصره التركيبيّة في السياق .

فالجمع في عرف اللغة " أنْ تجمع شيئًا إلى شيء " (2) .

أما في اصطلاح البلاغيين فعرفوه تعريفًا واحدًا هو " أنْ يجْمع بين متعدّد- اثنين أو أكْثر - في حُكْم واحدٍ، مظْهرًا كانَ أوْ مضْمرًا " (3) .

والعلاقة واضحة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصْطلاحي، وهي أنْ يجْمع بيْنَ شيئين أوْ أكْثر تحْت معنى أوْ حُكْم واحدٍ .

---

1 - التحرير والتنوير . م 12 . ج 25 / 63 .
2 - لسان العرب (ج . م . ع) 8 / 53 .
3 - الإيضاح 6 / 45 .

وقدْ جاء الجمْع في حِوار الأنبياء أقْوامهم في قول سيدنا إبراهيـــــــم - υ - چ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې چ [الشعراء : 75 – 77] .

فقد جمع إبراهيم- υ - عبادة قوْمه بمثابة العدوّ له، فهو يُبغضْها ولا يرى فيه خيْرًا .

وإلقاء إبراهيم- υ - "هذا السؤال ليكونوا المبتدئين بشرْح حقيقة عبادتهم ومعبوداتهم ... لأنّ الذي يتصدّى لشرْح الباطل يشْعر بما فيه منْ بطْلان عنْد نظْم معانيه أكثر مما يشْعر بذلك منْ سمعه ... ولأنه يعْلم أنّ جوابهم ينشأ عنه ما يريده من الاحتجاج على فساد دينهم " [1] .

فسؤاله عن عبادة قوْمه وآبائهم تلُوحُ بأنها عدُوّة لإبراهيم - υ - وفي هذَا منْ ضرْب المثل لهم، حتى يعُوا معنى العُدْوانية التي هُمْ في جهالةٍ بها .

وقدْ جمع - ρ - بين أفعاله جميعها وحكم بأنها لله وحده – لاشريك له، وذلك فيما أمر بتبليغه چ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ..ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې چ [الأنعام : 162 – 163] .

" جعلَ صلاته لله دون غيره تعْريضًا بالمشركين، إذْ كانوا يسجدون للأصنام ولذلك أرْدف بجملة لا شريك له " [2]، وأراد - ρ - بنسكه عبادته الخالصة لله وحده لا شريك له، وبهذَا جمعَ أخباره كلها وأفعاله جميعًا وهي صلاته وعبادته، ومحياه، ومماته، وجعلها كلها لربه، ومن نعمه – عزّ وجلّ – عليه .

وفي هذا تعريض للمشركين بأنّ عملهم وفعْلهم غير خالص لله – سبحانه وتعالى – وأنهم أشركوا معه غيره في الألوهية، وبذلك فإنه جديرٌ بأن يرد عليهم، ولا يقْبل منهم، وأنهم واهمون في فعْلهم الخاطئ .

ثانيًا : بنية التقسيم :

لاحظْنا سابقًا أنّ بنية الجمْع تقوم بتجميع الأشياء المتفرقة مع بعْضها، وهو على عكس التّقسيم؛ لأن بنية التقسيم تقوم بتقْسيم الشيء إلى قوالب أجزائه .

---

1 - التحرير والتنوير . م 9 . ج 19 / 138 .
2 - تفسير ابن كثير 1 / 77 .

والتقسيم لغة " التفريق " [1]، وفي اصطلاح علماء البلاغة " ذكْر متعدّد ثمّ إضافة ما لكلّ على التعيين " [2] .

وكان لحوار الأنبياء أقوامهم في القرآن الكريم نصيبٌ وافرٌ من التقسيم، وقدْ وجدْتُ التقسيم يأتي في حِوار الأنبياء على بنْيتيْن :

البنية الأولى : استيفاء جميع أقسام الشيء بالذكر :

وفيه ينقسم المعنى إلى اثنين لا ثالث لهما، أو إلى ثلاثة لا رابع لهما ... وهكذا حتى يعم أقسام الشيء .

وقد وردَ بهذه البنية في حِوار الأنبياء أقْوامهم، ومن تقسيم المعنى إلى اثنين قول هود - υ - لقومه چ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ چ [الأعراف : 68] .

ومن تقسيم المعنى إلى ثلاثة لا رابع لها قول نوح - υ - في التعريف بنفسه لقومه چ ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ چ[الأعراف: 62] .

حصر النبيان – نوح – وهود – مهمتهما إلى أقوامهما، كلّ على حسب مهمته في بعثته من الله – سبحانه وتعالى- فهود - υ - قسّم مهمته قِسمين : تبليغ رسالة ربه إليهم، المتمثلة في عبادة الله – وحده لا شريك له، والنصح والموعظة لهم، وتنبيههم إلى أنهم سائرون في طريق الجهالة والظلم . وأخبر هود - υ - عن نفسه بأنه أمين، وبهذا امتزج النّصْح بالأمانة ليؤدي غايته خالصًا من كلّ شائبة، لكنّ نوحًا - υ - حصرَ مهمته في ثلاثة أشياء هي (التبليغ عن ربه، والنصح لقومه، وأضافَ أخرى لمْ يضفْها هود - υ - وهي أنّ علمه من الله – سبحانه وتعالى – يفُوقُ علْم قومه) .

ومن المحتمل أنّ إضافة العِلْم إليه أبْرزهَا لقومه بسبب بقائه سنواتٍ طويلة في جِدال قوْمه وحِوارهم، وفي جميع الأوقات ليلاً ونهارًا، سرًّا وعلانيةً ... فقد مكثَ فيهم كما صرّحَ القرآن، وكما فسّر معظم المفسرين ألف سنة .

وبهذا استوفيا – عليهما السلام – المهمة التي كلّفهما الله بها، وفي هذا بيان لوظيفة الرسول وحاله - υ - فيها، أي أبلغكم التكاليف التي أرسلتْ بها، و الحال إنني أنا لكم ناصحٌ فيما أبلغكم إياه، وأدعوكم إليه ... وأمين على ما أقول فيه عن الله تعالى، فإنني لا أكذب عليكم فكيف أكذب على ربي – عز وجل – وهذا أقْوى من قول نوح :

---

1 - لسان العرب (ق . س . م) 12 / 478 .
2 - الإيضاح 6 / 47 .

وأنصح لكم، فإنه يحتج عليهم بأنّ النصح وصْفٌ قائمٌ به ثابت له عندهم، لما يعهدون من سيرته معهم، وكذلك الصدق والأمانة؛ لأنهم رموه بالكذب والسفاهة، وقوم نوح إنما رموه بالضلالة [1] . والفرْقُ بيّن بينهما فيما أخبرَا به، ويتمثّل في أنّ هودًا قال : وأنا لكم [ناصحٌ] باسم الفاعل، ونوح قال [وأنصحُ] الدّالة على التجدّد؛ وذلك لأن الفعل دائمًا يدل على التجدد، بينما يدل الاسم على الثبوت ، ونظرًا إلى أن نوحًا - υ - كان يلح على قومه ليلاً ونهارًا، وإعْلانًا وسرًّا، لذلك جاء الحق بالفعل : [أنْصح لكم]، ليفيد التجدد، ولكن في حالة قوم هود جاء – سبحانه – بما يفيد الثبوت، وهو قوله : [ناصح أمين]؛ لأن هودًا - υ - لمْ يلح ويكرّر على قومه في دعوتهم إلى الإيمان كما كان يفْعل نوح- υ - [2] كما أخبر عنه ربه بقوله چ ئے ئۇ ئۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ چ [نوح : 5] . وقوْل هود مُنْقطع لأنّه؛ لأنّه لمْ يعِشْ فيهم ما عاشَ نوح ... وصيغة الفعْل تدلّ على التجدّد ساعة فساعة بخلاف صيغة اسم الفاعل الدّالة على الحال والثبوت فقط ، وبهذا اسْتوْفى التّقسيم مهمتهما التي كُلّفَا بها من المولى – عزّ وجلّ - .

ومن التقسيم الذي اسْتوْفى المعنى ما وردَ في حِواره - ρ - في جملة ما أمر بتبليغه چ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ چ [آل عمران : 64] .

يُخبر- ρ - في هذَا الحِوار قومه بأسس الاعتدال، ويدْعوهم إلى " تخصيص الله بالعبادة، ونبذ عقيدة إشْراك غيره في الإلهية، والمراد بأهل الكتاب هُنا النصارى؛ لأنهم هم الذين اتخذوا المخْلوق ربًّا وعبدوا مع الله " [3]، وفيه تقسيم المعنى إلى ثلاث : عبادة الله وحده – عدم إشراك إله آخر معه – النهي عن اتخاذ بعضهم بعْضًا أرْبابًا منْ دون الله .

أتى - ρ - في حِواره بجميع ما يريده منهم في وقت دعوتهم، وبهذا استوفى جميع أقسام المعنى بذكْر جميع الوجوه المحتملة؛ حتى ينجو من الضلالة التي سقطوا فيها، ويسيروا في الطريق الحق، وهو اتباع دين محمد - ρ -

البنية الثانية للتقسيم : ذكْر أحْوال الشيء مُضافًا إلى كلّ حالةٍ ما يناسبها :

---

1 - ينظر : تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، محمد رشيد رضا ، (د ، ط) ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1414 ه / 1993 م، 8/ 497 .
2 - ينظر : تفسير الشعراوي ، (د ، ط)، أخبار اليوم، قطاع الثقافة، (د، ت)، 7/ 4210 .
3 - التحرير والتنوير . م 3 . ج 3 / 268 .

وقدْ وردَ هذا في حِوار هود - υ - لقومه چ ئې ئى ئى ئد ى . ي ي
 چ [الشعراء: 132– 134] .

أضافَ - υ - الإمداد بالأنعام والبنين والجنّات والعيون إلى الله – تعالى – وأيْقظهم عنْ سُنّة غفلتهم عنها، ثمّ عدّدها عليهم، وعرّفهم المُنْعم بتعْديد ما يعْلمون من نعمته .

وفي بيان كلّ حالةٍ بما يلائمها دليلٌ على قدرة الله – سبحانه وتعالى – في إمدادهم بالنعم الحسيّة والمعنوية، وأعادَ الفعْل [أمدّكم] مرّتيْن، وفي ذلك ما فيه من زيادة التفصيل للنعم المحيطة بهم، وما فيه من العِقـــــــــــاب الذي سيُحيطُ بمن أشْرك بربه شيئًا .

وفي بيان إبراهيم - υ - لِنعم الله عليه، وإبرازها لقوْمه وأبيه جاءَ التقسيم، وأضاف كلّ قسْم إلى الحالة الملائمة له چ ٻ ٻ د د . ئا ئه ئه ئو . ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ . ئۈ ئې ئې ئې چ [الشعراء : 78 – 81] .

فقد أضاف - υ - كلّ حالٍ إلى ما يلائمها، فأضاف إلى الخلْق الهِداية، وإلى الإطعام الإسقاء، وأضاف إلى المرض الشفاء، وإلى الإماتة الإحياء؛ لأن منْ خلق فهو قادرٌ على فعْل كل شيء يتْبع الخلْق من إطْعامٍ وإسْقاء، وإماتة وإحياء، جاء ذلك في " الرّد على زعمهم أنّ الأصنام تقدّر لهم تيْسير ما يأكلون وما يشربون، وبها برؤهم إذا مرضوا " [1] ، فأوردَ لهم إبراهيم - υ - نِعم الله في صورهم مُطّلعون عليها، وهي محسوسة أمام أعينهم، وقسّم وأضاف كلّ حالةٍ إلى ما يلائمها من المعنى .

المبحث الثالث : بنية اللّف والنشر :

اللّف في اللغة أُخِذ من الجذْر الثلاثي (ل . ف . ف)، وتقاربتْ معانيه اللغوية، وتنُصّ في مجموعها على " لفّ الشيء يلفه لفًّا : جَمَعه، وقدْ الْتفّ ... وجاء القوْم بلفهم ولفتهم، ولفيفهم، أي بجماعتهم وأخلاطهم ... " [2] .

وهذا يعني أنّ المعنى اللغوي للّف هو أنْ يقع على الشيئين، فإذا لففتهما إلى بعضها بعْضًا، جَعلْتَ بينهما اجْتماعًا، وضمًّا، ويقع على الشيء الواحد أيْضًا في تجميعه على نفسه .

1 - التحرير والتنوير . م 9 . ج 19 / 143 .
2 - لسان العرب (ل . ف . ف)، 9 / 318 .

والنشر أُخِذَ من الجذْر الثلاثي (ن . ش . ر) " ونشرْتُ الثّوْب والكتاب نشْرًا : بسَطْته " (1) .

وهذا يعني أنّ النشر هو بسْط الشيء ونشْره، فيجْتمع اللّف مع النّشر في المعنى اللغوي، وهو أنّ اللف هو الجمْع بين شيئين عن طريق الاجتماع، وأنّ النّشْر هو بسْط الشيء المجتمع وتفريقه .

أمّا مفهوم اللف والنشر في اصطلاح البلاغيين، فلا يكاد يخرج عن المفهوم اللغوي وهو "عبارة عن ذكر الشيئين على جهة الاجتماع مطلقين عن التقييد، ثم يوفى بما يليق بكل واحد منهما اتّكالاً على أن السامع لوضوح الحال يرد إلى كل واحد منهما ما يليق به " (2) .

" والطّي والنشر هو اللّف والنشْر، وقدْ سمّاه بذلك الحموي في خزانة الأدب "(3) بمعنى أنْ يذكر المتكلّم شيئين فأكثر، ثمّ ما لكلّ مُفَصّلاً في كلامه، فيرْجع المُخاطب كلّ واحدٍ مما ذُكِر إلى مناسبه، أوْ يجْمل فيأتي بلفْظٍ واحدٍ يعُمّ المتعدّد كلّه، فيتدخل العقْل في ردّ كلّ شيء إلى ما يلائمه، منْ غير حاجةٍ إلى أنْ ينصّ المتكلم ما لكلّ .

وقد تكون دلالات اللف والنشر متعدّدة بمعنى أنْ يأتي النشر على ترتيب اللف . فيكون الأوّل من المتعدد في النشر يكون للأول من المتعدد في اللف، والثاني للثاني، والثالث للثالث ... وهكذَا .

وقد ورد هذا الضرب في حواره - ρ - في جملة ما أمر بتبليغه ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [سبأ : 24] .

اشتمل سياق الآية الكريمة " على إيماء إلى ترجيح أحد الجانبين في أحد الاحتمالين بطريق مقابلة الجانبيْن في ترتيب الحالتين باللف والنشر المرتّب، وهو أصْل اللف، فإنه ذكر ضمير جانب المتكلم وجماعته، وجانب المُخاطبين، ثمّ ذكرَ حال الهدى، وحال الضلال على ترتيب ذِكْر الجانبيْن، فأومأ إلى أنّ الأولين مُوجّهون إلى الهُدى، والآخرين موجّهون إلى الضلال المبين " (4) .

---

1 - كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي 6 /251 ، ترتيب ومراجعة داود سلوم، داود سلمان العنبكي،إنعام داود سلوم، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط 1، 2004 م .

2 - الطراز 2 / 112، العلوي، (المكتبة الشاملة)، الإصدار (28 . 3) .

3 - ينظر : خزانة الأدب وغاية الأرب ، الحموي1 / 149، تح : عصام شعيتو، ط 1، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1 ، 1987م، 1/ 149، (المكتبة الشاملة) .

4 - التحرير والتنوير . م 11 . ج 22 / 192 .

وبهذا فقد جمعَ نفسه - ρ - مع منْ آمن به، وكذلك منْ أشْرك بالله " ثمّ ذكرَ حال الهدى وحال الضلال على ترتيب ذكْر الجانبيْن " [1] ، فأشار إلى أنّ القسْم الأوّل – أي هو نفسه ومنْ تبعه – في أنهم منساقون نحو الهُدى، والقسْم الآخر – وهم المخاطبون الكفار – في أنهم مُنْساقون نحو الضلالة، واسْتخدم مع صِنْف المؤمنين حرف [على] الدّال على الاستعلاء، ومع صِنْف المشركين حرْف [في] الدّال على الغرق في الضلال .

وجمعَ – عليه الصّلاة والسّلام – بين المؤمنين والكافرين، ثمّ ذكر الهداية والضلالة على الترتيب، فتوجّه العقْل إلى هداية المؤمن، وضلال الكافر، وفي هذه الصورة الملفوفة بيان أنّ كلّ عاملٍ سيُلاقي عمله إنْ خيرًا فخير، وإنْ شرًّا فشر .

المبحث الرابع : الأسلوب الحكيم :

الأسلوب الحكيم من فنون البديع المعنوي، وعرفه الطيبي[2] بأنه " تلقي المُخاطب بغير ما يترقّب تنبيهًا له على أنه أوْلى بالقصد " [1] . أي أن السامع

---

1 - السابق .

2- الحسن بن محمد شرف الدين الطيبي، له من التصانيف : فتح الغيب في الكشف عن قناع الريب والتبيان، ومشكاة المصابيح، توفي سنة 743 ه) . ينظر : طبقات المفسرين للداوودي ، رقم الترجمة(141)، 1/ 146

يصرف مخاطبه عن الشيء المسؤول ببيان شيء آخر يؤول به إليه، إشعارًا منه بأن ما أخبره به هو الأهمّ والأولى للسؤال عنه .

وقد أطلق البلاغيون المتأخرون على الأسلوب الحكيم مصطلح (القوْل بالموجب) وعلى رأسهم (ابن أبي الإصبع المصري) [2]، وفيه قال : " أنْ يخاطب المتكلم فينبني عليها من لفظه ما يوجب عكْس معنى المتكلم، وذلك عيْن القول بالموجب، لأن حقيقته ردّ الخصم كلاَم خصمه من فحْوى لفظه " [3] .

والعرب استخدموا هذا الأسلوب لأغراضٍ قد تكون تخلصًا من إحْراج السائل، أو تقديم ما هو أهم ... الخ .

وقدْ ورد هذا الفن البديعي في نثر العرب وشعرهم، وفي القرآن الكريم، وكانَ له نصيبٌ في حِوار الأنبياء أقْوامهم، وقدْ جاءَ على ضرْبين : الأول : أن يقع صفة في كلام الغَيْرِ كِنايةً عنِ شيء أثْبت له حكْمًا فتُثْبت في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشيء " [4]، فإثبات الكلام في هذا الضرب يأتي دون تعرّض لثبوت الحُكْم المقصود أو انتقائه .

وقد استعمله صالح - υ - في حِواره قومـــــــــــــــــــــــه چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ چ [النمل: 46] " أي لِمَ تبْقون على التكذيب منتظرين حلول العذاب، وكان الأجدر بكم أنْ تبادروا بالتصديق منتظرين عدم حلول العذاب بالمرّة، وعلى كِلاَ الوجهين فجواب صالح إياهم جارٍ على الأسلوب الحكيم " [5] .

وكنى - υ - بالسيئة عن العذاب، وبالحسنة عن الثواب، وأثْبت للحسنة الثواب من الله – سبحانه وتعالى – منْ غير تعرّض لثبوت حُكْم الثّواب من الله لِمن آمن وتبِع صالحًا - υ - وهُم الموصفون بصفة الرحمة من الله، لا إثْباتًا لهم، ولاَ نفْيًا عنهم .

وقدْ كنى - ρ - عن الوعد الذي أخبر به قومه چ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې چ [النمل: 71 – 72] .

---

1 - التبيان في البيان ص 430 .
2 - عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني البغدادي ثم المصري، شاعر من العلماء بالأدب، مولده ووفاته بمصر له تصانيف منها : بديع القرآن، وتحرير التحبير) ينظر : فوات الوفيات 1 / 294 رقم الترجمة (290) .
3 - بديع القرآن، أبي الإصبع المصري، تح : حفني محمد شرف، (د ، ط)، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص : 314 .
4 - الإيضاح 6 / 86 .
5 - التحرير والتنوير . م 9 . ج 19 / 280 .

فجواب نبينا محمد - ρ - جارٍ على الأسلوب الحكيم بحمْل اسْتفْهامهم على حقيقة الاستفهام، لكنّ الجواب جاءَ عن شيء آخر؛ تنبيهًا على أنّ حقّهم أن يسألوا عن وقْت الوعيد ليتقدّموه بالإيمان [1] .

فكنى (بردفَ) عن القرب، وجاء قبله بفعْل الترجّي (عسى)، أي " رجاء أنْ يكون ذلك قريب الزمن " [2]، فأثبت – عليه الصلاة والسلام – بقرب زمان ما يطلبونه بـــــ (ردِفَ) راجيًا ذلك، من غير تعرّض لثبوت حُكم الإخراج للموصوفين بصفـــــــة (القُرْب) ولا نفي القُرْب عنه، فَحَمَلَ رسول الخلْق أجمعين السؤال على خِلاف مُراد قوْمه .

ومما أمر بتبليغه – عليه الصلاة والسلام – قوله في جواب سؤال كفار مكة له چ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ . ۇ ۇ . ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ چ [الصافات : 16 – 18] .

قال ابن عاشور " كان قوله [قُلْ نَعمْ] جوابًا لقولهم [أئذَا متنا] على طريقة الأسلوب الحكيم، بصرْف قصْدهم من الاستفهام إلى ظاهر الاستفهام ..." [3] .

وكنى عن بعثهم الذليل يوم القيامة بـــــ[دَاخرون] وأثبت - ρ- كلامه بـــ [نعَمْ] المفيدة تأكيد جوابه؛ لثبوت حُكْم البعْث لكفار مكّة بصفة الدّاخر وهو " الصاغر الذليل، أي تبعثون بعد إهانة مؤذنة بترقّب العِقاب لا بعْث كرامة ... " [4] .

الضرب الثاني من أسلوب الحكيم أو القول بالموجب " حمْل رفْض وقعَ في كلام الغير على خِلاف مراده مما يحتمله بذِكْر متعلقه " [5] ، وذلك إشْعارًا بأنّ هذَا هو القصْد من المعنى .

وقدْ وردَ منه في حِوار نوح - υ - فقد قال لقومه چ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا چ [هود : 27] ، كان من ردّه عليهم چ ج ج ح ح ج ج چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ چ [هود : 31] ، حيْثُ أجاب - υ - سؤال قومه بأنه لا يتفضل عليهم في شيء، فهو بشرٌ مثلهـــــــــــــم، فردّ " بالقـــــــــول بالموجب أنه لمْ يدّع فضْلاً غير الوحي إليـــــــــه كمـــــــــــــا حكى الله عن أنبيائـــــــــه في

1 - ينظر: السابق . م 10 . ج 20 / 27 .
2 - التحرير والتنوير م . 10 . ج 20 / 27 .
3 - السابق . م 11 . ج 23 / 99 .
4 - السابق .
5 - الإيضاح 6 / 86 .

قولــه ﭼ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭼ [إبراهيم : 11] " (1) .

فقوم نوح - υ - يروْن بأنّ منْ يكون مثْلهم لا يفضّل عليهم وبالتالي لا يكون رسولاً، فصرَفهُم إلى معنى آخر يقبلونه بأنه ينزل عليه الوحي من الله ... وعبّر بقوله ﭼ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ، فجاءَ جوابه - υ - ممتزجًا بثقة النفس، وفي نفْي الصفات عنه – كثرة الأموال – علْم الغيْب، السيادة والمُلك – بأنّ تلْك الصفات وغيرها لا تضْمن بقاءه فيهم نبيًّا مُكلّفًا منْ عند الله – سبحانه وتعالى - ، فنزّلَ نفْسه معهم بصفة البشريّة المختار من بينهم بنزول الوحي السّماوي عليه .

وأجاب إبراهيم- υ - سؤال ﭼ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭼ [الأنبياء : 62] .

جاء سؤال قومه عنْ فاعل كسْر أصنامهم التي حطّمها، فصرفهم - υ - عن اتهامهم له خشية الوُقوع في الكذب، وأجابَ بأنّ كبير الأصنام هو منْ حطّم الصّغار، ونقلَ اتهامهم إلى النظر في أمْر كبير الأصنام، وهو أسلوبٌ حكيم استعمله - υ - حتى يقولوا في أنفسهم : لماذا حطّم ما هو أصْغر منه ؟، أوْ لماذا لمْ يدافعْ عمّا هو أصْغر منه إذا كان إبراهيم - υ - هو الفاعل ؟ فحملَ جوابه لهم بالتهكم والإزراء بأصنامهم العاجزة عنْ فعْل شيء، وقدْ سبقَ تفْصيل هذا في مبحث الاستدراج ومجارات الخَصْم (2) .

ومن القول بالموجب ما طلبه الله – تعالى – من نبيه محمد - ρ - أن يجيب به من سأله عن الأهلّة ما هي؟ ﭼ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ [البقرة : 189] .

فجاء السؤال متضمّنًا معنى حقيقة الآلهة، " فأجيبوا بأنّ الذي ينْفعكم وأهم لحالكم أنْ تعلموا منها أوْقات الطاعات " (3)، فـــ " كان المهم لهم أن يسألوه عما ينفعهم في صلاح دينهم وأخراهم، وهو معرفة كوْن الآهلّة ترتّبتْ عليه آجال المعاملات كالحج والصيام ... لم يجيء مبيّنًا لعلل اختلاف الأجرام السماوية، والسائلون ليس لهم منْ

---

1 - التحرير والتنوير . م 6 . ج 12 / 57 .
2 - ينظر : ص 31 ...
3 - التبيان في البيان ص 430 .

أصول معْرفة الهيئة ما يهيّئهم إلى فهْم ما أرادوا علمه بمُجرّد البيان اللّفْظي، بلْ ذلك يسْتدْعي تعليمهم مقدمات لذلك العلم " [1] .

فأمره المولى – عزّ وجلّ – أنْ يحمل كلامهم ويوجّهه إلى معنى آخر ببيان أنّ المهم في الأهلّة أنها وسائل للتوقيت في المعاملات بين الناس، وتوثيقًا للعبادات الدينية، بها تجتمع الشعوب في مناسباتهم الدينية، وفي هذَا صرْف سؤالهم إلى أنّ الأصْل أنْ يكون سؤالهم عنْ عظيم فائدة الأهلة لا عنْ حقيقتها، لأنّ حقيقتها حكْمة إلهية أعْجزتْ علماء الفلك والإرْصاد، ولا يتعلّق بها مصْلحة لهم .

وكذلك صرف موسى - υ - سؤال فرعون بإجابة سؤال الأصْل فيه أنْ يكون هو السؤال چ □ □ □ □ □ . ٱ ب ب ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ چ[طه : 51 – 52] .

سأل فرعون لماذا عبدتْ القرون الأولى الأصْنام ؟ وأنتَ الآن تدعو إلى عبادة ربك الواحد ؟ و " لِمَ عبدَ الأوّلون غيره وأشركوا بـــــــــــه من الكواكـــــــــــب والأنْداد ما قدْ علمت ؟ " [2]، فصرفَ سؤاله إلى أن عملهم معْلوم عند ربنا – سبحانه وتعالى – وأنّ " كلّ شيء فعلوه مستطر عليهم في الزبر " [3] .

وتمثّلَ الأسلوب الحكيم في [عِلْمها] ولمْ يقْصد فرعون ذلك، لكنه - υ - صرفَ كلامه إلى أنّ جميع الأشياء صغيرة وكبيرة، إنما هي تحت علْم الله – سبحانه وتعالى - ، إشْعارًا لفرْعوْن بأنه ما كانَ ينْبغي أنْ يتكلّم على ما فاتَ لقصوره عنْ عِلْم ذلك، وأنّ الأوْلى أنْ يعْني بالسؤال عن الأمْر المُفيد .

1 - التحرير والتنوير . م 2 . ج 2 / 195 .
2 - قصص الأنبياء ص: 267 .
3 - السابق .

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم برواية حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي، (مصحف المدينة النبوية)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة بإشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1430ه .

1– الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(د.ط)، دار مصر للطباعة، (د، ت)

2- آداب الحوار وقواعد الاختلاف،عمر بن عبدالله كامل، (د، ط)،(د، ت).(المكتبة الشاملة)، الإصدار (3. 28) .

3– أدب الحوار في الإسلام، محمد سيد طنطاوي،(د ، ط)، نهضة مصر للطباعة والنشر، 1997 م، 1999 م .

4 – أحكام القرآن، ابن عربي، راجع أصوله وخرّج أحاديثه وعلّقَ عليه:محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (د، ت) .

5 – أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، عبد العليم السيد فوده، (د ، ط)،المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية لنشر الرسائل الجامعية، (د، ت) .

6 – أصول الحوار وآدابه في الإسلام، (د،ط)، (د، ت)، (المكتبة الشاملة)، الإصدار (3 . 28) .

7– إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط4، 1414 ه / 1994 م .

8– الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412 ه/1992 م.

9– الأصول في النحو، ابن السراج النحوي، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1988 م .

10– الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، ط 10، 1992 م .

11 – الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، فهد خليل زايد، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط1، 1428 ه / 2008 م .

12 – أنوار التنزيل وأسرار التأويل المسمى (بتفسير البيضاوي)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1408 ه / 1988 م .

13 – أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي ، دار الفكر، بيروت، (د، ط)، (د، ت) ،(المكتبة الشاملة)، الإصدار (3 .28) .

14– إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط 1، 1406 ه / 1986 م .

15– الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث، ط 3، 1413 ه / 1993 م .

16- الايضاح في علوم البلاغة،الخطيب القزويني، دار إحياء العلوم،بيروت،(د، ط) ،(د، ت)، (المكتبة الشاملة).

17– البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، مراجعة: صدقي محمد جميل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د ، ط)، 1412 ه / 1992 م .

18 – البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 2، مكتبة التراث، (د ، ت) .

19 – البديع في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، (د ، ط)، دار الفكر العربي، 1464 ه / 2004 م .

20 – البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، تح: خليل المنصور جمعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418 ه/ 199 م

21 - البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط1، 1994 م .

22 – البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط 1، 1407 ه / 1987 م .

23 – الحيوان، الجاحظ ، تح: عبد السلام هارون، (د ، ط)، دار الجيل، بيروت، (د، ت) .

24 – البيان في ضوء أساليب القرآن الكريم، عبد الفتاح لا شين، (د ، ط)، دار الفكر العربي، 1464 ه / 2004 م .

25 – بديع القرآن، أبو الإصبع المصري، تح: حفني محمد شرف، (د ، ط)، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (د، ت) .

26 – بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي،

(د ، ط)، مكتبة الآداب، 1417 ه / 1997 م .

27 – بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د ، ط)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1419 ه / 1998 م .

28 – بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم، عبد الله محمد النقراط، دار قتيابة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1423 ه / 2002 م .

29 – التبيان في البيان، الطيبي، تح: عبد الستار حسين زموط، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1416 ه / 1996 م .

30 – التحرير والتنوير، ابن عاشور، (د ، ط)، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، (د ، ت) .

31 – التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1421 ه / 2000 م .

32 – التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، عبد العظيم المطعني، (د، ط) مكتبة وهبة، القاهرة، (د ، ت) .

33 - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1418،1 ه / 1998 م .

34- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنتر، ابن ابي الاصبع،(د، ط)، (د، ت)، (المكتبة الشاملة)، الإصدار (3. 28) .

35– تفسير النسفي المسمى (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ، ضبطه وخرّج آياته و أحاديثه: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط 1، 1415ه / 1995 م .

36 - تفسير اللباب في علوم الكتاب، الحنبلي، تح : عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1419 ه / 1998 م .

37 – تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، (د ، ط)، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، 1414 ه / 1993 م .

38 – تفسير الشعراوي، (د ، ط) ، أخبار اليوم، قطاع الثقافة،(د ، ت).

39 – التكرير بين المثير والتأثير، علي السيد، ط 1، 1398 ه / 1978 م، ط 2، 1407 ه / 1986 م .

40 – تلخيص البيان في مجاز القرآن، الشريف الرضي تح : علي محمود مقلّـــــــــد، (د ، ط) ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1986 م .

41 – تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2 1425 ه / 2004 م .

42 – تاريخ الطبري(تاريخ الرسل والملوك)،الطبري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم،ط5، دار المعارف، (د، ت) .

43 – تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، تح: محب الدين أبي سعيد عمر بن غلامة العمروي،(د، ط)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1415 ه / 1995 م .

44 – ثلاث رسائـــــــــل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي، وعبد القاهر الجرجاني، في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، تح: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف، ط 4، (د ، ت).

45 – تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي الحنفي، (د ، ط)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيـــــــــــع، (د ، ت) .

46 – تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تح: مجموعة من المحققين، (المكتبة الشاملة)، الإصدار (28 . 3) .

47 – الجدل في القرآن، حسن الشرقاوي، (د، ط)، منشأة المعارف بالإسكندرية، (د، ت).

48 – الجدول في إعراب القرآن وصرفه، وبيانه، مع فوائد نحوية هامة، محمود صافي، دار الرشيد، دمشق، بيروت، ط4، (د، ت).

49 – الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1408 ه / 1988 م .

50- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، تح: محمد التونجي، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر،بيروت، لبنان، ط1، 1420ه/ 1999م

51 – الحوار في القرآن، محمد حسين فضل الله، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع، ط 6، 1421 ه / 2001 م .

52 – الحوار لغة القرآن الكريم والسنة النبوية، إبراهيم أحمد الوقفي، دارالفكر العربي ط 1، 1414 ه / 1993 م .

53 – الخطاب النفسي في القرآن الكريم (دراسة دلالية أسلوبية) كريم حسين ناصح الخالدي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1428 ه / 2007 م .

54 – خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1413 ه / 1992 م .

55 – خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني)، محمد محمد أبو موسى، (د ، ط)، مكتبة وهبة، القاهرة، 1427 ه / 2006 م .

56 – خزانة الأدب وغاية الأرب، الحموي،(د ، ط)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2004 م .

57- خزانة الأدب وغاية الأرب، الحموي، تح: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1987 .

58 – دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 1413ه/1992 م .

59 – دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم (دراسة تحليلية)، منير محمود المسيري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1426 ه / 2005 م .

60 – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط4، 1405 ه / 1985 م .

61 -روائع الإعجاز في القصص القرآني (دراسة في خصائص الأسلوب القصصي المعجز)، محمود السيد حسن، المكتب الجامعي الحديث، جامعة الإسكندرية، ط 2، 2003 م .

62 – الزاهر في غريب ألفاظ الإمام الشافعي، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهر، تح: سميح أبو مغلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1419 ه / 1999 م .

63 – شروح التلخيص، ابن يعقوب المغربي ، وبالهامش كتاب الإيضاح للخطيب القزويني، وحاشية الدسوقي على شرح السعد، دار الإرشاد الإسلامي، ط1، (د، ت)

64 –كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، أبو هلال العسكري، تح : علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط 2، (د ، ت).

65 – صفوة التفاسير (تفسير للقرآن الكريم جامع بين المأثور والمعقول مستمد من أوثق كتب التفسير)، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ط 9، (د ، ت) .

66 – الجامع الصحيح المختصر(صحيح البخاري) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة،(د، ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1420 ه / 1999 م .

67 – الجامع الصحيح المسمى (صحيح مسلم)، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418ه / 1998 م .

68 – الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي، (د، ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1400ه/ 1980م.

69 – طبقات الشافعية، السبكي، تح: مصطفى عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1420 ه / 1999 م .

70 – طبقات المفسرين، الداوودي، (د ، ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنـــــــــان، (د ، ت).

71 – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، (د ، ط) ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، (د ، ت).

72 - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيروانـــــــــــي ، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط5، 1401 ه / 1981 م .

73 –عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، السبكي، (تح: خليل إبراهيم خليـــــــــــــــل)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422 ه / 2001 م .

74– لعقد الفريد، ابن عبد ربه،(د، ط)، (د، ت)، (المكتبة الشاملة)، الإصدار (3. 28) .

75- فن الحوار (أصوله – آدابه – صفات المحاور)، أبو عبد الله فيصل بن عبدة قائد الحاشدي، تقديم: محمد بن اسماعيل العمراني، مقبل بن هادي الوادعي (د ، ط) ، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية ، (د ، ت) .

76– فنون الحوار والإقناع، محمد ديماس، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1420 ه / 1999 م .

77- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، تح: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط1 ،1413 ه / 1993 م .

78- في ضلال القرآن، سيد قطب إبراهيم، (د ، ط)، دار الشروق، القـــــــــــــاهرة، (د ، ت)، (المكتبة الشاملة)، الإصدار (3. 28) .

79- فوات الوفيات والذيل عليها، محمد بن شاكر الكتبي، تح: إحسان عبـــــــــــــــاس، (د ، ط) ، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (د . ت) .

80- القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ط2، 1405 ه / 1985 م .

81- القصة في القرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، (د ، ط) ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1997 م، 2001 م .

82- قصص الأنبياء، ابن كثير، تح: محمد أحمد عبد العزيز، دار الحديث بالقاهرة، ط8 ، 1419 ه / 1998 م .

83- الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1417 ه / 1997 م .

84- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، (د، ط) دار الكتاب العربي، بيروت، 1407 ه، (المكتبة الشاملة).

85 - كتاب التعريفات، الجرجاني علي بن محمد بن علي، حققه وقدّم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبياري، (د ، ط)، دار الريان للتراث، (د ، ت).

86 – كتاب الأمة (منهج السياق في فهم النص)، عبد الرحمن بودرع، العدد 11، ط1، 2006 م .

87 –الكتاب، سيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، (د ، ت) .

88 – كتاب الحيوان، الجاحظ، تح : عبد السلام هارون، (د ، ط)، دار الجيل، بيروت، 1416 ه / 1996 م .

89 – كتاب العين، الفراهيدي، ترتيب ومراجعة: داود سلوم، داود سلمان العنبكي، إنعام داود سلوم، بيروت، لبنان، ط1، 2004 م .

90 –ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط1، 1374 ه / 1955 م، 1412 ه/ 1992م

91 – لسان الميزان، ابن حجر العسقلانـــــي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1407 ه / 1987 م

92 – المطول (شرح تلخيص مفتاح العلوم)، التفتازاني، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422 ه / 2001 م .

93 – المبادئ التربوية والأسس النفسية في القصص القرآني، ساهر ذيب أبو شريخ، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، 1425 ه / 2005 م .

94– المباحث البلاغية في سورة البقرة (علم المعاني)، شواهد ونماذج، دراسة تطبيقية تحليلية، إبراهيم مفتاح إبحور، رسالة ماجستير بالجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية، إشراف : الأستاذ الدكتور : محمد مصطفى صوفية، 2007 م .

95- المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، تح:عبد الحميد بن داوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000 م .

96– المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تح : محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، (د ، ط) ، صيدا، بيروت، 1411 ه / 1990 م .

97– المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم، عبد الفتاح لاشين، (د ، ط) ، دار الفكر العربي، القاهرة، 1460 ه / 2000 م .

98– المعجزة الكبرى (القرآن)(نزوله – كتابته–جمعه– إعجازه – جدله– علومه – تفسيره – حكم الغناء به)، محمد أبو زهرة، (د ، ط) دار الفكر العربي، 1970 م،

99– معاني القرآن، الفراء، تح : محمد علي النجار،(د ، ط)، دار السرور، بيروت، لبنان ،(د ، ت) .

100 - مختصر تفسير ابن كثير، تح : محمد علي الصابوني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2 ، 1419 ه / 1999 م .

101– معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418 ه / 1997 م .

102 – معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تصنيف: الحموي ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1411ه / 1991 م .

103 – معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، دار ابن حزم، بيروت، ط4، 1418ه / 1997 م .

104 – معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، عفيف عبد الرحمن، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1417 ه / 1996 م .

105 – معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مكتبة لبنان، ط2، 1414 ه / 1993 م .

106 – معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، ط1، 1414ه/ 1993 م

107 – معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، بيروت، لبنان، ط1، 1420ه / 1999 م .

108 – من أساليب التعبير القرآني(دراسة لغوية وأسلوبية في ضوء النص القرآني) طالب محمد إسماعيل الزوبعي،(د ، ط)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د ، ت) .

109 – من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، (د ، ط)، نهضة مصر للطباعة والنشر، 200 م .

110 – من بلاغة النظم القرآني، بسيوني عبد الفتاح فيود، مطبعة الحسن الإسلامية، ط1، 1413ه / 1992 م .

111 – من جماليات التصوير في القرآن الكريم، محمد قطب عبد العال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1993 م، ط2، 2006 م،

112 – معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1408 ه / 1988 م .

113 – مفتاح العلوم، السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1403ه / 1983 م، ط2، 1407ه/ 1987 م .

114 – منهج الدعوة في القصة القرآنية، لأبي عبادة عمر صالح البطايحة،(د ، ط) دار الكتاب الثقافي، الأردن، أربد، (د ، ت) .

115 – النهاية في غريب الحديث والأثر(ابن الأثير)، (د ، ط)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1421 ه / 2000 م .

116 – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط2، 1424ه / 2002 م

117 – وسائل الدعوة، عبد الرحيم بن محمد المغزوي، دار اشبيليا للنشر والتوزيع، ط1، 1420 ه / 2000 م .

118 – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، (د ، ط)، دار صادر، بيروت، 1397ه / 1977 م .

الخاتمة :

يحتل الحِوار موقعًا مهمًّا في الدراسات اللغوية والأدبية، ذلك أنّ كثيرًا من الكتب اللغوية العربية لمْ تخصّصْ مجالات واسعة لهذا الموضوع، وقدْ حاولْتُ في هذا البحث بيان وجوه الحِوار القرآني، الذي اتخذه الأنبياء وسيلة لهداية أقوامهم، ذلك أنّ الخطاب في القرآن الكريم يقوم على رَكيزتين:

الأولى: الجانب النَّفسي، والثانية: الجانب العقلي .

فالقرآن الكريم يبشر بفكر جديد، وشريعة جديدة، لمْ تألفها الأقوام؛ بلْ اعتادوا على عادات، وتقاليد، وطقوس، وعبادات ورثوها عن آبائهم وأجدادهم، وهذَا ما لا يشوبه الشك في أنّ قبول الفكر الجديد يقْتضي إقْناعًا عقْليًّا وتأثيرًا قويًّا في نفس المخاطب، تمتلث خاتمة البحث والدراسة بالآتي:

1 - النظرة الشاملة والمتمثلة في النظرة العامة والجامعة لكلّ ما نصّتْ عليه البلاغة القرآنية في حِوار الأنبياء – عليهم السَّلام – أقْوامهم، وذلك بيّنٌ في التمهيد لهذه الرسالة، وفُصُولها المُعدّة فيها .

2 – الناحية المتخصصة في تركيز الدراسة على منْهج البحث وأسلوبه في التركيز على بلاغة القدر المعجز في حِوار الأنبياء – عليهم السلام – أقْوامهم .

3 – إن القرآن الكريم – وهو كتاب البشرية جمعاء – قدْ اجْتمعتْ له عناصر الإعْجاز، وتحقّقَتْ فيه شروط الإقْناع، وتمثّلتْ فيه جميع خصائص البيان الرائع التي بها تأثّر القلْب، وتحرّكتْ النفوس بقصْد حمْلها على الإذْعان للحقّ واتباع سبيله؛ لخصائص تميّزَ بها عنْ غيره من الكتب وهي:

أ – توافقه الفطري مع أسلوب الناس في الفكر والشعور .

ب – الاعتماد على المنهج الواضح، والذي يشبع العقْل والقلْب معًا .

ج – إشباع حاجات النفس البشرية، وتلبية لرغباتها بما يتلاءم مع الفطرة السليمة .

4 – إن البلاغة القرآنية هي سرّ الإعجاز، وهي الوسيلة التي يتحقق بها شرطي الإقناع والإمْتاع، فحرصَ القرآن الكريم ببلاغته العالمية على أنْ يلتقي بالنفس البشرية في جوانبها كلها، فخاطبَ العقْل وهزّ الوجدان، ولمْ يعتمد في إقْناعه بالوسائل البلاغية على الاستدلال العقلي المجرّد، وإنما أخذَ بالأسباب مُراعيًا ملكات النفس جميعها؛ ليقنع الأفراد على تباين أصنافهم، واختلاف مستوياتهم الثقافية والفكرية . وهذا قد بلغَ ذرْوته العليا من الفصاحة والبلاغة الأخاذة والتي تمثّلتْ في:

أ – جاء استدراج الأقوام ومجاراتهم خادمًا للغرض، مسْتدْرجًا قلوب الأقْوام نحو الدليل والحجّة والبرهان .

ب – إن المُحاجَجَة للخصْم من الفنون البليغة التي تخاطب البداهة، والحس بالاعتماد على طرائق التمثيل والتصوير عنْ أسلوبي الحوار والجدل .

ج – صيغة الأمر (اعبدوا) توالتْ على ألسنة معظم الأنبياء؛ إشارة إلى أن الله - سبحانه وتعالى – جعلَ العبادة منْ أعْظم ما يتقرّب به المرء إلى الله طمعًا في رحمته ونيْل رضاه.

د – خرج الاستفهام والسؤال في حوارهم – عليهم السلام – بأصْل وضْع دلالته اللغوية إلى معنى بلاغي أخاذ، وحملَ معاني كثيرة كالإنكار، والتقرير، والتشويق، والتوبيخ، والتقريع، وخرجَ إلى معنى التهكم سُخْرية بالقوم واستخْفافًا بعقولهم . ه- صيغة النهي التي لا زمتْ حوارهم – عليهم السلام – أقوامهم هي المضارع المقرون (بلاَ) الناهية الجازمة، التي كان فيها النهي داعيًا إلى ترْك فعْل لا يقْبله العقْل واتباع دعوتهم، وفي هذا إشعارٌ منهم بأنهم مرسلون إليهم لا إلى غيرهم .

و– أن أحوال المسند والمسند إليه التي تمثّلتْ في (العدول – التقديم والتأخير – الحذف – الذكر – الإيجاز والإطْناب) حقّقتْ معانٍ بلاغية جاءتْ بَارِزة من سياق الحِوار الموجّه إلى الأقوام، وفي هذا روعة وبيان للقدر المعْجز البالغ الذروة العُليا في حِوارهم من دقّة نظْمٍ ولُطْف معاً في الحوار .

ز – حققَ فنا الإيجاز والإطناب غرضًا بلاغيًّا تمثّلَ في تجسيد المعاني وصقْلها في نُفُوس الأقْوام، حتى يعود بالخير والفلاح على قلوب مسْتمعيه .

5 – حققَ البيان بلاغة قوية أخاذة في حوار الأنبياء – عليهم السلام – ومن ذلك:

أ – ورود تشبيهاتهم – عليهم السلام – بصورٍ بيانية، اتضحتْ منها الحقائق الظاهرة مصوّرةً الأمور حسيّة مرئية .

ب – البيان والإيضاح في وصْف الشيء مع المبالغة فيه؛ إفْحامًا لعقول الأقوام؛ لأنها مغلقة عن الطريق البينة .

ج – يوحي التشبيه بإخراج عقول الأقوام من الخفي إلى الجليّ، ويأتيها بما هو مشاهد من البيئة، حتى يكون له أثره في تحريك النفوس والعلْم بأسرار الكوْن وخالقه.

د – جاء حِوارهم – عليهم السلام – بصورة مكنية تتوارى وراء المعنى المقصود الحقيقي لأقوامهم، فقد نصّتْ على إطْلاق الألفاظ مع إرادة لزوم معناهاوسخّرتْ الكنايات في حِوارهم – عليهم السلام – الحقيقة مصحوبة بدليلها .

6 – أكسب البديع المعنوي في حوار الأنبياء حالةً من التزيين، بها تسر نفوس السامعين، وتَرقَّى حِوارهم أعْلى درجات التحسين والتزيين، وحسّنتْ المعنى وأضْفتْ عليه روْنقًا وبهاء، وبهذَا لم يقتصر المراد على المعنى؛ بلْ تعدّاه إلى اللفظ أيْضًا لأنهأكْسبَ الحِوارالأسْلوب جوْدة في الصّياغة، وتبيّنَ بأنه أعْلى درجات البلاغة والفصاحة؛ لأنه منزّل من عند الله – سبحانه وتعالى - وبعثَ المعنى في أحْسن صوره ومعانيه .

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	سورة البقرة	الصفحة
2	چ ٱ ب ٻ ٻ پ پ پ ڀ ڀ ٺ چ	9
30	چ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ چ	23
45	چ ڪ ک ک ۇ ۇ ۆ ۆ چ	107
47	چ ې ې ۉ ۉ ۋ ۋ ۅ ۅ چ	104
52-51	چ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ چ چ . چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ چ	104
54	ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ چ	104-87
71-67	چ ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ . ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۇ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ئى ی ی ی ی □ □ □ □ □ . ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ چ	70
172	چ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ چ	120
189	چ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ چ	181
215	چ ڤ ڤ ڤ ڤ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ چ	138
256	چ ۉ □ چ	25- 56
258	چ ڤ ڤ ڤ ڤ ڄ ڄ چ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ چ	133-44
سورة آل عمران		
15	چ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ې ې ۉ ۉ ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ چ	59
19	چ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ	5
64	چ ڤ ڤ ڤ ڤ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ چ	172
66	گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ	19

	ے ے چ	
سورة النساء		
48	چ ٹ ٹ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ئ ئ ی ڭ ڭ ڭ ۇ چ	88-4
سورة المائدة		
3	چ چ چ چ چ چ ڍ ڍ ڈ ڈ چ	5
72	چ چ چ چ چ چ ڍ ڍ ڈ ڈ ڈ ڈ چ	64
73	چ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ٹ ٹ ۀ ۀ چ	4
77	چ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ چ	109
112	چ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۇ و و ۋ ۋ ې ې ۑ ۑ د د ئا ئا ئە ئە چ	77
سورة الأنعام		
14	چ ھ ھ ے ے ئ ئ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ چ	88
40	چ ں ں ڻ ڻ ٹ ٹ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ چ	122
48	چ ڈ ڈ ڈ ڈ ٹ ٹ ڑ ڑ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ چ	5
50	چ ۀ ہ ھ ھ ھ ے ے ئ ئ ڭ ڭ چ	69
55	چ چ چ ڍ ڍ ڈ ڈ چ	27
71	چ ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ٹ ٹ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ئ ئ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ	149
81-75	چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ف ف ق ق ق ق ق ق ق ق ق ق ق ق ق ق ق ق ق ق ق ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڑ ڑ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ئ ئ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۇ ۇ ۆ ۆ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۇ ۋ ۋ ې ې ۑ ۑ د د ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ی ی □□ □ □ □ □□ □ □ □	92-39-37
135	چ چ چ چ چ چ چ چ ڍ ڍ ڈ ڈ ڈ ڈ ڑ ڑ ڑ ڑ چ	75
147	چ ٻ ٻ پ پ پ پ پ ڀ ڀ چ	104

55	چچ چ چ چ چ چ چچ چ چ چ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ چ	148
119	چڎ ڎ ڙ ڙڙ ڙ ک ک ک چ	150
169	چڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ .ۇ ۋ ۋو و ۋ ۋ ې ې چ	-162 163
سورة الأعراف		
23	چۇ ۋ ۋ و و ۋ ۋ ې ې ې ې ى ى ى ئا ئا ئە .ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ .ٿ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ . ڃ ڃ چ چ چ	14-10
22	چە ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ . ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۋ ۋ و ۋ ۋ ې ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو . ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ . ئې ئې ئې ئى ئى ئى ى ى ى □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ . ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڦ چ	23-18
143-89	چې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې چ	29
170-63	چڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ . ڃ ڃ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڍ .ڌ ڌ ڎ ڎ ڎ ڈ ڈ ڑ ڑ ڑ ڑ . ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ چ	62 -59
170	چٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ چ	68
52	چچ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ	70
52	چڑ ڑ ڑ ڑ ک ک ک ککگ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں چ	71
135-118	چئا ئە ئو ئوئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئۈ چ	73
65	چڎ ڎ ڙ ڙ ڑ ڑ چ	85
108	چڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڼ ڼ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ	86
58	چٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ ڀ ڀ ڀڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿٿ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ . ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ .ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ چ	-138 140
سورة التوبة		
161	چ چ چ چ چچ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌڌ ڎ ڎ ڈ	81
سورة يونس		

159-76	□ □ □ □ ىد ىد ىى ئد ئى ئى ئې ئې ئې چ چ □ □ □	20
124	چ ۓ ے ے ھ ھە ھ ہ ۂ چ	59
-107-102 118	چ ج ڦ ڦ ڦ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڤ ڤ ڎ ڎ ٹ ٹ ٹ ڎ چ	71
121	چ ئې ئې ئې ئۆ ئۆ ئۆئۆ ئۆ ئۇ ئۇ ئو ئو ئە چ	77
80	چ چ چ چ ڦ ڦ ڦڦ ڤ ڤ ڦڦ ڎ ڎ ٹ چ چ	81
123	چ چ چ چ چ چ چ چ چچ	82
99	چ ^ ە ۀ ۂ ڏ ڈ چ	102
	سورة هود	
134-55-31	ىد ى ى ئد ئى ئى ئې ئې ئې ئۆ ئۆ ئۆ چ چ □ □ □ □ □ □ ىد	28
110-61	چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ ىد ىد ڌ ڌ ڌ ڌ ڈ ڈ ژ ڑ ژ ڑ ک ک ک کگ گ گ گ گ چ	31
14	چ گ گ گ گ گ گ چ	32
134-120	چ ۆ ۋ ې چ	34
21	چ ى ىد ىد □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ . ٱ ب ب ٻ ٻ پ ٻ ٻ پ پ ٻ ٺ ٺ ٽ ٿ ٿ ٺ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڦ . ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڄ چ ڃ ڃ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ . چ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڏ ڎ ژ ڑ ڑ ک ک ک گ گ گ چ	48-45
90 -73	چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ . ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ٻ ٻ پ پ ٻ ٺ ٺ ٺ ڌ ڌ	54-53
147	چ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ	56
158	چ چ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڎڎ ژ ژ ڑ ڑ چ	57
100 -57	چ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ٻ ٻ پ پ ٻ ٻ ٺ ٺ ٺ ڌ ڌ ٿٿ ٿ ٹ ٹ	63
14	چ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ ڄ ڄ ڃ ڃ ڄ چ	74
85	چ □ □ □ □ □ □ چ	81
87	چ ڎ ڤ ڤ ڦ ڦڦ ڤ ڦ ڦ ج چ	90
75	چ ڷ ڈ ڈ ۂ ۀ ە ^ ہ ہھ ە ھ ھ ے چ	93

سورة يوسف		
5	چ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ چ	79
23	چ پ پ ٻ ٻ ٺ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ چ	114
47	چ ڃ ڃ چ چ ڍ ڍ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ چ	91
52	چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □	160
53	چ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ چ	113 -94
55	چ چ چ چ ڃ ڃ چ چ چ چ	78
92	چ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ چ	91
83	چ ہ ہ ھ ھ ه ه ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ چ	128
سورة الرعد		
38	چ ے ے ۓ ۓ ڭ چ	103
سورة إبراهيم		
11	چ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ چ	180
سورة النحل		
125	چ ے ے ۓ ۓ چ	31-26-13
سورة الإسراء		
49	چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ	166
50	چ پ پ ٻ ٻ پ پ چ	166
81	چ ڳ ڳ گ گ ڳ ں ڻ ڻ ڈ چ	112
100	چ ڳ ڳ گ گ ڳ ں ں ڻ ڻ ڈ ۂ ۂ ه ہ چ	130
سورة الكهف		
38-32	چ و و ۆ ۆ ۋ ۋ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ی ی □ □ □ □ □ □ □ □ . ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ . ڤ ڤ ڤ ڤ ق ق ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ چ چ چ چ . چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ڪ ڪ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ چ	24 - 10
34	چ ى □ □ □ □ □ □ □ □ □ □	10

37	چ ف ۋ ۋ ق ف ق ۋ ج چ ج ج چ ج چ چ چ	10
109	چ ئۇ ئۆ ئۆ ئۇ ئۇ ئې ئې ئې ئى ئى ئد ى ى ىد □ □ □ چ	145
110	چ □ چ	17
سورة مريم		
45-41	چ ٹ ڈ ڈ ق ف ۋ ق ق ۋ ج چ چ چ چ چ ج ج چ چ چ چ چ .چ ىد ىد ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ز ز ڑ ڑ .ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ .گ گ گ گ ں ں ٹ ٹ ڈ ڈ ۂ چ	35 – 32 111 - 97
48-47	چ ک ُ ُ ۆ ۆ ۇ ۇ ۋ ۋ و و . ۈ ې ې ىد د د ئا ئا ئه ئه ئو ئو ئُو چ	35
58	چ ڈ ڈ ڈ ڈ ز ز ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں ٹ ٹ ڈ ڈ چ	6
سورة طه		
44-43	چ ڈ ڈ ۂ ۂ ہ . ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے چ	31
47	چ ىد ىد د د ئا ئا ئه ئه ئو ئو ئُو ئُو ئۆ ئۆ ئۇ ئۇ ئې چ	67
52-51	چ □ □ □ □ □ . ٱ ب ب ىد ىد پ پ ىد پ پ ىد ىد چ	182
61	چ ک ُ ُ ۆ ۆ ۇ ۇ ۋ ۋ ۈ ۈ ې ې چ	80
69-68	چ ق ج چ چ چ . چ چ چ چ چ چ چ چ چ ىد ىد ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ چ	122
سورة الأنبياء		
22	چ ۋ و و ۈ ۈ ې ې ىد ىد د د ئا ئا ئه چ	4
70-51	چ گ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ۂ ۂ . ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ے ے ئے ئے . ك ک ک ُ ُ . ۆ ۇ ۇ ُ ۋ ۋ و و . ۈ ې ې ىد ىد . ئا ئه ئه ئو ئو ئُو ئُو ئۆ ئۆ ئۇ ئۇ ئې ئې . ئى ئى ئد ى ى ىد ىد . ٱ ب ب ىد ىد پ پ .پ پ پ ىد ڻ ڻ ڈ ڈ . ٹ ٹ ٹ ٹ ڻ ڻ ڈ ڈ	94- 52-41 137 -

	.ڤ ۋ ۋ ق ق ۋ ج . ڃ ڃ ج ج ڃ ڃ . ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ډ ډ . ډ ډ ډ ډ ڑ ڑ . ڑ ک ک ک ک گ گ گ . گپ گپ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ .ڈ ۀ ہ ہ ھ ھ ه ه . ے ے ئ ئ ۓ ۓ ڭ ڭ .ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ . ۋ و و ۆ ۆ چ	
63-62	چ چ چ ج ج ج . چ چ ج ڃ چ چ ډ ډ چ	180-137
77-66	چ گپ گپ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ . ڈ ۀ ہ ہ ھ ھ ه ه چ	94
سورة الحج		
49	چ ۋ ق ق ۋ ج ج چ چ	121
72	چ ى ى □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □□ □ چ	59
سورة النور		
53	چ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ چ	82
سورة الشعراء		
16-8	چ گپ گپ گپ گ گ . گ گ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ . ۀ ہ ہ ہ . ه ه ھ ھ ے ے ئ ئ . ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ .ۇٴ ۋ ۋ ۆ ۆ و و . ۈ ۈ ۉ ۉ ې ې ۑ ۑ د د ئا ئا .ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ .ئۇ ئې ئې ئى ئى چ	21
28-23	چ ۋ ق ق ۋ ق . ج ج چ چ ڃ ڃ چ چ .ڃ ڃ چ چ ډ ډ . ډ ډ ډ ډ ڑ ڑ . ڑ ڑ ک ک ک ک . گ گ گ گ گپ گپ گ گ گ گ چ	127
77-70	چ گ گ گپ گپ گ گ . گ گ گ ں ں ڻ ڻ . ڈ ڈ ۀ ہ . ہ ہ ھ ھ ه ه . ے ے ئ ئ ۓ ۓ ڭ ڭ . ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ .ۇٴ و و ۆ ۆ ۋ ۋ ې چ	116-51 132
81-78	چ ې ې د د . ئا ئه ئه ئو . ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ چ	132 - 124
108	چ □ □ □ چ	65
126	چ ڭ ڭ ڭ چ	65
-128 129	چ ى ى ې ې د د . ئا ئا ئه ئه چ	56
-132 134	چ ئى ئى ئى ئد ى . ى ى □ □. □ چ	107

144	چ چ چ چ	65
-146 148	چ ک ک گ گ گ . گ گ گ گ گ گ چ	144
163	چ ٹ ٹ ٹ چ	65
179	چ ئ ئ ئ ئ چ	65
	سورة النمل	
16	چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ	98
28-20	چ ۇ ۇ ۇ و و ۇ ۇ ې ې ې . د ئا ئا ئه ئه ئو ئو ئو ئو . ئو ئو ئو ئې ئې ئې ئى ئى ئد ى ى ې ې . ا ب ب ب ې ې پ پ پ پ پ پ پ پ . ټ ټ ټ ټ ټ ټ ټ ټ ټ ټ ټ ټ ق ق ق ق . ق ق ق چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ . چ چ چ چ ډ ډ ډ ډ ډ ډ ډ ڑ ڑ ڑ ڑ ک ک . ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ چ	25
36	چ ټ ټ ټ چ	125
47	چ چ چ چ چ چ	124
72-71	چ ۇ ۇ ۇ ۇ ۇ . ۇ ۇ ۇ ۇ و و ۇ ۇ ې چ	178
	سورة العنكبوت	
17	چ ٹ ٹ ٹ ق ق ق ق ق چ	154-153
46	چ ب ب ب ب ب پ پ پ چ	17
	سورة سبأ	
22	چ ئو ئو ئو ئو ئو ئو ئو چ	77
24	چ ق ق ق ق ق ق چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ	175 -155
26	چ ڑ ڑ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ چ	114
51	چ ق ق ق ق ق چ چ چ چ چ چ چ	103
	سورة فاطر	
40	چ ق ق ق ق ق چ چ چ چ چ چ چ چ	74
	سورة يس	
79-78	چ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں . ٹ ٹ ٹ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ چ	138
	سورة الصافات	
18-16	چ ے ے ئ ئ ئ ك ك ك . ۇ ۇ . ۇ ۇ ۇ ۇ ۇ چ	179
92-91	چ گ گ گ گ ں ں . ٹ ٹ ٹ ۀ چ	66

94	چ ه ھ ھ چ	67
95	چ ے ۓ ۓ ڭ چ	67
-123 126	چ ۇ و و ۇ . ي ې ې ې د . ئا ئا ئه ئه ئو .ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ چ	54
سورة ص		
70-69	چ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک . گ گ گ گ گ گ گ گ گ چ	67
سورة الزمر		
2-1	چ ج ج ج ج ج .ج چ چ ج چ چ چ ډ ډ ډ چ	1
9	چ ۆ ۇ ۇ ې ې ئې ئې ئى ى ى ى ى چ	132
44	چ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ چ	119
سورة فصلت		
6	چ چ چ چ چ چ چ چ ډ ډ ډ چ	136
سورة الشورى		
15	چ ۇ ۇ ۆ ۆ ۇ ې ې ئې ئې ئى ى ى ى □ □ □ □ □□ □ □ □ □□ □ □ □ □□ □ □ □□ چ	167
سورة الزخرف		
27-26	چ چ ډ ډ ډ ډ ڈ ڈ . ژ ژ ک ک چ	93
64	چ ج ج چ چ چ چ چ چ ډ چ	135
سورة الدخان		
19	چ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ چ	81
سورة الأحقاف		
8-7	چ پ پ پ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ . ق ق ق ق ق ق ق ق ج ج ج ج ج ج ج ج چ چ چ چ چ چ ډ ډ ډ ډ چ	2
9	چ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ چ	164
سورة المجادلة		
1	چ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ پ پ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ چ	14- 10 -8
سورة القلم		
4	چ گ گ گ ں چ	6
سورة نوح		

2	چ ک ک گ گ گ چ	121
4	چ گ گ ں ں ڻ ڻ ڈ ٹ ۂ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے چ	103
5	چ ے ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ چ	172
18-17	چ چ چ چ چ ڍ ڈ ڈ ڈ چ	152
سورة القيامة		
30	چ چ چ چ چ چ	120
سورة الشمس		
13	چ ڍ ڍ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ چ	131
سورة الكافرون		
6	چ ۋ ۋ ۋ ۋ ۋ چ	120

الفهرس

	المحتويات	الصفحة
مقدمة		أ- د
تمهيد		1 – 6
الفصل الأول	الحوار القرآني (مفهومه وأنواعه	8 – 46
المبحث الأول	مفهوم الحوار والجدل	8 – 19
	أولا : تعريف الحوار	8
	ثانيا : القرآن كتاب الحوار	9
	ثالثًا : كلمة الحوار في القرآن	10
	رابعًا : بين الحوار والجدال	12
	خامسا : ألفاظ مرادفة للحوار	15
	سادسًا : عناصر الحوار وشروطه	16
المبحث الثاني	أنواع الحوار وأهميته	20 – 28
	أولا : أنواع الحوار	20
	ثانيًا : أهمية الحوار (فائدته)	25
	ثالثًا : أساليب الحوار	27
المبحث الثالث	الاستدراج ومجاراة الخصم	29– 46
	المحور الأول : الرفق في الخطاب	30 -36
	المحور الثاني : إقامة الدليل والحجة على الخصم	37-43
	المحور الثالث : المحاججة وقوة الإقناع	44 -46
الفصل الثاني	الحوار والسياق	48– 82
المبحث الأول	الاستفهام والسياق الحواري	49 - 60
	أولاً : صرف الأقوام إلى الحقيقة	50
	ثانيا : ما لا يتضمن ردّ ولا تعقيبًا	55
المبحث الثاني	العطف وتركه داخل السياق الحواري	60 - 71
	أولا:العطف	62
	ثانيا:ترك العطف	66
المبحث الثالث	العدول والسياق الحواري	72 – 138
	أولا : دلالة الأمر	72
	ثانيا :دلالة النهي	79
الفصل الثالث	العدول والسياق الحواري	84 – 139

المبحث الأول	الالتفات	85 -94
المبحث الثاني	الإيجاز والإطناب	95 – 116
	أولا : الإيجاز	95
	ثانيًا : الإطناب	106
المبحث الثالث	سياقات التقديم والتأخير	117 - 125
	أولا : تقديم المعمول على عامله	118
	ثانيًا : تقديم اللفظ على غير العامل	122
المبحث الرابع	سياق الحذف	126- 133
	أولاً : حذف المبتدأ	127
	ثانيًا : حذف الفعل	130
	ثالثًا : حذف المفعول	131
المبحث الخامس	سياق الذكر	134- 139
	أوّلاً : ذكر المبتدأ	134
	ثانيًا : ذكر الخبر	136
الفصل الرابع	التصوير البياني	141 – 162
المبحث الأول	التصوير الحسي والتجسيم	142 - 146
المبحث الثاني	رسم المشاهد في صورة حية متحركة	147 - 150
المبحث الثالث	التشخيص	151- 156
المبحث الرابع	التلويح والإيحاء	157- 162
الفصل الخامس	ذاتية الحسن البديعي وأثرها في تقرير المعاني، وتحقيق الأغراض	164 – 182
المبحث الأول	البنية التقابلية	165- 167
المبحث الثاني	بنيتا الجمع والتقسيم	168- 173
المبحث الثالث	بنية اللف والنشر	174 - 176
المبحث الرابع	أسلوب الحكيم	177 – 182
الخاتمة		183 – 186
المصادر والمراجع		187 – 199
		200 - 218

فهرس الآيات القرآنية